رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رسالة إلى ولدي

رحلة خير في افريقيا

الطبعة الرابعة

د. عبدالرحمن حمود السميط

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

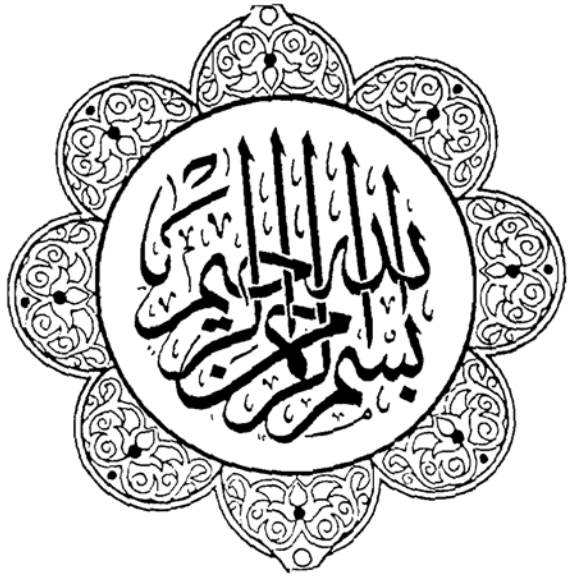
بسم الله الرحمن الرحيم

حقـــوق الطبـــع محفـــوظـــة

الطبعة الأولى (١٩٩٤م)
الطبعة الرابعة (٢٠٠٣م)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

د . عبد الرحمن حمود السميط

رحلة خير في أفريقيا

(رسالة إلى ولدي)

الطبعة الرابعة

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله وسلم ...

لم تكن النية أن يكون هذا كتابا ، وإنما هو رسالة الى ابني صهيب الذي يبلغ سن السادسة عشر أنصحه فيه وأكتب إليه عن الدعوة في أفريقيا ، وأذكر تجاربي الشخصية هناك في الوقت الذي أصف فيه إحدى رحلاتي في القارة السمراء التي أحببتها رغم كل المصاعب والمشاكل ، ويزداد حبي لهذه القارة يوما بعد يوم انطلاقا من حبي لدعوة الله .... ولقد أطلع بعض الاخوة على هذه الرسالة وطلبوا مني نشرها في كتاب .... وسمع بها آخرون وطلبوها مني فألحوا علي في النشر .

الحقيقة أنني لم اكن ارضى بنشرها لولا إلحاح هؤلاء الاخوة ، فهذه الرسالة وصف لرحلة من رحلات كثيرة أقوم بها كل عام منذ ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ولا أرى فيها شيئا جديدا يستحق النشر ، ولكني أرضخ لرغبات اخواني ممن أعمل معهم في لجنة مسلمي أفريقيا ، هؤلاء الاخوة الذين أنكروا ذواتهم وتحملوا المشاق الكثيرة احتسابا ، ولقد تعلمت من هؤلاء الاخوة الكثير من التضحية والايثار والصبر على أذى الآخرين ، هؤلاء الذين جاعوا في مجاهل أفريقيا وهم يطعمون الآخرين وناموا على الطين والتراب ، رغبة في الوصول إلى اخوانهم المحتاجين ، وسهروا مع هموم الدعوة الإسلامية حين نام الآخرون .

فاليهم ... وإلى كل من أعانني على نفسي ... أقدم شكري على ماقدموه لي من دروس صامتة ، الوعظ فيها ممارسات لا أقوال ، وفقهم الله وجميع إخوانهم العاملين في ميدان العمل الخيري والدعوة الإسلامية لكل خير وبارك

الله جهـودهم .

رأيت بعض هؤلاء الشباب الاخوة في يوم من الايام ونحن نصل إلى أحد مراكزنا الإسلامية بعد صلاة المغرب عقب رحلة شاقة وكلنا شوق لراحة تلك الليلة حيث هناك سفر طويل ينتظرنا في الصباح الباكر ... رأيتهم يمتطون السيارة في برد الليل يتنقلون من قرية إلى أخرى للإطلاع على أيتام اللجنة ومشاريعها يوقظونهم ويسألونهم ليتأكدوا من صحة التقارير التي يرسلها لنا دعاتنا ويعود هؤلاء الاخوة مع آذان الفجر لنصلي الفجر في المركز الإسلامي ثم نبدأ السفر الشـاق .

ورأيت بعضهم يحمل روحه على راحته ويعرض نفسه لاطلاق النار عليه في مجاعة الصومال من أجل أن يصل إلى جياع يسد رمقهم أو أيتام يهتم بهم ، يعيشون بلا كهرباء ولا ماء وهم من ابناء الخليج المرفهين .

شاهدت بعضهم وهم أبناء عائلات ثرية جداً ينامون على حصير المسجد واحيانا بدون حصير على الارض حينما يحين الليل لانه المكان الوحيد الذي يمكن أن يناموا فيـه .

لا زلت اذكر ذلك الاخ الذي التقيت به في غابات افريقيا بعد غيبة طويلة واحتضنني وبدأ يبكي كالطفل ويذكر أنه يشعر بأقل حالاته الإيمانية منذ عدة أشهر وأنه يخشى على نفسه من الكفر والعياذ بالله لأنه لا يقوم ليلة بالتهجد ويبول الشيطان في اذنه فلا يقوم إلا عند صلاة الفجر ، وانه لم يعد يصوم إلا الاثنين والخميس وبعض النوافل الاخرى (طبعا اضافة الى رمضان وست من شوال) وانه لم يعد يختم القرآن إلا كل اسبوع مرة وزاد بكاؤه وهو يذكرني بأيام أفضل وأكثر طاعه قضيناها معا في سنوات سابقة .

ولا أدعي أن هذا قاصر على العاملين في لجنة مسلمي افريقيا وحدها

ولكن هذا الكتاب هو كتاب مشاهدات عمل رأيتها بعيني وعشت معها في الغابات والاحراش والصحاري في أرض أفريقيا ، وليس هذا انتقاصا من شأن اخوة أفاضل ودعـاة كـرام يعملون في منظمات إسـلامية موثوقة جـــزاهم الله كل خير .

ان قارة افريقيا هي قارة المسلمين المنسيين ، قارة دخلها الاسلام في هجرة الحبشة الاولى قبل أن يدخل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ...فيها أول ملك يدخل في دين الله ، جاءت تجري لدعوة الاسلام حبا وإيمانا فبادلها الاسلام بهذا الحب حضارات ماعرفتها في كل تاريخها ، وأقام دولا ذات أدب وفن وعلم وتخرج من غابات أفريقيا رجالا فسروا القرآن الكريم وكتبوا المتون الكبيرة في علوم الاسلام المختلفة ، وشهدت في بداية عهد اليقظة الاسلامية حركات اصلاحية متزامنة كالسنوسية في ليبيا وحركة عثمان دان فوديو في نيجيريا وحركة المهدي بالسودان وغيرهم ، قامت تدعو الى العودة إلى صفاء الاسلام ونقاوته ، كما فهمها قادة هذه الحركات ، متأثرين في ذلك بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في جزيرة العـرب .

لذا ... فمن حق اخواننا الافارقة أن نساهم بطاقاتنا البشرية أولا ثم المالية في تأصيل دعوة الخير هناك حتى ترفرف رايات الحب والبركة والأمن والإيمان في كل مكان في الارض السمراء يرفعها أحفـــاد بلال بن رباح الحبشي سيد المسلمين .

ان من يتجول في الدعوة في افريقيا يشاهد واقعا مؤلما في العشرات من القبائل والملايين من الناس ممن كانوا يدينون بالتوحيد ولكنهم ضاعوا ولم يعينهم أحد من المسلمين على العودة إلى دين الله ... ولقد رأيت الكثير منهم كقبائل الفارمبا في زيمبابوي والتيمورين في مدغشقر والغبرا والريندبلي في كينيا

وغيرهم كثير .

وحتى أولئك الافارقة الذين رضوا باتباع أديان أخرى لازالوا في معظمهم قريبين جدا في فطرتهم من الإسلام أكثر من الاديان الاخرى المستوردة الى أفريقيا ، لأن فطرتهم لم تلـوث بعـد .

ولا يفوتني هنا أن أشكر كل من علمني حرفا أو نصحني أو ساهم في تقويم خطأ إرتكبته أو دعم هذا العمل من المشايخ والأساتذة والمحسنين ، فلولا الله أولا ثم دعمهم لم نستطع أن نقدم بأي عمل في أفريقيا ، وأخص بالذكر رفاقي في هذه الرحلة إبراهيم شيخ إسحاق ويوسف عبده من مكتب لجنة مسلمي أفريقيا في نيروبي والشيخ الفاضل طايس الجميلي والشيخ مبارك الدوسري لمراجعتهما المسودات والجهد الذي بذلاه لا تكفيه الكلمات شكرا وإلى سكرتيري هشام أحمد صالح وعبدالمنعم أحمد حلاج الذين سهرا الكثير من أجل طبع وصف حروف هذا الكتاب وإلى العديد من الأفاضل الذين ساهموا بجهدهم في طبع واخراج الكتاب .

واخيرا فان هذه الرسـالة كما هي مع إضافات وتعديلات قليلة بين يديك نرجو الله أن ينفع بها .

د. عبدالرحمن حمود السميـــط

ذي القعدة ١٤١٣هـ

ص.ب : ٦٦٣٦٦ بيـان

الرمز البريدي : ٤٣٧٥٤ الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز ...صهيب

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ،،،

أكتب اليك من كينيا ، تفرق بيننا آلاف الكيلو مترات فيها يشعر الإنسان بالألم لفراق الأهل والأولاد ... ولكن ياولدى حينما تكمل قراءة هذه الرسالة قد تفهم ما أنا فيه ، ولماذا يجب أن أقوم بهذا العمل بعيدا عنكم .

غادرنا نيروبى عاصمة كينيا بالأمس - ولنا عودة إن شاء الله للحديث عنها - بواسطة السيارة متجهين إلى مدينة ماليندى على الساحل عن طريق ممباسا ، والتى تبعد حوالى ١٠ ساعات ، وفى الطريق كنت أرى السكة الحديد التى تربط بين ميناء ممباسا ونيروبى متجهه إلى عاصمة أوغندا ، وتذكرت الآلاف من العمال الهنود ومعظمهم من المسلمين ممن جلبهم الانجليز قبل مائة سنة لمد السكة الحديدية ، حيث أكلت الاسود الآفا منهم اثناء العمل وفى الطريق كنا نرى الزرافات والنعام والقرود ... حان موعد صلاة الظهر ، فتوجهنا إلى أحد المساجد فى الطريق لنصلى الظهر والعصر جماعة ، حيث يوجد حوالي ٥ مساجد على الطريق بين نيروبي وممباسا ، احدها تبرع ببنائه أحد الأخوة الهنود ، ويقدم فيه الطعام مجانا للمسافرين ، كما أن فيه مكانا يمكنهم الأستراحة فيه ، وأيضا يمكنهم أن يناموا في احدى الغرف التي بناها هذا المحسن بقرب المسجد ... وتحدثت مع خادم المسجد وسألته ، لماذا لايضع مناحل للعسل ويبيع العسل ليستفيد منه ، خاصة وأن الامر لايحتاج إلى

عناية وجهد كبير ، حيث أنه سيكون مصدر دخل يرفع به مستواه المالي ، فانتاج الخلية الواحدة حوالي ٦٠ كيلو غراما في السنة يستطيع بيعها بما لايقل عن ١٠٠ دولار امريكي ، ويستطيع ان يضع حوالي عشرة خلايا في حديقة المسجد ، وأنا أعلم أن السبب الاساسى هو الكسل لاغير فأجاب بأنه لايملك النقود الكافية لشراء خلية النحل ، فأبتسمت لأننى أعلم أن هذا غير صحيح ، وقلت له ماذا تحتاج لخلية النحل ؟ ... تحتاج إلى غصن شجرة ، وهذا لايحتاج إلى شراء ، وتحتاج إلى خيط أو سلك ... وهذا أيضا لايحتاج إلى أن تشتريه لتعليق الخلية ، ولكن الكسل .. قاتله الله ... هو مصيبة اخواننا فى هذه القارة .

تنتشر القرى خاصة قبل الوصول إلى مدينة ممباسا ، وترى الطابع الإسلامي يبرز بوضوح ، ... وعلى اليمين واليسار توجد محميات للحيوانات المتوحشة ، تعيش فيها على سجيتها طليقة ، ويزورها السياح من مختلف بلاد العالم وداخل هذه المحميات فنادق راقية ، وبعض هذه الفنادق تم بناؤها بقدر ارتفاع رؤوس الاشجار وتمر من تحتها الحيوانات المتوحشة بينما الزرافة وحدها تستطيع ادخال رأسها حتى فى غرف النوم .

وقبل الوصول إلى ممباسا بدأنا نحس بالرطوبة والحر ، حيث أننا قريبون من مستوى سطح البحر ، بعكس نيروبى الباردة التى ترتفع ٥ آلاف قدم عن مستوى البحر ، وبدأت مزارع الجوت الذي تصنع منه أكياس الرز والسكر ... الخ ، وغابات شجر جوز الهند الباسقة ، وفي منطقة تسمى مخيم الصوماليين ، وهي منطقة خصصها الانجليز أثناء الاستعمار للصوماليين ،

كينيـــــا

المساحة / ٥٨٣ الف كيلومتر مربع
عدد السكان / ٢٨ مليون نسمة
نسبة المسلمين / ٣٥ـ ٤٠٪
اهم المنتجات /
الشاى ، القهوة ، المانجو ، الاناناس

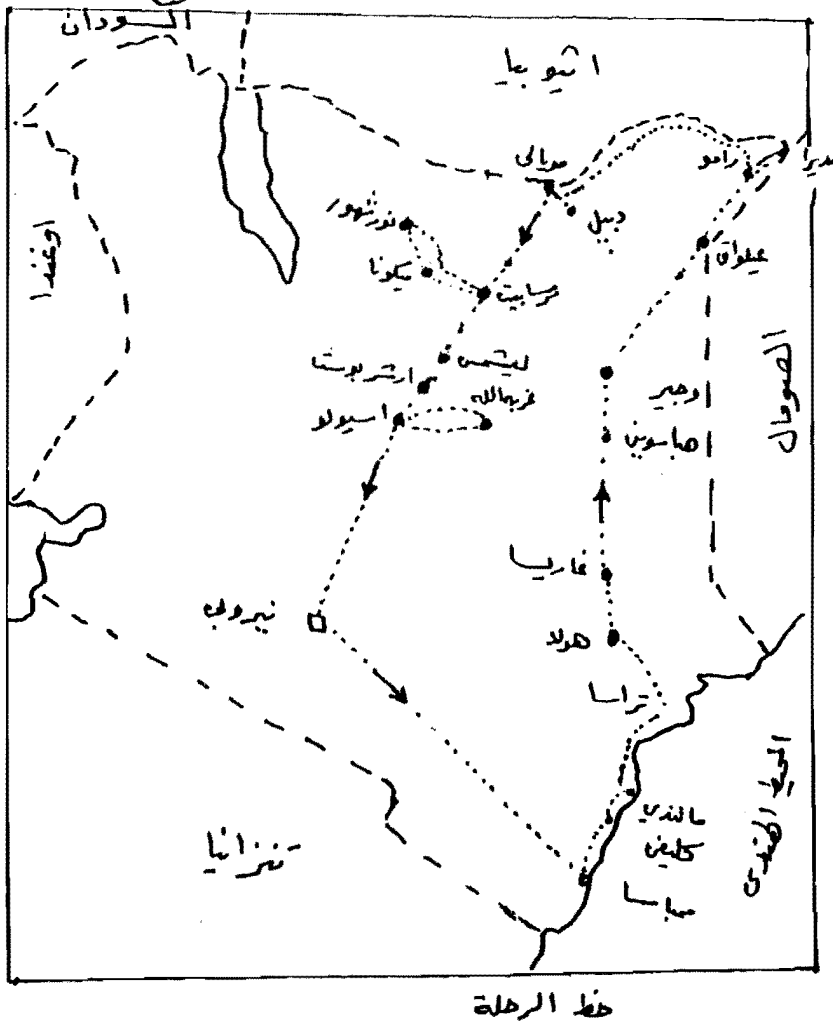

خط الرحلة

رأينا المركز الإسلامي الذي أقامته جمعية تحفيظ القرآن التي يرأسها بحار انجليزي أسلم منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وتزوج امرأة مسلمة من أصل عربي ويقوم جزاه الله خيرا بنشاط كبير في الدعوة ، ... منه هذا المركز الذي يضم أيضا مدرسة ومسجدا ومستوصفا ...الخ .

الوصول إلى ممباسا :

وصلنا إلى ممباسا بعد حوالى ٧ ساعات ونصف ، وهى المدينة ذات التاريخ العريق ، المدينة التى أحرقها النصارى البرتغاليون ثلاث مرات ، وقتلوا فى كل مرة المئات ، إن لم يكن الآلاف من أهاليها ، واستباحوا الحرمات فيها ، حتى جاء العمانيون وحاصروهم لستة شهور حتى مات بعض البرتغاليين جوعاً ، وأضطروا إلى الاستسلام للعمانيين بقيادة عائلة المزروعي الذين استولوا على قلعة عيسى المسيح .

هذه المدينة التى حكمها العرب المسلمون حتى عام ١٩٦٠ ، أى قبل عام الاستقلال بقليل ، وكان يحكمها حاكم عربي يسمى الوالي ، فقدت الكثير من طابعها الإسلامي منذ الاستقلال حتى الآن ... فقد انتشرت الكنائس كما انتشرت البارات وبدأت تختفى الاحرف العربية وأصبحت من أعلى المناطق فى كينيا اصابة بمرض الايدز الخطير بسبب تشجيع الحكومة للسياحة ويكفي ذلك مؤشرا على ماوصل اليه من انهيار اخلاقى ، ولكننى اعتقد أن من الصعوبة بمكان أن يزال الطابع الإسلامي تماما ، ومن المؤلم أن يعلم الإنسان أن المدينة التي تبلغ نسبة المسلمين فيها حاليا أكثر من ٨٥٪ إلا أن نسبتهم بين طلبة المدارس ٤٨٪ ، أما نسبة المسلمين بين المدرسين في

مدارس ممباسا الحكومية فهي أقل من ٩٪ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قلعة عيسى المسيح قلعة حصينة جدا ، بناها البرتغاليون ليتحكموا في البحر والبر في منطقة ممباسا ، وفيها عشرات المدافع الكبيرة وغرف البارود وسكن الجنود والضباط وكنيسة وبئر ماء ... الخ ، لقد شهدت هذه القلعة عشرات المذابح بالمسلمين كما شهدت اغتصاب المئات من بنات الإسلام على أيدي البرتغاليين ، ... وما كان البرتغاليون ليصلوا إلى هذه المناطق ثم إلى الهند لولا مساعدة البحار العربي أحمد بن ماجد ، وهكذا يكون مصير المغفلين من المسلمين على أيدي البغاة من الاعداء ، حيث إنهم قاموا برد جميل أحمد بن ماجد بالقتل وهتك الأعراض ، ولو أنه لم يتطوع لارشادهم الطريق البحرى لما وصلوا بأنفسهم ولما حدثت هذه المآسى .

وقد سمعت ان بعض الجهات الغربية تنوي انفاق بضع ملايين من الدولارات على كنيسة في مدخل ممباسا ، يدعون أنها كانت تأوي العبيد الذين يتم تحريرهم من تجار العبيد العرب ...! وينوون الاهتمام بها ليغرسوا في قلوب الافارقة الحقد على الإسلام والمسلمين والعرب ، الذين جاءوا به ، ... وهذا عين مايفعله الغربيون في زنجبار اذ تقدمت مؤسسة روكفلر الامريكية بمنحة قدرها خمسة ملايين دولار امريكي لصيانة سوق العبيد السابق في زنجبار ، من أجل زيادة الكراهية ضد العرب ...!

لقد حدثت قبل أيام مأساة تصور مدى احتقار ولاة الامر هنا فى كينيا للاسلام ، ... اذ وقف إمام كيني من أصل عربي في مسجد خطيباً، وتحدث عن مدى الظلم اللاحق بالمسلمين ، فقامت الشرطة بالدخول بأحذيتهم إلى

المسجد دون أن ينتظروا الخطيب حتى يخرج ، وضربوا المصلين الأبرياء اثناء الصلاة ، رغم أنهم لم يذنبوا ، وأدخل العشرات منهم إلى المستشفى بسبب الجروح والكسور دون أن يقاوموا على الإطلاق ، وتم القبض على الخطيب وهو يصلى ، وهذا لم يحدث أبدا فى أى كنيسة من الكنائس ، رغم أن القسس يهاجمون الحكومة هجوما عنيفا أكثر من ذلك عشرات المرات ، ويصدرون البيانات تلو البيانات ، ولكن الإسلام كسير الجناح فى هذا البلد ... لايجد من يدافع عنه ولو علموا أن الحكام المسلمين سوف يحتجون لما فعلوا ذلك ، ... وبعد ايام وقف أكبر مسئول في الدولة وهو ابن بار للكنيسة ... حاولت الكنيسة أن تجعل منه مسيحيا مؤمنا بالمسيحية ومتعصباً لها ونجحت فى ذلك ، ففى كل اسبوع لايترك صلاة الكنيسة على الإطلاق ويحتقر الإسلام والمسلمين كثيرا ، حتى أنه خطب فى مكان عام فى يوم الحرية والاستقلال ليهاجم الإسلام كدين ، وقال أن المسلمين يكرهون غيرهم وأن الإسلام كان وراء تجارة العبيد ...الخ ، ولا أدري ان كانت لدى فخامة الرئيس والكنيسة من ورائه ... أي احصائيات عن الملايين من الافارقة الذين اختطفهم الاوربيون إلى امريكا واوربا ؟ ... وهل لديهم احصائيات عن عدد الذين ماتوا بسبب المعاملة السيئة أثناء النقل من افريقيا .

وهذا أمر تنقصه الكياسة من قبل مسئول كبير جدا ... اذ أن المسلمين يشكلون مايقارب من ٤٥ ٪ من السكان ، بعكس الرئيس الاول الذى قاد البلد إلى الحرية وهو جومو كينياتا الذى كان محبا للاسلام إلى أبعد الحـدود

... ويروى لى شخصيا أحد أصدقائه الذين كانوا معه فى السجن ، وهو وزير الاعلام السابق يوسف وارورو أنه أعلن اسلامه فى داخل السجن ، ولكنه خشى إظهار ذلك أمام الناس .

تجارة الرقيق :

إن قضية تجارة المسلمين بالعبيد تحتاج إلى وقفة ، فالكنيسة الغربية مع الأسف ، كعادتها لم تترك كذبة إلا وصاغتها لتبعد الأفارقة عن دين الفطرة ..... دين الإسلام ، نحن لا ننفي وجود تجارة فردية وأكررفردية للعبيد لم تتجاوز حتى ١ ٪ من تجارة الاوربيين والامريكان بالعبيد .بينما تذكر المراجع الغربية عن تجارة العبيد التى كان الغربيون يقومون بها أرقاما واحصائيات مخيفة ، قامت سفن ليفربول بـ ٨٧٨ رحلة عبر المحيط { لاحظ ليفربول وحدها وليست بريطانيا كلها أو أوربا } نقلت خلالها ٣٠٣ ٧٣٣ عبدا تم سرقتهم خلال عشر سنوات (١٧٨٣ - ١٧٩٣) وربحت من ذلك ١٥٫١٨٧٫٨٥٠ جنية استرلينى ، وقد اقاموا عددا من القلاع كمستودعات لجمع الرقيق فى داكار بالسنغال وجواتو وايجيلو ولاغوس وبنين وغينيا وسيراليون وليبيريا وانغولا ، وبعض هذه القلاع لازال قائما يشهد على فظاعة الجريمة التى كان يموت فيها العبيد اثنـاء الرحلة عبر الاطلسي ، مالا يقل عن ٣٥٪ منهم كانوا يموتون بسبب سوء المعاملـة .

كان كل اثنين يربطان بقطعة كبيرة من الخشب توضع فيها اعناقهم ، أما ايديهم فكانت مقيدة بالسلاسل فى قطعان من المجموعات البشرية ، واذا ماتعب أحد العبيد اثناء الانتقال إلى هذه القلاع كانوا يقتلونه امام اخوانه

حتى يصبح عبرة لغيره من العبيد .

وتنافست فى هذه التجارة بريطانيا والبرتغال واسبانيا وبلجيكا وغيرها من الدول الأوربية . (١)

ولكن الكنيسة التي استغلت سيطرتها على النظم التعليمية في افريقيا تضخم تجارة المسلمين للعبيد وتغفل متعمدة ما فعله الغربيون .

أمر آخر ... أن العبيد عند المسلمين يعاملون بكرامة كأخوة وعند الحديث مع أحد أحفادهم هذه الأيام ، فلا تجد فيه عقدا نفسية كالموجودة عند الافارقة الامريكان مثلا ، أو حتى الافارقة الذين احتل بلادهم البيض ، لا تجد العربي الاسمر أو الاسود معقدا بسبب لونه بعكس الامريكي الاسود ، بل لقد وصل الكثير من السود في البلاد العربية والإسلامية إلى مواقع مهمة ، فقد خرَجت أمتنا الكثير من أفذاذ العلماء منذ عهد الصحابة والتابعين ، أمثال بلال وعطاء وحتى يومنا هذا.

تزوير التاريخ :

وأشد ماآلمني أن توضع صورة في منهج الدراسة في جمهورية مالاوي الذي يدرسه جميع الطلبة في المدارس ، توضح سفينة عليها مئات العبيد الذين قيدت أيديهم وأرجلهم وكتب عليها سفينة من سفن تجار عبيد المسلمين ، الذين ينقلون العبيد من مالاوي إلى بلاد العرب ...! هذا الرسم نفسه رأيته في متحف كلية الاطباء والجراحين الملكية البريطانية في ادنبره ،

---

(١) عبيد افريقيا اليوم AFRECA SLAVE TODAY

وكتب عليها اسم السفينة البريطانية واسم الشركة المالكة لها في مدينة ليفربول وكتب تحتها أنها تنقل العبيد من غرب افريقيا إلى امريكا ، ولكن رجال الكنيسة في افريقيا قاموا بتزوير الصورة وتزوير التاريخ ليزرعوا الحقد والكراهية في نفوس الافارقة ضد الإسلام والمسلمين ، في محاولة لكسب قلوبهم .

وأذكر في هذا المجال استاذ التاريخ في جامعة مالاوي وهو امريكي مسيحي لا علاقة له بالإسلام لامن قريب ولامن بعيد القى محاضرة علمية بحته في الجامعة ، فذكر فيها اكاذيب المبشرين المسيحيين من قيام العرب والمسلمين بتجارة العبيد في مالاوي وصاغ عدة اسباب علمية ، منها فيما اذكر انه لاتوجد طرق تجارية من مالاوي إلى منطقة الساحل ...الخ ، فماذا كان رد المبشرين عليه لقد اثاروا الحكومة المسيحية في مالاوي وتم تسفير هذا الاستاذ الجامعي خلال ٢٤ ساعة من مالاوي .. !

ثم هم يتحدثون عن المنهج العلمي والتقيد بالاسلوب العلمي البحت (١) .

وليست هذه هي المرة الاولى التي يقومون فيها بالتزوير فاطلال زيمبابوي وهي أعظم آثار تاريخيه في النصف الجنوبي للقارة الافريقية من الحجارة ، شاهد آخر على تزويرهم وهي عبارة عن آثار ضخمة مبنية بطريقة هندسية فريدة لم تعرفها افريقيا من قبل ، ويوجد بقربها قبور كتب عليها بالعربية على بعد بضع كيلومترات وعلى الآثار نقوش إسلامية كما وجد فيها اساور كتب عليها لااله إلا الله محمد رسول الله وكذلك اصيص للزهور كتب عليه (هذا من فضل ربي) وعملات كتب عليها بالعربية وتوجد بقربها قبيلة اسمها الفارمبا وتعني بلغة ماتبيلي المحلية (الغرباء) .

---

(١) يقول اترنيس الامريكي الثالث توماس جيفرسون (١٧٤٣-١٨٢٦) وهو احد ممن كون ثروة كبيرة عن طريق عمل عبيده الكثيرين « عندما نحرر العبيد يجب ان نبعدهم كثيرا عن الإختلاط حتى لا يلوث ...! دم سيده باللون الاسود .

WD . Jordan : White over bgack .

ونتيجة المعاملة السيئة جدا من تجار العبيد الغربيين كان الافارقة لا يترددون حتى عن الهروب أو الإنتحار ويذكر قبطان سفينة من سفن العبيد مايلي :-

في يوم ١٤ مارس وجدنا الكثير من التذمر من العبيد خاصة الرجال وبعد يومين لاحظنا باستغراب شديد أن حوالى ١٠٠ عبد قفزوا إلى البحر وبصعوبة جداً استطعنا انقاذ ٣٣ منهم حيث رفض الباقون ان تنقذهم وفضلوا الموت والغرق .

WD.Jordan : White over black

ويعرف قاموس اكسفورد الانجليزي قبل القرن السادس عشر كلمة أسود بما يلي :- مصبوغ بكثافة القذارة ، ملوث ، قذر ، نتن ، .... له أسباب قاتمة أو مميته ، خبيث ، مأساوي ، مرعب مشين .....الخ

WD. Jordan over black
(Penguin Book 1969) (P7)

فهل وجد الغربيون مثل هذا في التاريخ أو الحضارة الإسلامية .

ويدعي الكبار والمسنون من هذه القبيلة أن أصلهم من بلاد العرب ومن بلد اسمه " اومن " وأظنهم يقصدون اومان (OMAN) أي عمان كما اكتشف أحد الاوربيين قبرا كتب عليه بالعربية على بعد عشرات الاميال " هذا قبر سلام بن صالح الذي انتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية عام ٩٥ من هجرة النبي العربي " .

ورغم أن الافريقي - كما أعرف جيدا من خلال زياراتي إلى معظم الدول الافريقية - لم يعرف البناء بالحجارة كما هي الحال في هذه الاطلال إلا أن تزوير الكنيسة ورجالها وصل حدا غير معقول ، فالاساور التي نقش عليها لا اله إلا الله بالعربية كتب تحتها شرح أنها دليل على وصول الحضارة الفارسية إلى منطقة الاطلال ....! وأصيص الزهور التي كتب عليها بالعربية هذا من فضل ربي ، كتبوا تحته أنه دليل على وصول الحضارة الصينية ...! نعم الصينية ولا أدري منذ متى بدأ الصينيون يكتبون العربية ...! والنقود المنقوش عليها بالعربية ذكر أنها دليل على الحضارة السواحيلية وحدثني الدليل السياحي وهو من قبيلة الفارمبا أن المستشار الاوربي في حكومة زيمبابوي طلب منهم عدم ذكر أي شيء يتعلق بالعرب والمسلمين في هذه المنطقة وعلاقتهم بهذه الاطلال واذكرجيدا أنني شعرت أن ما ارى من آثار ليس غريبا علي وتوجهت آنذاك من زيمبابوي إلى اليمن حيث طلبت من بعض الاخوة أخذي إلى احدى القرى القديمة جدا في منطقة صنعاء وزرت قرية اسمها وادي الظهر ووجدت نفس طريقة البناء ونفس النقوش التي رأيتها في زيمبابوي ، ولكن رجال الكنيسة الغربيين يحلّون لانفسهم تزوير

التاريخ .

الظلم الغربـي :

ان النظام والحضارة الغربية تنتج المواطن الصالح الذي يعمل لصالح وطنه أما الإسلام فانه يعتني بالمسلم ليكون انسانا صالحا ... المواطن الصالح لا يعبر اشارة المرورالحمراء في بلده ... ولايرمي القاذورات في الشارع ولكنه يقتل الافارقة والهنود الابرياء بدون محاكمة ويفعل كل الموبقات من أجل بلده ويبقى مواطنا صالحا.

أما الإنسان الصالح فهو الذي لايعتدي على حقوق غيره أينما كان سواء داخل بلده أو خارجها .

بل ان الغربيين حتى اليوم يعاملون الشرقيين في داخل المؤسسات الغربية معاملة غير تلك التي يحصل عليها الغربي ولقد زرت بعض السجون في دول غربية أثناء دراستي هناك في الدول الغربية وذلك من أجل الدعوة للاسلام خلال أيام العطل ، واستغربت من أن السلطات تعامل المساجين المسلمين معاملة لايقرها القانون ، حيث رأيت سجينا مسلما من بلد عربي جاء يسترجع بضاعة أخذها ولكنه لايعرف ماذا يفعل فتوجه إلى المكان واستبدلها وحاول الخروج فقبضوا عليه وحاكمته قاضية يهودية فحكمت عليه بالسجن وغرامة باهظة ، وفي نفس الجلسة حاكمت يهوديا بولنديا قام بالسرقة من نفس المكان واعترف بها ، ولكن القاضية أطلقت سراحه رأفة بظروفه ... ! وكان واضحا من اسمه انه يهودي ...! ولست هنا ادعو إلى ان نظلم الاخرين او نقر أي ظلم لاي كان فهذا ما لاتقره شريعتنا الإسلامية

وتاريخنا يشهد على ذلك فقد حكم القاضي المسلم بإخراج جيوش المسلمين من سمرقند بعد سنين من فتحها ، وحكم غيره بضرب ابن أمير المؤمنين ، وغير ذلك عشرات الحوادث التي تؤكد ذلك ، ولكنني ادعو إلى التقليل من الانبهار ببعض القيم الغربية والعودة إلى الاصالة الروحانية ، لقد حولت حضارة الغرب القيم الانسانية إلى قيم مادية بحتة هدف الإنسان هناك ان يعمل ليل نهار ليكون رصيده بالبنك اكثر ولكن هل أعطى الاستقرار النفسي للمواطن الغربي ؟

لقد عالجت أعدادا كبيرة من كبار الأثرياء فى دول الغرب اثناء عملى هناك ...! وكان الجميع يشكو من ان حياته لاطعم لها .. هل نسينا انتحار ملكة الاغراء الجنسي الشهيرة الامريكية الممثلة (مارلين مونرو) وكيف ندمت على انها سلكت هذا الطريق الذي جلب لها الشهرة العالمية والمال الكثير ولكن لم يجلب لها الدفء الاسري ولا الحنان فقررت الانتحار وحذرت بنات جنسها من الفن والشهرة الكاذبة ودعتهن لبناء اسرة لانها طريق السعادة ... كما ذكرت .

مفهوم السعادة :

إن مفهوم السعادة يختلف بين الحضارة الغربية التى تحدده بكثرة المال فى الدرجة الأولى وبين الآخرين فى المناطق الأخرى ، واذكر نقاشا دار بين شخصين لهما مفهومان مختلفان :

قصة ذلك الأوربى الذى رأى افريقيا مستلقيا تحت ظل شجرة فقال له : لماذا لا تعمل وتزرع بدلا من النوم والاستلقاء ؟

قال الافريقي : لقد زرعت ما احتاج اليه لطعامي .

قال الاوربي : ولكن لماذا لاتزرع مساحة اكبر وتبيع الفائض ؟

قال الافريقي : ولكن لماذا ؟

قال الاوربي : لتشتري به ملابس وتزيد من حجم منزلك وتشتري به امورا اخرى .

قال الافريقي : ولكن لماذا اشتري هذه الاشياء فانا عندي بيت صغير يكفيني وعلي ملابسي التي ستكفيني لمدة سنة .

قال الاوربي : ولكن اذ بنيت بيتا اكبر واصبح عندك مال اكثر تشعر بالسعادة .

فقال الافريقي : ولكنني اشعر بالسعادة الآن فلماذا ابذل كل هذا الجهد ؟

لسنا نوافق الافريقي في كل ما قال وكذلك لسنا مؤيدين للاوربي بأن المال سبب السعادة ، اذ رأينا فيما سبق انه قد يكون سببا للتعاسة .

قرية التماســـيح :

وزرنا قرية التماسيح فى ممباســا ، حيث يتم تربية ١٠ آلاف تمساح من أجل جلدها الغالي ، ولحمها الذى يباع لبعض المطاعم الراقية ويقوم المشرفون على القرية بتجميع بيض التماسيح وتفقيسه فى الرمل تحت أشعة الشمس ، ويوجد تمساح ضخم جدا في القرية يذكرون انه أكل حتى الآن ٥ أشخاص عندما كان طليقا قبل صيده ، وتقوم الشركة المالكه للقرية ببيع منتجات جلود التماسيح بسعر دولار أمريكى واحد لكل سنتيمتر مربع ، كما يوجد مطعم يبيع لحوم التماسيح بسعر غالٍ وقد نجحت مزارع التماسيح فى عدة

دول منها جنوب افريقيا وزيمبابوى ومالاوى وغيرها .

وعندما رأيت أحد التماسيح الضخمة تبرز عيناه من الماء ، تذكرت منطقة هادئة ودغلا من الاشجار فى مالاوي كنت كلما مررت به فى طريقى للدعوة أو للاشراف على مشاريعنا وأيتامنا توقفت وتوضأت وصليت ركعتين لأن المكان هادىء جدا وجميل يغرى الإنسان بالابتعاد ولو لدقائق عن صخب هذه الدنيا ، وفى آخر مرة توقفت كعادتى ورأيت مايشبه الحجر فى الماء ، فقررت وضع أحد قدمى على الحجر ، ولكن سرعان ماكشر التمساح عن أنيابه .. لقد كان ماظننته حجرا تمساحا .. وكانت مفاجأة غير سارة لي ... وهذه آخر مرة توقفت فيها فى ذلك المكان ، وعلمت بعدها أن التماسيح أكلت بعض القسس الاسكتلنديين عندما وصلوا لأول مرة قبـــل مائة عام فى نفس المكان .

فى شمال ممباسا توجد أطلال قرية جومبا على بعد حوالى ١٠ كيلومتر على ساحل المحيط ، وهى بقايا قرية فيها مسجدان وقصر كبير وبعض القبور التى كتب عليها بالعربية والسواحلية ، وعمرها ٦٥٠ سنة ، ومع الأسف لم تجد هذه القرية مثلها مثل الآثار الإسلامية الأخرى فى المنطقة ، أى دراسة جديه أو محاولة لكشف أى معلومات عنها .

القرية جميلة جدا ، كلها أشجار باسقة والارض تملؤها الحشائش الصغيرة وهدير الموج يذكرنا بالسفـــن الشـــراعية التى كانت تأتى من جزيرة العرب .

وقفت أمام المسجد وتخيلت جموع العرب المسلمين يقفون صفا واحدا مع اخوانهم الافارقة راكعين .. ساجدين .. أتخيلهم وبعضهم يحتضن بعضا بعد

صلاة العيد مثلا وعليهم الملابس البيضاء والابتسامة ترتسم على وجوههم ... وشتان بينهم وبين القسس الذين يأتون بكل استعلاء من دول الغرب وينظرون إلى الاهالى نظرة دونية ، بينما العرب المسلمون تزاوجوا مع الاهالى وأصبحوا جزءا منهم .

ثم وصلنا إلى (كليفى) وهى مدينة صغيرة وعاصمة للأقليم وواضح فيها قلة الخدمات إلى أبعد حد ، كعادة معظم المناطق الإسلامية المحرومة مقارنة بالمناطق المسيحية فى كينيا ، فكل قراها بدون كهرباء رغم أنها على الشارع العام المهم والسياحى تجد الفقر فيها بسبب عدم محاولة تطويرها من قبل السلطات والتقينا بداعيتنا الشريف سالم وهو من أصل عربى ، تعلم فى كلية الشريعة فى ليبيا وتخرج منها وبعد عودته بدأ العمل فى شمال كينيا ، ولكن مشاكل المسلمين ظلت تطارده وتتهمه وتسوق اليه مختلف الاتهامات حتى اضطر إلى الهرب والاستقرار فى منطقة كليفى ، وفى البداية كان الرجل عاديا وكنا ندفعه دفعا نحو العمل الإسلامي لأننا نعلم أن فيه خيرا كثيرا ، ولكنه كان يتحرك ببطء شديد ، وكم سررت فى هذا اللقاء وزيارتى التى قبلها حينما رأيت الحماس يتوقد من هذا الرجل بعد أن قام بمشروع ذبح الأضاحى نيابة عن المحسنين في لجنة مسلمي افريقيا ورأى آثار الاضاحى على الناس ، حيث تم ذبح ١٢٠٠ أضحية فى القرى الفقيرة فى منطقته ، ومنها منطقة كليفى وماليندى هذا العام عن طريق دعاة لجنة مسلمى افريقيا...

قبـائـل الغريـامـــا :

حدثنى عن قبائل الغرياما ،وهي قبيلة غالبيتها من الوثنيين ولكنهم قريبون جدا للأسلام ويرجع ذلك إلى أن مبارك المزروعى أمير مباسا ، وهو من أصل عماني ، قام بالاستعانة باجداد قبيلة الغرياما لقتال البرتغاليين فأختلط أفراد القبيلة بالمقاتلين المسلمين من عرب وأفارقه ، حيث كانوا فى نفس الجبهه وتأثروا بهم إلا أن المدة لم تكن طويلة حتى يعرفوا الإسلام ويمارسوه ولكن أحبوا الإسلام ولم يجدوا دعاة بعد ذلك حتى وقتنا الحالى لشرح مبادىء الإسلام لهم ...

قال إنهم قبائل فى غالبيتهم غير مسلمين ولكن يبدو أن لهم علاقات قوية بالمسلمين ، فأسماء الكثير منهم على وأحمد ومحمد وخلفان ومبارك وسعيد ، كما أن بعضهم يبتعد عن كثير من الموبقات فى شهر رمضان ، حتى النصارى والوثنيين لا يشربون الخمر ويصومون في رمضان ويحبون الإسلام و المسلمين ، وفى قرية من القرى التى بنينا فيها مسجدا فرحوا بنا فرحا شديدا رغم أنها لاتبعد عن الطريق العام سوى ثلاث أو أربع كيلو مترات فهذه أول مرة يرون عربيا مسلما من بلاد العرب ، ومن فرحتهم أنهم أتوا بالمصابيح التى تعمل بالكيروسين رغم أن الوقت عصر وليس هناك ظلام ، ولكن أرادوا أن يظهروا مقدار فرحهم بنا ، فهذه المصابيح لايستعملونها إلا فى الاعياد والاعراس ، وتحدثنا معهم فذكر لى بعضهم أنهم على استعداد للأسلام ويحبون الإسلام ويرغبون بذلك ، ولكن علموا أن المسلمين لا يدخلون المسجد وصدورهم عارية وقالوا إننا مزارعون فقـراء لانملك

قميصا نغطى به صدورنا وأكتافنا ولا يوجد عندنا سوى الإزار نغطي به النصف الأسفل من أجسادنا ، وطلبوا أن نرسل لهم قمصانا مستعملة أو ثيابا يسترون بها صدورهم ، وقالوا نحن على إستعداد أن لانلبسها إلا عند الدخول إلى المسجد ، وبمجرد خروجنا منه ننزعها حتى نحافظ عليها ، تألمت وترقرق الدمع فى عينى وأنا أرى مدى حبهم للأسلام وهم غير مسلمين ... وفى قرية أخرى أخبرنا الاهالى بأنهم جميعا على إستعداد بأن يسلموا ولكن يشترطون لهذا الإسلام بأن نقوم بزيارتهم ولو مرتين بالشهر أو يأتى مندوب منا ليعلمهم مبادىء دينهم الجديد ، أتذكر هذا وأحس بالألم يعتصرنى لأن راتب المدرس المحلى هنا لايزيد عن ٥٠ دولارا بالشهر ، ونحن نعبث بالاموال يمنة ويسره فى بلادنا العربية الإسلامية ...

وفى قرية لوسانغانى بدأنا في بناء مسجد ، رغم أن عدد المسلمين فى هذه القرية قليل جدا ، ولكننا نعرف المنطقة تماما فقد أسلم معظم أهل القرية لانهم لم يشعروا أن هناك نقلة كبيرة بين ماهم عليه من فطرة فطرهم الله عليها وبين الدين الإسلامي .

وهذا ليس غريباً فى قبائل الغرياما ، فهم يعرفون النكاح الشرعي ويدفنون الصالحين منهم حسب الطريقة الإسلامية بإتجاه القبلة ويؤمنون بإله واحد ويزاولون الختان حتى النصارى والوثنيين يختنون الذكور ، ومن مات بدون ختان يقومون بختانه بعد موته وقبل الدفن ، ويحتفلون باليوم السابع من ولادة المولود ويحلقون رأسه (كالعقيقة عند المسلمين) .. والسؤال هل يتمسك هؤلاء باسلامهم الجديد أم يغيروا دينهم بعد مدة ؟ .... والجواب ان

ذلك يعتمد علينا فى الاهتمام بهم ، فاذا ما تعلموا ولو مبادىء الإسلام فانهم عادة يتمسكون به وبعضهم يصبح أحسن اسلاما ممن ولدوا على الإسلام ، ولكن اذا اكتفينا منهم بنطق لاإله إلا الله محمدا رسول الله ، ثم ذهبنا فاننا نعرضهم لفتنه قد لا يخرجون منها سالمين ، والشاهد أننى رأيت الكثير من الدعاة المسلمين ممن كانوا على غير الإسلام من قبل ... ولقد أسلم شاب قضى اثنى عشر عاما فى دراسة اللاهوت المسيحى وتحمس للاسلام بشكل كبير وأصر أن يذهب لأحدى الجامعات الإسلامية لدراسة هذا الدين الجديد .

وفى قرية تيزو أسلم أكثر من ٣٠ شخصا خلال زيارات قمنا بها لهم ، وفى قرية ماسنجيرى قررنا بناء مسجد لتسعة من المسلمين فى القرية ، حيث أن البقيه كانوا وثنيين فأسلم باقى افراد القرية ، وسمعت قرية مجاورة أنهم يقومون ببناء مسجد فتطوعوا لمدة يوم للمساهمة فى بنائه ، تقرباً إلى الله وتبركا بالمسجد على حد زعمهم ، رغم أنهم غير مسلمين ، وبعد أن حفروا الأساسات للمسجد رفعوا أيديهم إلى السماء وبدأوا فى دعاء جماعى يطلبون أن يرزقهم الله مسجدا مثل هذا المسجد حتى يدخلوا فى الإسلام ...!

إننى لا أشك مطلقا أنه لو تفرغ داعية عربى مسلم يلتزم بالحكمة والموعظة الحسنة لهذه القبائل لاستطاع ادخالهم في الإسلام خلال عشر سنوات إن شاء الله ، ولكن الكثير يتكلمون عن الدعوة فى بلادنا ولكن حينما يجد الجد نرى الكثير من قصور الاحلام تتهاوى فالعشاق فى بلادنا كثير ولكن كم فيهم قيس بن الملوح ..؟

ما أسرع ما يتحمس شبابنا لسماع محاضرة اوشريط ولكن ما اسرع مايفتر الحماس ، بل حتى اولئك الذين جاءوا وزاروا افريقيا ورأوا بأم أعينهم ما يمكن ان يفعله الإنسان هنا وعاهدوا الله امامنا ان يجعلوا تحسين احوال اخوانهم في افريقيا همهم الاكبر ... لم يستمروا في حمل هذا الهم سوى فترة قصيرة فنحن شعوب عاطفية ، ولو توفر لنا بعض المسلمين الذين ينذرون انفسهم وحياتهم للدعوة في افريقيا أو لدعم الدعوة هناك كما يفعل اصحاب الديانات الاخرى لانتشر الإسلام في كل قرية من قرى افريقيا ، ولو عاش المسلمون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خيرٌ لك من حمر النعم "(١) ، ومزجوه بدمائهم ولحومهم لكان تكالبنا على الدنيا أقل ولخرجنا من عبودية الدرهم والدينار إلى عبودية رب العباد ، ففي الوقت الذي يوجد فيه حوالي ٤ ملايين مبشر مسيحي متفرغ لنشر دينهم اتساءل عن عدد الدعاة المسلمين المتفرغين .

السلطان يسلم :

منطقة كليفي ليست وحدها وة قبائل الغرياما ليسوا وحدهم الذين يمكن أن نكسبهم للاسلام بسهولة اذ اذكر حادثتين أولهما في منطقة كيلو في جنوب تشاد حينما خطب السلطان - وهو ما يعادل شيخ القبيلة عندنا - امرأة مسلمة ولكنها رفضت فاستغرب من رفضها خاصة وأنه شيخ القبيلة الكبير الثري فذكرت له أنها مسلمة ولايمكن أن تتزوجه مالم يسلم .. فسأل بعض الناس عن الإسلام فشرحوا له شيئا قليلاً جدا وهو كل مايعرفونه فاسلم

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد في المسند وابن حبان والبغوي والطبراني والطحاوي وابو نعيم .

السلطان ودخل بيته وجمع زوجاته وأخبرهم أنه لايستطيع البقاء معهن لأنهن كافرات وهو مسلم .. وبعد نقاش وجـــــدال وسؤال وجواب أسلمت زوجاته وجاء الدور على كل أولاده وبناته وطلب منهم أن يبحثوا عن مكان آخر يعيشون فيه لأن بيته أصبح بيتا مسلما فاسلم أولاده وكان هناك اجتماع لكبار رجال القبيلة ويسمونهم الاجاويد من عدة قرى بالليل للتباحث في حل بعض المشاكل وعندما وضع الطعام وانتظروا السلطان أن يبدأ الأكل رفض السلطان بحجة أنه مسلم وهذا طعام كفار وبعد نقاش أسلم كل الاجاويد ثم قاموا بنقل الإسلام إلى قراهم ودخل الاف منهم الإسلام ولكنهم لم يجدوا شخصا يشرح لهم أحكام الإسلام ويبصرهم بدينهم وبقوا مسلمين اسما لايعرفون إلا القليل عن دينهم مما فهموه من بعض المسلمين البسطاء في المنطقة حتى أنهم لم يعرفوا صلاة العيد ... فجلس السلطان على كرسي وجاء الناس يسلمون عليه بدلا من صلاة العيد .

قارنت بين هؤلاء الذين هم بأمس الحاجة إلى من يبصرهم بدينهم وبين بعض المسلمين الذي يقضون الساعات الطوال في نقاش حول خلافيات الفقه ويفرقون بها بين المسلم وأخيه ويثيرون بها فتنا تشق صفوف المجتمع ، ياليت هؤلاء الإخوة يفرغون ما لديهم من طاقات في أعمال الدعوة الحقيقية بين أمثال هؤلاء ويترفعون عن الجزئيات حتى لاتفقد الاصول .

قبيـــلة اللوكـــو :

الحادث الآخر الذي اذكره هو عملنا وسط قبيلة اللوكو المسيحية في سيراليون حيث بدأنا عملنا الطبي وسطهم دون دعوة كلامية فتأثروا بأطبائنا

وسألوهم عن الإسلام واقتنعوا به وأسلم اثنان من زعماء القبيلة وأسلمت غالبية القبيلة وارتفعت نسبة المسلمين فيها خلال سنة ونصف من (خمسة بالمائة) إلى (ستين بالمائة) وقمنا ببناء مركز اسلامي وسطهم وقد تم افتتاح هذا المركز بحمد الله وهو يضم مدرسةً ومستوصفاً ومسجداً وداراً لتدريب النساء كما قمنا كذلك ببناء عدد من المساجد والمدارس وارسال الدعاة لهم وارسلنا زعماء القبيلة إلى الحج فتأثروا جدا وعادوا وكلهم نشاط للدعوة للاسلام ونشره في أوساطهم .

إن هناك كثيراً من أبناء العرب والإسلام من المتحمسين للدعوة ولكن الحماس وحده لايكفي فقد عانينا كثيراً ، ولهذا نريد حماسا مبنيا على العلم والاتباع ، اذ لانريد أن يتمثل فينا قول بشار بن برد :

أكم يقود أكم لقد ضل من كانت العمياء تهديه

نريد دعاة يعلمون مايقولون .

والله كلما مررت في هذه المنطقة أحس بسياط الذنوب تلاحقني لأنني أترك اخواني هؤلاء ولا أبقى معهم لهدايتهم إلى طريق الإسلام ، وأسال الله المغفرة لي ولجميع إخواني المسلمين من المقصرين بحق إخوانهم .

المدرسة ستغلق :

من هناك انطلقنا إلى جيدي ، وهى قرية صغيرة بين كليفى وماليندى ، وجيدي هذه لها تاريخ عريق جدا فى الإسلام اذ اكتشف فيها مسجد عمره ألف ومائة سنة ، وفيها إحدى مدارسنا ، وهى مدرسة فريدة من نوعها ، اذ أنها تقوم بتدريس البنات فى جانب والاولاد فى جانب آخر وتضم ١٦٠ ولدا

و ١٦٠ بنتا ، ومشكلة المسلمين ومشكلتنا معهم أننا نهتم بالذكور ونترك بناتنا واخواتنا ، فنرى ممارسات سيئة للغاية من قبل النساء بسبب الجهل بمبادىء الإسلام فنرى مع الاسف اخواتنا المسلمات في كثير من المجتمعات المسلمة لايعرفن بعض اساسيات الإسلام ولايمارسن من تعاليم الإسلام إلا النزر اليسير لأننا لم نعلم الفتاة المسلمة أمور دينها وكمثال على ذلك أجد أحد اخواننا المسلمين من الهنود وهو يصلي ويصوم ويدعو إلى الإسلام بينما زوجته عارية الذراعين لاتغطي رأسها وهذا ليس قاصرا على الهنود وحدهم ...

هذه المدرسة مهددة بالاغلاق نتيجة العجز بالميزانية التى لاتتجاوز ألف دولار امريكى شهريا شاملا للرواتب واطعام الطلبة وهو مبلغ زهيد اذا قورن بما ننفقه على أمور تافهة أو لاقيمة لها .

وأتذكر بالفخر والاعجاب قيام اخواننا المسلمين فى جنوب افريقيا وهم من أصل هندى هاجروا قبل حوالى قرن الي جنوب افريقيا ، وقد افتتحوا مؤخرا معهدا دينيا للنساء وفيه عدة دورات وبعض طالباته حفظن القرآن الكريم ولله الحمد .

في مالنـــدي :

ومن هناك إلى ماليندي ، مدينة إسلامية عريقة عرفت دائما بمسالمة الاعداء على عكس مدينة ممباسا .. ذكرها الإدريسي الجغرافي المسلم المشهور (عام ١١٠٠ - ١١٦٥) رغم أنه لم يزر المدينة شخصيا ، وذكر أن أهلها من الزنوج ويعيشون على صيد الأسماك والنمور والحيوانات المتوحشة الأخرى ، حيث يبيعون الجلود للصينيين ، كما ذكر الإدريسي أن أهلها قادرون على إزالة السموم من أخطر الأفاعي التي تعج بها المنطقة .

ولكن أفضل من وصف المدينة بدقة هو الأمير أبوالفدا ، أمير حماه والجغرافي المشهور (١٢٧٣ - ١٣٣١) في كتابه تقويم البلدان ، حيث حدد موقعها الجغرافي بدقة كبيرة .

وقام الإمبراطور الصيني يونغ لو (١٤٠٣ - ١٤٢٤) وهو من عائلة منغ المشهورة بإرسال ٥ بعثات إستكشافية بقيادة الربان المسلم شينغ هو ، الأولى إلى جاوه وسيلان (١٤٠٣ - ١٤٢٤) ، والثانية والثالثة إلى نفس المنطقة والرابعة وصل فيها البحار المسلم إلى مضيق هرمز ، والخامسة وصلت إلى مدينة ماليندي بين عام (١٤١٧ - ١٤١٩) ، وهناك سبب طريف لهذه البعثة ، هو أن ملك البنغال أهدى حيوانا غريبا له رقبة طويلة جدا (زرافة) إلى إمبراطور الصين ، ولما كان الصينيين يعتقدون بحيوان خرافي إسمه كي-لن يخرج في زمن ملك صالح ، مما سبب الكثير من الضجة والنقاش في الصين ، وإجتمع مجلس الأعيان والطقوس ليقرر التهنئة للإمبراطور كونه ذلك الملك الصالح ، ولكن الإمبراطور رد عليهم (أنه إذا أخلص كبار

• مع أحد أطفال المجاعة

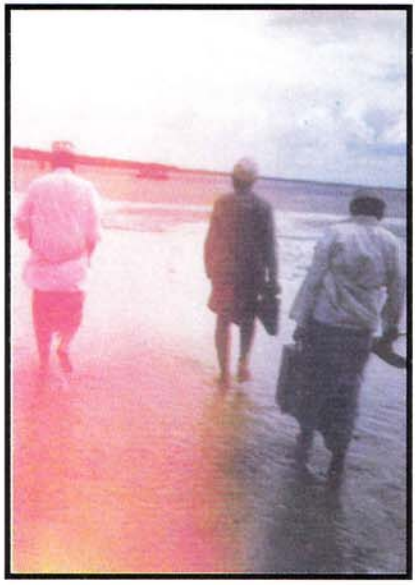

• في الطريق لخوض أحد المستنقعات

• بعض الطرق لايمكن للسيارة أن تسلكها

• راهبة ألمانية تعيش وسط المنكوبين في موزمبيق في ظروف أمنية خطيرة جداً
والسيارة المرسيدس هدية من حكومة ألمانيا

• تعطلت السيارة في الطريق وسط الطين والطريق شبه مهجور

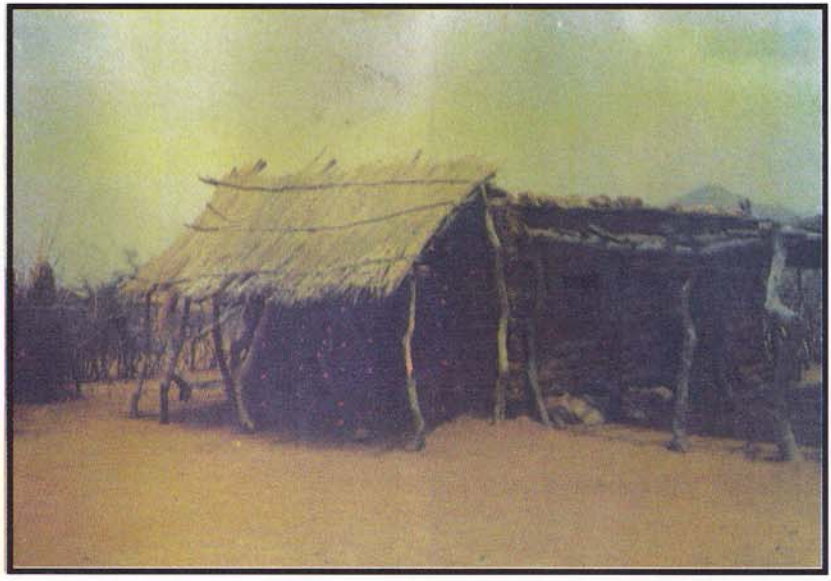

• مسجد للمسلمين من القش والطين

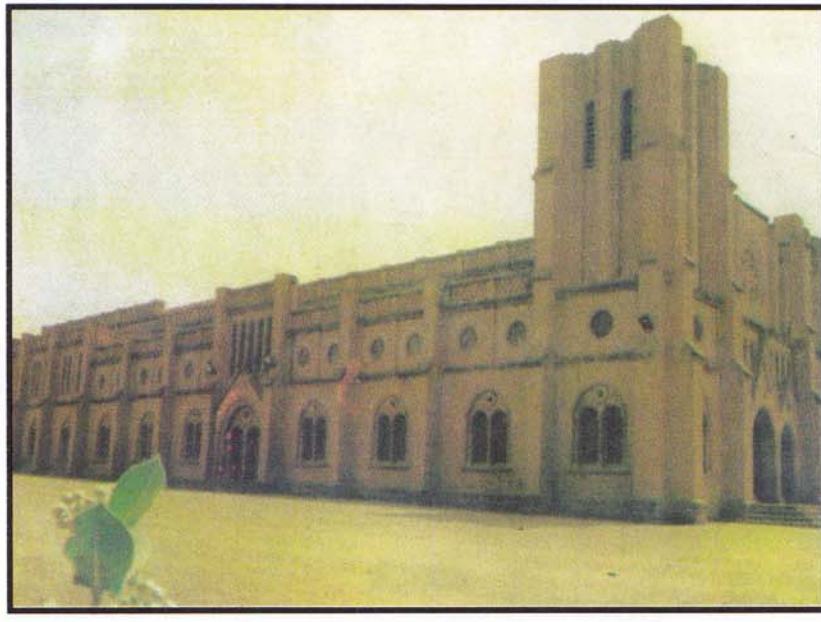

• كنيسة كاثوليكية ضخمة في منطقة إسلامية

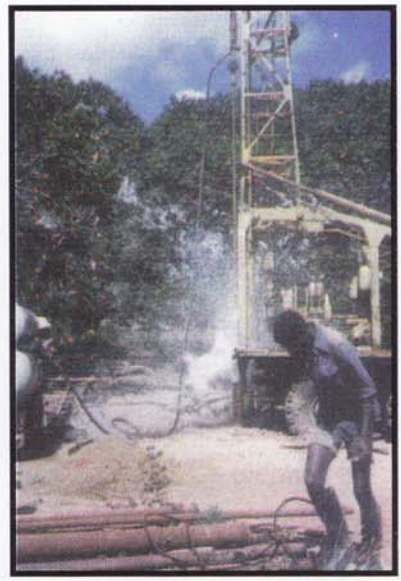

• الماء ينفجر ينبوعا من أحد الآبار العميقة التي نحفرها

• ولدي صهيب وقد قبض على تمساح عمره ٨ أشهر ولو كان التمساح اصغر لكانت أمه تحميه ولو كان أكبر لافترس من يقترب منه

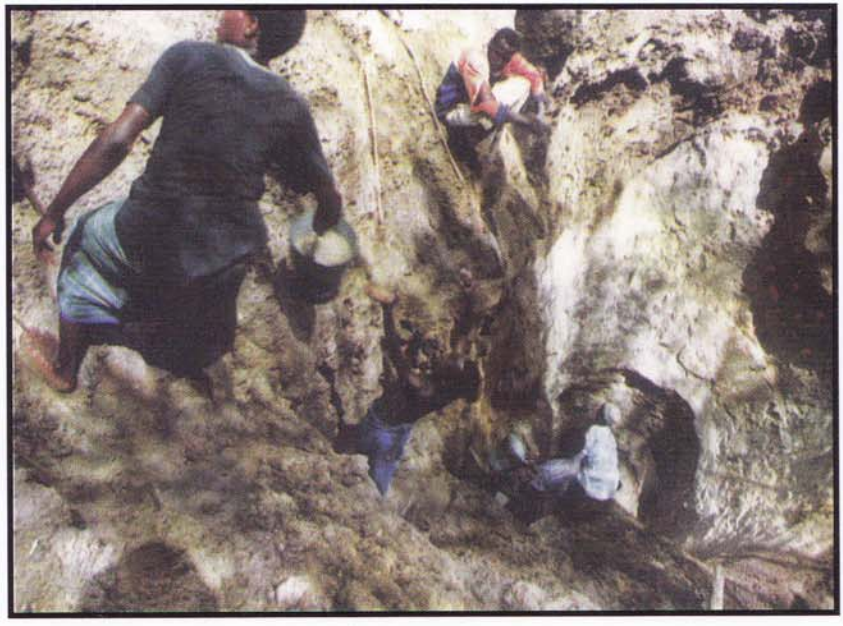

• استخراج الماء في قرية اسا بواسطة سلسلة بشرية تنقل الدّلو من شخص الى آخر وهي عملية خطره جدا اذ كثيرا ما ينهار الرمل ويقتل الاشخاص العاملين في استخراج الماء

موظفي الدولة في أعمالهم لصالح الشعب ، وإذا ما عاش العالم في سلام ، فإنه لا شيء يمنع الحكومة الصالحة ، وجد حيوان كي-لن أم لم يوجد) .

وفي السنة التي تليها ، شاءت الأقدار أن يهدي حاكم ماليندي زرافة أخرى إلى نفس الإمبراطور ، فثارت ضجة أكبر في البلاط الصيني ، وقام الإمبراطور بأمر صناع السفن بصنع أكبر سفينة في عهده سنة ١٤١٧ ، بحمولة ٣ آلاف طن ، أبحرت ٦ أشهر حتى وصلت إلى ماليندي تحمل معها سفير ماليندي الذي قام بزيارة الصين ، ولقد بقيت الزرافة في البلاط الصيني رمزا للأعمال الصالحة . (١)

والمعروف أن ماليندي بناها العرب ، ولازالوا يشكلون جالية كبيرة فيها ويبنون بيوتهم منذ القديم على نفس طراز البيوت في حضرموت ، وكانت لهم عادات قديمة إندثرت مع الزمن ، منها أن الشخص عندما يتزوج يحفر حفرة عميقة يضع فيها مادة الجص ويدفنه لمدة حوالي عشرين سنة حتى (ينضج) الجص حتى يبني ولده به منزلا له عند زواجه ، حيث يكون الجص قد أصبح من نوعية ممتازة .

وكانت ماليندي بعكس جميع المناطق والمدن الإسلامية قد فتحت ذراعيها للبرتغاليين ، ورحبت بهم عند وصولهم في القرن السادس عشر ثم إحتلالهم للمنطقة ، بل وحتى إستيلائهم على الجمارك وتحكمهم في طرق التجارة ، ولم يشتكي ملك ماليندي العربي إلا بعد أن بلغ السيل الزبى وقام

---

(١) مارتن : ايزموند برادلي ، تاريخ ماليندي بالإنجليزية .

MARTIN.E.B. THE HISTORY OF MALINDI (EAST AFRICA LITERATURE BUREAU 1973)

البرتغاليون بسرقة بعض العرب ، فأرسل عدة رسائل إلى ملك البرتغال يشتكي من ذلك ، بل قام البرتغاليون في موزمبيق بسرقة سفينة الملك العربي رغم أنها كانت تحمل كل الأوراق المطلوبة من البرتغاليين ، ولم تتم إعادتها إلا بعد عدة سنوات ومراسلات كثيرة .

والذي يقرأ التاريخ البرتغالي عن المنطقة يجد العجب العجاب ، حيث يذكر القس فرانسيس خافير ، أحد العاملين في الحكومة البرتغالية ، أنه زار ماليندي عام ١٥٤٢ وقابل الناس هناك ، حيث أخبروه أن ثلاث مساجد فقط لازالت مفتوحة في المدينة من ١٧ مسجدا ، وحتى هذه المساجد الثلاثة تشكو من قلة المصلين ، كما يذكر في مذكراته أنه قابل قاضي المسلمين في مالندي وأخبره القاضي " أنه إذا لم يأت النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ويزورهم خلال ثلاث سنين من الآن ، فإنهم لن يؤمنوا به ولا بدينه ..!! " ، ورد القس بأن " من رحمة السماء أن يجعل الخاطئين من أمثال أتباع الإسلام يعيشون في شك وتوتر بدون أن يعرفوا سببا لذلك نتيجة إتباعهم دين محمد " ، وعلينا بعد هذا أن نصدق هذا القسيس وهو ينقل عن القاضي هذا الكلام .. فهل يعقل أن يتفوه مسلم بسيط دعك من قاضي بهذا الكلام وجميع المسلمين يؤمنون أن سيدنا محمد صلى اللـــه عليه وسلم لا يمكن أن يعود في هذه الدنيا !؟ وهذا مثال على صدق بعض الغربيين في نقل ما يرونه ويسمعونه .

والطريف أن البرتغاليين تعاونوا مع قبائل الزمبا البدائية المتوحشة التي هاجرت من المنطقة الجنوبية في أفريقيا حول نهر الزمبيزي ، وكانت هذه

القبائل من أكلة لحوم البشر ، فسهل لهم البرتغاليون دخول مدينة ممباسا في عام ١٥٨٩ ، حيث قتلوا وأكلوا كل شيء حي في طريقهم ، رجالا ونساءا وأطفالا وكلابا وحتى القطط والفئران والأفاعي والسحالي ، كما يذكر بعض المؤرخين ممن شاهد هذه المذبحة حيث أكلوا جميع العرب والأتراك في ممباسا ، وسبق أن قتلوا وأكلوا ثلاث آلاف مسلم في مدينة كيلوا قبل سنتين ، ولكنهم عندما هاجموا مالندي ، تصدى لهم ثلاثون جنديا برتغاليا مع بعض التجار العرب ، حيث قتلوا من الزمبا مئات بالأسلحة النارية ، ولكن رجال قبائل الزمبا إستطاعوا كسر الطوق نظرا لكثرة عددهم وإستطاعوا الدخول إلى بعض أجزاء المدينة ، ولكن جاءت نجدة من حيث لم يتصور أحد ، إذ أن القبائل الأفريقية الأخرى المجاورة للمدينة قامت بهجوم كبير من الخلف بالحراب والسهام والسيوف ، حيث تم إبادة جميع أفراد القبيلة المتوحشة ما عدا عشرات منهم هربوا إلى الغابات متفرقين ، ويعتبر بعض المؤرخين البريطانيين أن هذه المعركة كانت أكثر المعارك تأثيرا في تاريخ أفريقيا ، إذ كان من الممكن أن يستمروا في طوفانهم ليبيدوا الجنس البشري في أفريقيا .

ولقد سيطر البرتغاليون على منطقة شرق أفريقيا ، حتى إستطاع العمانيون بقيادة عائلة المزروعي إخراجهم بعد معارك طاحنة في عام ١٧٢٩ ، وبعد أن تركوا العرب والمسلمين يعيشون أقرب ما يكونون إلى وضع العبيد في فقر مدقع ، كما وضعهم القس جاسبر برناردیلو بعد أن سرق البرتغاليون ممتلكاتهم وأرهقوهم بالضرائب رغم كل الولاء والإستعباد الذي رضي به حكام ماليندي تجاه البرتغاليين ، وزارها الاوربيون فى المدة الاخيرة ، وحولوا

شواطئها إلى فنادق تنشر الفساد ، يقوم هؤلاء الاوربيون رجالا ونساء بافساد أولادنا وبناتنا مستغلين فى ذلك فقرهم المالى والعوز المادى الذى يعيشون فيه والجهل بمبادىء الإسلام .

هنا أنشأنا مسجدا ومدرسة دينية ومستوصف داخل السجن ، وأشترطنا أن تقوم بخدمة الناس من خارج السجن ، ففرح المسئولون عن السجن فرحا كبيراً ، وعندما انتهينا من المشروع أتى مدير عام السجون وهو غير مسلم من العاصمة نيروبى خصيصا لافتتاح المشروع ، ويستفيد سجناء المسلمين واهالى القرى المجاورة بفضل الله عز وجل من هذه الخدمات ...

الأفارقة أقرب إلى الإسلام :

وفي افريقيا الكثير من المسيحيين يشعرون أنهم اقرب إلى الإسلام والى فطرتهم منهم إلى دينهم الرسمي ولقد ذكر احد كبار ضباط الجيش الكيني الذي قضى فترة للتدريب في باكستان ورأى كيف يعيش الناس شهررمضان المبارك وتأثر بذلك ، وذكر ان معظم المسيحيين الافارقة اصبحوا مسيحيين بسبب التعليم والمدارس التي تشرف عليها الكنيسة وان المسيحية ليست دين ابائه ولا أجداده ورغم انه يذهب للكنيسة كل احد (حيث اصبح ذلك عادة اكثر منه عبادة) إلا انه على يقين في قلبه ان المسجد احق بالدخول ، والإسلام احق بالاتباع .

ولقد كان رئيس جمهورية سيراليون السابق الجنرال جوزيف سيدو موماه (يوسف سعيد محمد)وهو مسيحي يحب الإسلام ويدافع عنه ويقدم لنا الكثير من التسهيلات ويحثنا ان نكون اكثر نشاطا من البعثات التبشيرية المسيحية

وكتب اول رئيس لسيراليون د .اسحق ستيفن فى مذكراته المطبوعة ، (رغم انه مسيحي إلا انه يشعر ان الإسلام اقرب إلى قلبه والى فطرته وان المسيحية لا تلائم الافريقي) .

وعرض رئيس جمهورية بوركينا فاسو السابق كابتن جوزيف سنكارا على المسلمين هناك بعد ان جمعهم ، انه سوف يسلم اذا ما اجتمع المسلمون وقضوا على خلافاتهم في بوركينا فاسو .

الطريف فى ذلك أن كثيراً من الزعماء الافارقة يؤمنون بالشعوذة والسحر وجميع الرؤساء الافارقة في وسط وغرب افريقيا لديهم مشعوذون يدعون أنهم مسلمون فهم لايثقون بالمشعوذين المسيحيين ، كما يقوم الكثير من هؤلاء الزعماء بارسال اعداد من المسلمين للحج كل عام على حسابهم رغم ان الزعماء انفسهم غير مسلمين حتى يحصلوا على بركة الحج .

ومن المعتاد ان يأتي الكثير من المسيحيين والوثنيين في هذه الدول إلى المسلمين الذين ينوون الحج ويقدمون لهم الهدايا حتى يدعون لهم في الحج واخبرني بعض المسلمين ان رجال اعمال مسيحيين دفعوا لهم كل تكاليف الحج من اجل ان يدعوا لهم في مكة ...! وهذا يبين ان فطرة الافريقي حتى لو كان مسيحيا أقرب إلى الإسلام .

قبل مدة أسلم شاب عمره ثمانية عشر سنة في بلدة كليفي وقال ان أباه قد أسلم قبله ولكنه لم يكن ليعرف شيئاً عن الإسلام لانه لايمكث فى البيت بسبب ظروف المعيشة ، يتنقل من مكان إلى مكان بحثا عن عمل ، وعندما عاد إلى البيت وجد أن اباه صار مسلما يصوم رمضان ويصلى وان امه بقيت

كافره ، ولكنها تحترم اباه وخاصة فى شهر رمضان ، ولاتعادى الإسلام ، وبعد فترة تأمل جاءنا إلى المسجد وقرر أن يعلن الشهادتين ، ورجانا رجاءا حارا أن نعطيه ثوبا أبيضا كالذى نلبسه ، والحقيقة أن الالاف يطلبون هذه الثياب البيض ولكن مع الاسف الشديد لانملك إلا اعدادا لاتزيد عن اصابع اليد الواحدة ، وبعد اسلامه مرت جماعة التبليغ والتى مقرها باكستان بالمسجد فألتحق بهم ، وبعد حوالى اسبوع عاد لنا يشتعل نشاطا ، يحافظ على الصلوات الخمس فى المسجد ، ويحاول أن يكون صورة صغيرة من مبادىء جماعة التبليغ .. وقد فرحت فرحا كبيراً بذلك وهذه القصة تصور مدى اهمية الجماعات الإسلامية المختلفة اذا لم يكن بينها نزاعات او خلافات ، أو كانت هذه الخلافات فى مكانها الطبيعى لإستطعنا إصلاح الاوضاع السيئة التى تعيشها مجتمعاتنا الإسلامية اذا لأصبحوا فريقامتكاملا كالفرق الرياضية كما حدث هنا اذ أن هذا الشاب أسلم عن طريق دعاة لجنة مسلمي افريقيا وقامت جماعة التبليغ بالتركيز على الجوانب الروحية وبعض الجوانب العبادية ثم أكملنا معه الطريق .

سرنا بعد ذلك إلى منطقة تاراسا على بعد ٣ ساعات بالسيارة فى طريق وعر ، ودخلنا مركزنا هناك وهو مركز مكون من مسجد ومدرسة ودار للأيتام ومرفقاتها ، بالاضافة إلى مزرعة ، ولعلمى ان هناك ابقارا تابعة للمركز فلما سألت عنها قيل لى انها فى القرية ، فغضبت لذلك .... ولم لا تكـون فى المركز ؟ ... أبلغت أن هناك اسدا فى المزرعة والغابة التابعة للمركز وانهم يخشون على الابقار من هذا الاسد .

ربما كان الإنسان له خبرة فى بعض مشاكل التدريس وفى وجود بعض المعلمين السيئين أحيانا ، أو بعض الطلاب السيئين ، ولكن من الصعب جدا أن نجد انسانا عربيا مثلي له خبرة فى اخراج الاسد من داخل مركز إسلامي ، لقد طلبت من الاخوة قلع جميع الاشجار فى الغابة التابعة للجنة والبدء بزراعتها ، فوافقوا ولكن طلبوا أن نعين بعض الحراس لحماية المزروعات من القرود التى تقوم بالعبث بهذه المزروعات وسرقة الفواكه والخضروات .

ذكر لى القائمون على المركز من دعاتنا بانه قبل ايام دخلت الإسلام قرية كاملة بعد ان شعرت ان هويتها الحقيقية هي الإسلام ، ... وقد أسلم زعيم احدى القرى القريبة ، وبدأ يداوم عندنا فى المركز وعندما استنكرت عليه أن يجلس فى نفس الصف مع الأيتام الصغار ... قال لي أنه منذ أسلم وهو يتشوق لمعرفة دينه وأحكامه ، لهذا فانه يضحى بلقمة عيشه من أجل الحضور لتعلم عقيدة الإسلام .... وأبلغونى أن الطلبة الكبار والايتام الكبار فى المركز يخرجون إلى الدعوة فى كل اسبوع فى بعض القرى القريبة ، وانهم ماعادوا يوما من الايام إلا وقد أسلم شخص أو اكثر ، وانهم يتابعون أولئك الذين أسلموا بعمل دروس لهم وتشجيعهم على اقامة مسجد من القش ، وزيارتهم بين الحين والاخر .

فرحت لهذا لانى شعرت بأن المركز بدأ يقوم بجزء من دوره الحقيقي ، فدور المركز ليس محصورا فى اسوار المركز ، ولكنه يجب أن يقدم خدمات للمناطق المجاورة ، ولقد اقترحت على القائمين على المركز أن نختار من كل قبيلة من القبائل فى المناطق القريبة مابين ٣ إلى ٥ اشخاص وأن نسكنهم

في المركز ونضع لهم منهجا لمدة سنتين ، ندرسهم مبادئ الإسلام وطرق الدعوة وطرق التدريس وبعض العلوم العصرية التى تنقصهم ، ثم نرسلهم إلى قراهم للدعوة هناك .

وحول المركز توجد قبائل كثيرة فى اعتقادى ان اصولها إسلامية ، ولكن بسبب موت العلماء وعدم وصول الدعاة اليهم بدأوا يفقدون هويتهم وضاعوا فأصبح بعضهم وثنيين وأصبحت أقلية منهم مسيحيين ، ولكن تجد لديهم حباً للاسلام واحتراماً للمسلمين .

وتنوى لجنة مسلمى افريقيا فى حالة توفر الرجال المخلصين الذين نذروا أنفسهم لله عز وجل ، والامكانيات المالية أن تبدأ برامج خاصة بكل قبيلة من القبائل ، ومن ضمن هذه البرامج ان نأتى بدعاة يرسلون إلى هذه القبائل لنشر الإسلام فى أوساطهم ، كما ننوى ان شاء الله تدريب بعض افراد هذه القبائل ضمن برامج خاصة فى مراكزنا الإسلامية التابعة للجنة أو مراكز إسلامية اخرى ثم ارسالهم مرة ثانية إلى قبائلهم ومتابعتهم بعد ذلك ، ومن ضمن هذه البرامج بناء مؤسسات إسلامية من مدارس ومستوصفات ومساجد ودور ايتام ودور لتدريب النساء ومكتبات وغير ذلك .. بالاضافة إلى الخدمات كآبار المياه وتوزيع المعونات كالملابس المستعملة وأغذية فى حالة وجود مجاعة ، ومساعدتهم عند النكبات كالحرائق وغيرها .

في مدينة غارسيني :

... مدينة غارسينى تقع على بعد ٢٢ كيلو من تراسا والطريق لابأس به ترابى ، وتستقبلك فى غارسينى عدد من الكنائس على اليمين والشمال فى

مدخل المدينة ، ويبلغ عدد الكنائس الموجودة ٨ كنائس بينما لايوجد شخص واحد من سكان المدينة الاصليين غير مسلم ، ولربما تستغرب حين تعلم أن قسيس احدى الكنائس وهى الكنيسة الميثودست واسمه الاب جون غردانا ، وهو افريقى ترتاد زوجته المسجد وتحضر الحلقات والدروس الإسلامية ، كما أن اولاده يقودهم هو بنفسه لحضور الكتاتيب القرآنية ويتعلمون اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي ويحضرون الصلوات فى المسجد ، لربما سائل يسأل كيف يمكن هذا ؟ ... الجواب .. هو أن الافارقة فى غالبيتهم العظمى لازالوا على فطرتهم التى فطرهم الله عليها ، فهم أقرب مايكونون إلى الإسلام ، وقد جاءت الكنيسة وحاولت تغييرهم وفشلت فى الغالبية العظمى من الحالات ، وفى الحالات النادرة جدا لم تستطع الكنيسة إلا أن تزرع الحقد والكراهية العمياء للاسلام والمسلمين ، وترى بعض المسيحيين الذين لايلتزمون بشئ من الاوامر التى أمر بها عيسى المسيح حسب تعليمات الانجيل عندهم ، وهى أقل مايكون ، كتحريم الزنى ، وتحريم السرقة ، وغير ذلك ، ولكنهم مع ذلك يحقدون حقدا دفينا على الإسلام ، واذكر فى هذا المجال الكثير من السياسيين الذين تربوا على يد الكنيسة لم يبق لهم من تعاليم إلا كراهية المسلمين والحقد عليهم حتى أنهم لايفرقون بين مايجب أن يقال علانية وبين مايقال وراء الكواليس .

ورأينا تجمعا كبيراً أمام احدى الكنائس وظننا أن هناك مظاهرة ضد الكنيسة ولكن اكتشفنا ان المسئولين الحكوميين وهم من النصارى قد جعلوا الكنيسة مقرا لتوزيع بطاقات الجنسية وبطاقات الانتخابات ، ولايوجد فى

المدينة مكان آخر لهذا الغرض ، والهدف واضح جدا ، فالناس هنا مسلمون ١٠٠٪ ويكرهون الدخول للكنيسة إعتزازا بدينهم ، والحكومة هنا أو المسؤولون الحكوميون يستغلون الانتخابات لكسر أنفة المسلمين واستعلائهم ، كما أن أغذية برنامج الغذاء العالمى توزع كذلك فى الكنيسة ، وإلا فلماذا لم تستعمل مدرسة من المدارس أو دائرة حكومية لهذا الغرض .

أعجبنى فى هذه المدينة وجود مركز لتدريب النساء ولأن الناس فقراء فقد بنوه من القش والواح الخشب ، حاولنا أن نبحث فى المدينة عن كرة قدم لنشتريها لايتامنا فى تراسا ولكننا مع الاسف لم نحصل علي أى كرة لا كبيرة ولا صغيرة .

من هناك امتطينا السيارة اللاندروفر إلى قرية أسا على بعد ٨٠ كيلومترا شمال غارسين حيث سمعنا أنها نكبت بالمجاعة والطريق الترابي ضيق و متعرج لتحاشي أشجار الغابة الجرداء من أي ورق أخضر بسبب عدم نزول الامطار ولم نر أي علامة على أي حياة انسانية خلال هذا الطريق الموحش وكنت أرى مرافقي الشيخ ابراهيم مدير مكتبنا يستغل الفرصة في تلاوة حزبه من القرآن بينما كان الغبار يتجمع على نظاراتي .

وعند وصولنا للقرية التي تضم حوالي ١٥٠٠ شخص والمباني كلها من القش أو الطين ماعدا المدرسة التي بناها بعض القسس المسيحيين من غارسين اتجهنا إلى المسجد المبني من الطين حيث صلينا الظهر وتعرفنا على المصلين الذين كانوا يملئون المسجد ثم ذهبنا إلى منزل زعيم القرية وهو مسلم متحمس ذكر لنا مانسمعه عادة في معظم الاماكن وهو أنه لأول مرة يزورهم شخص

من بلاد العرب بعد غياب يدل على عدم اهتمام العرب باخوانهم المسلمين في هذه القريه شرح لنا أن القرية كانت تعتمد في شرب المياه على مايجمعونه من مياه الامطار في حفرة كبيرة مساحتها حوالى ٤٥ ألف متر مربع وعمقها حوالى مترونصف يشربون منهاوحيواناتهم ولكن الامطار لم تنزل لعدة سنوات فجفت وبدأوا في حفر ابار لهم ولكن الارض هنا رملية سرعان ماتنهار وقد قتل في اليوم السابق لوصولنا ٩ أشخاص من أهل القرية بسبب انهيارات الرمال عليهم .

وذكر أن القسيس يزور القرية بانتظام رغم أن جميع أهل القرية من المسلمين المتمسكين بدينهم ولم يتنصر أي مسلم ولكنهم لم ييأسوا منهم ، مازالوا يقدمون المساعـــدات للأهالي منذ عدة ســـنوات وذكـــر أن المجاعـــة التي ماتت الحيوانات بسببها ستكون فرصة لهم خاصة مع موت بعض العائلات الفقيرة .

أخذنا إلى حيث الحفائر والابار واستغربنا كيف يشكل الناس سلسلة بشرية من قاع البئر إلى سطح الارض ويرفع أحدهم الدلو التي تمتلئ بالاوساخ والرمال إلى الشخص الواقف اعلى منه وكم من مرة تحركت الرمال قليلاً تحت أقدام أحدهم لترى حالة الاستنفار عند هذه السلسلة استعداداً لملاقاة الموت كل هذا من أجل بضع رشفات ماء نشرب مثلها عشرات المرات دون أن نعرف مقدار هذه النعمة التي أنعم الله بها علينا .

اشترينا ثلاثة ثيران وذبحناها ثم كلفنا لجنة من امام المسجد وزعيم القرية وبعض وجهاء القرية بتوزيع اللحم على المحتاجين وكانت الفرحة على

الوجوة أشبه ماتكون بفرحة العيد .تناولنا طعام الغداء عند شيخ القرية وأظنه قدم لنا أغلب مايملك من طعـام كيف لا ونحن عرب نزور القرية لأول مرة في تاريخها ثم فوق هذا وذاك نذبـح لهم ثلاثة من الثيران للمحتاجين وقبل ان نغادر رجانا ان نعود مرة اخرى .

صلينا العصر في المسجد ثم اتجهنا إلى غارسين مرة اخرى حيث وصلناها بعد ساعتين قبل الظلام فالطريق لايبعث على الطمانينه وماسمعناه من حوادث قامت بها العصابات المسلحة التي زاد من نشاطها هذا الجوع والجفاف يجعل دم البعض يتوقف في عروقه ولكن لاأدري لماذا تركت هذه القرية أثرا في قلبي وكم اتمنى لوزرتها مرة اخرى وقضيت وقتا أطول مع أهاليها .

وظللت أفكر بيني وبين نفسي لماذا أحب هؤلاء المسلمين الضعاف الفقراء الافارقة السود من أعماق قلبي يفترض أن لاشئ مشترك بيني وبينهم سوى الدين واذكر قولا لأحد كفرة العرب الذي ألف كتابا ضخما سماه " الايدلوجية الانقلابية " (١) وكان آنذاك في قمة المد الاشتراكي الثوري العربي وسطر فيه

---

(١) كتاب الايدلوجية الانقلابية تأليف د . نديم البيطار وملخصه ان كل تأخر في عالمنا العربي والإسلامي بسبب تمسكنا بالإسلام الذي عجز ان ينهض بالعرب ... هكذا ...!! وهو يقيس مدى تخلف الدول التكنولوجي بمقدار تمسكها بالدين رغم أنه نفسه يروي « أن البابا في روما في بداية الخمسينات من القرن العشرين رأي الشمس تترك مكانها وتقترب من الارض كي تدمرها ثلاث مرات مختلفة أثناء النزهة اليومية للبابا في حدائق الفاتيكان ولكن مريم العذراء تتدخل في الوقت المناسب وتظهر لتعيد الشمس الى مكانها » فلماذا لم يتهم ايطاليا وفرنسا والمانيا واسبانيا وغيرها من الدول الكاثوليكية التي لم تنكر هذه القصص بالتخلف ثم ألم ترفض المحكمة العلية الإعتراف بيهودية حفيدة بن جوريون لأن أمها لم تكن يهودية ومنعت الحاخامية الكبرى في اسرائيل بناء مطبخين على البواخر الاسرائلية أحداهما يقدم الطعام الحلال من و جهة نظر الحاخامات أنفسهم والآخر يقدم للآخرين مايطلبـون واصـروا علـى ان الخطـوط *

صفحة ملأها بالسب والشتم لكل العرب حتى الماركسيين منهم لأنهم لم يقرأوا الماركسية الحقة وهي قائمة على أساس معاداة الدين واذكر ان هذا الدكتور أخذ كنموذج أحد حكام دول الخليج كسبب لتأخر الامة وتوقعت أنه سيذكر انه يعادي العلم أو أنه رفض نظم الادارة الحديثة في الدولة أو أغلق المدارس مثلا ولكن دكتورنا العبقري ذكر السيئة الكبرى في هذا الحاكم انه يدعو للعودة إلى الله في احدى خطبه ....!

تعسا للكفار الصغار خاصة بعد انهيار جنة الشيوعية وانكشافها عن اسوأ عورة ، اذكر مما قاله هذا الكافر "الاشتراكية تؤمن بمساواة جميع الناس بسبب مايملكونه من عقل ، وليس بما يتميزون به من قيمة اخلاقية أمام الله " .

لاادري أي مساواة يتكلم عنها فان كان يتكلم عن الاشتراكيين العرب فانظر إلى قصورهم وأولادهم .. ام الاشتراكيين السوفييت فقد كانوا طبقة اجتماعية خاصة يعرف عنهم كل من قرأ أو اختلط بالمجتمع الروسي ايام الشيوعية .. لننظر إلى هذه المشاعر الاخوية الودية التي حملتها عن اخواني في هذه القرية ونقارنها بمشاعر الرفاق الروس حينما كانوا يطالبون بطرد الافارقة ويناشدون " ان يعودوا إلى الغابة لانهم قرود " .

إن الإسلام ازال كل الفوارق التي لم تستطع الحضارات الغربية والافكار

---

*المملوكة لحكومة اسرائيل يجب أن لا تقدم سوى طعام (الكوشر) الذي يباركه الحاخامات ورغم هذا الارتباط الوثيق بين الدين والدولة في اسرائيل الا انه لا الكتاب ولاغيره يتهم اسرائيل بالتأخرالتكنولوجي ، لقد كنا نأخذ الجزية من ملوك الدنيا يوم رفعنا راية لا اله إلا الله أما اليوم عندما تركنا شرع الله ومحوناه من حياتنا فقد تأسست عشرات الجمعيات لحماية الحيوانات من الاضطهاد ولا توجد جمعية واحدة لحماية العرب من الاضطهاد .

الشيوعية ان تزيلها من قلوب الناس فالولايات المتحدة كمثال اصدرت قوانين لمنع التفرقة العنصرية ولكن لم تستطع أن تفرض على البيض حبهم للسود وتزيل منهم كراهيتهم لهم في الولايات المتحدة .

رحم الله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقول " ابوبكر سيدنا واعتق سيدنا " يقصد بلال بن رباح العبد الحبشي .

ويتألم ابن الخطاب أشد الالم لوفاة العبد سالم مولى ابي حذيفة لأنه كان ينوي جعله خليفة المسلمين من بعده ويطلب أبو ذر من العبد بلال أن يطأ خده لأنه قال له : ياأبن السوداء ... وعشرات القصص التي تشع بعدالة الإسلام الخالدة .

من هناك انطلقنا إلى مدينة هولا فى طريق يخترق الغابة ، وكنا نرى الغزلان تقفز فى مرح وحبور ، والزرافة برقبتها الطويلة تأكل من اعلى الاشجار تاركة المناطق السفلية للابقار والجمال وغيرها من الحيوانات ... وجلست اتمعن وانظر إلى خلق الله وعظمته من خلال هذه الزرافة ، اذ ان رأسها يرتفع حوالى ٦ أمتار عن الارض ، وهو يرتفع عن قلبها مالا يقل عن ٣ أمتار فكيف يستطيع القلب ان يضخ الدم هذه المسافة ، وكيف لاتصاب الزرافة بدوار أو اغماء أو فقدان للشعور نتيجة ارتفاع رأسها ، ان الله يخلق الخلق وكل مايستطيعه الإنسان الذكى والعالم العبقرى ان يكتشف بعض عجائب ماخلق الله سبحانه وتعالى ... فسبحانه عما يقولون (علوا كبيراً)

ذكريات رحلة سابقة في نفس المكان :

اذكر فى زيارة سابقة إلى هذه المنطقة كان المطر ينزل وكانت الارض

طينية وكنا قد إستأجرنا سيارة لاندروفر قديمة ، وقبل أن نبدأ رحلتنا ، إكتشفنا أن عمود الكرنك (قطعة مهمة في السيارة) مكسورة وعلينا بتبديلها وقمنا بذلك وبدأت الرحلة في طريق ترابي مليء بالصخور والحفر ، ولو كان معنا لبن لإستخرجنا الزبدة منه خلال كيلومترٍ واحدٍ نظرا للمطبات ، وهذه المرة كانت الأمطار غزيرة على غير العادة وإستمرت عشر ساعات ، وبدأت السيارة تنزلق عن الشارع وضربت بجنبها الأشجار المجاورة عشرات المرات ، ومن رحمة الله أن هذه الأشجار لم تكن عالية وإلا لتهشمت السيارة ، وفي كل مرة تتزحلق السيارة إلى جانب الطريق ، كانت الأغصان المليئة بالأشواك تدخل علينا من النافذة ، وخلال الطريق الذي إستمر خمس ساعات ونصف ، كنا نرى قطعان الغزلان وحمر الوحش ومجموعات من القرود والخنازير البرية أمامنا ، وأخبرنا السائق أنه عندما تمطر السماء ، فإن حمر الوحش تحاول السير على الشارع لأنه أكثر أمانا من البحيرات التي تتكون بسبب الأمطار ، كما رأينا مئات الأنواع من البط والطيور الأخرى .

سألني رفاقي إن كنت أفضل العودة بسبب وعورة الطريق وخطورته ، ولكني تذكرت أنني جئت من أجل مهمة لابد من إنجازها .

وفي إحدى المرات التي غرزت عجلات السيارة في الطين وتوقف المحرك ، أراد السائق أن يطمئننا لأن الظلام بدأ يحل - لا فض الله فاه - فقال لا تخشوا بأسا ، إن هناك قرية فيها مسلمون على جانب الطريق وعلى بعد ٩ كيلومتر ولديهم إبل وأبقار يمكن أن نشرب من حليبها ، وتسعة كيلومتر عند إخواننا السواحيليين قد لا تعني أي شيء حتى ٩٠ كيلومترا ، وحتى لو

كانت المسافة ٩ كيلومتر فتصور أن تسير على غير هدى وبدون طريق وسط الغابات والمطر الشديد والوحل الكثير والشوك ، لكن فضل الله كان علينا كبيرا ، إذ إستطعنا الوصول إلى المحطة الأولى وهي مدينة هولا ويسكنها حوالي ١٠ آلاف نسمة ، ونمنا عند أحد التجار الذين جاء آباؤهم من حضرموت وإستقروا في هذه البلدة ، وإستيقظنا قبل الفجر لنلحق بالصلاة في مسجد البلدة في الطرف الآخر ، بعدها قمنا بزيارة للأيتام ، وهي زيارة مليئة بالفرح والحزن في آن واحد ، فرح لأن الكثير من أيتامنا حصلوا على درجات عالية جدا في المدرسة الحكومية ، فهم يحصلون على رعاية لا يجدها أي طفل في المنطقة ، وكانت تلاوتهم للقرآن جميلة ، رغم قصر المدة التي قضوها معنا ، والجانب المؤلم في هذه الزيارة لقاؤنا مع بعض الأيتام الذين لم يستطيعوا أن يتلقوا أي علم في المدرسة أو في دار الأيتام بسبب تخلفهم العقلي ، وقد كان السبب في هذا التخلف كما ذكر طبيبهم المعالج سوء تغذية شديد في مراحل الطفولة منعت نمو قدراتهم الذهنية ، وذكر الطبيب كذلك أن جميع أيتامنا مصابون بدرجات مختلفة من سوء التغذية عندما قبلناهم لأول مرة ، فالمحظوظ منهم كان يأكل وجبة واحدة من الدقيق في اليوم ، ولم يكن بينهم أي طفل يأكل ٣ وجبات يوميا في منزله .

وقد تم إعداد برنامج الأكل الأسبوعي بواسطة شخص مختص بالتغذية ، وبرنامج الأيتام اليومي يبدأ في صلاة الفجر في المسجد ثم تلاوة القرآن ثم الإفطار وغسل الأواني وتنظيف الغرف ثم المدرسة الحكومية والمذاكرة وبعض الدروس الدينية بعد المغرب .

أما أولئك الذين لم تستطع قدراتهم العقلية أن تجعلهم يستمروا في دراستهم ، فإننا قد بدأنا برنامجا خاصا بهم لتدريبهم النجارة والخياطة ، تذكرت سؤال الله لنا عن هؤلاء كيف تركناهم يعانون مدى الحياة لأنهم لم يجدوا لقمة العيش ، أستغفرك اللهم يا رب . نسيت أن أذكر أنني حملت أصغر الأيتام سنا وطلبت منه أن يذكر أغلى أمنية عنده ، فقال أريد أن أذوق البسكويت الذي أراه في أيدي الأطفال الآخرين ولم أذقه في حياتي .

بعد الفجر إلتقيت ببعض كبار السن من التجار العرب وسجلت المقابلة على شريط فيديو ، لكن مع الأسف لم تسجل الكاميرا بشكل واضح ، المهم أن هؤلاء المعمرين بدأوا يتذكرون وصولهم لأول مرة قبل ٥٠ سنة إلى هذه المنطقة حيث لم يكن هناك مسلم واحد بين الأهالي وكانت النساء شبه عاريات ، فأقام التجار الحضارم مسجدا صغيرا يتسع لبضعة عشر شخصا ولم يكن يمتلئ ..!

وشيئا فشيئا بدأ الأهالي يدخلون في الإسلام أفواجا أفواجا حتى لم يبق شخص واحد من قبائل الأورمو على غير الإسلام ، وكذلك دخل أكثر من ٩٥٪ من قبائل البكومبا في دين الله ، ويذكر أحد المعمرين أن القبائل المحلية كانت تدخل في دين الله بأعداد كبيرة بعد كل إحتفال بالمولد النبوي، حيث توزع الأكل والحلوى وتستمر المواعظ أحيانا ٣ أيام متواصلة .

خرجنا في الثامنة والنصف صباحا إلى قرية وايو (WAYO)والتي نبني فيها مسجدا ونحفر بئرا ، وكان واضحا بشكل قاطع أنه لا يمكن الوصول إليهم بسبب الأمطار وأخبرني المسؤول عن مشاريعنا ، وهو تاجر

عربي ولد في المنطقة ، أنه من أجل أن لا يتوقف العمل فقد إستعار من الحكومة تراكتور كبير لنقل الأسمنت إلى القرية ، لأنه يعلم أن اللوري لا يمكنه أن يصل ولكن التراكتور غطس في الطين ولم يتحرك منذ ٤ أيام ، ويعلم الله ماذا حل بالأسمنت ، شعرت بالألم وأنا أفكر فيما نقوله للمتبرع بهذا المسجد وهذا البئر هل يصدق أننا تحملنا المشاق ولم نستطع الوصول ، وهذه هي المرة الثانية التي أحاول الوصول لهذه القرية ، فقبل سنة دهسنا طفلا صغيرا في الطريق وجلسنا أكثر من يوم في مركز الشرطة نحاول أن نقنعهم بالإفراج عن السيارة مع الإحتفاظ بكل المستندات التي يطلبونها ، خاصة وأن الطفل قد أصابه كسر بسيط وهو بخير وقد عفا أهل الطفل عنا ولكن الشرطة رفضوا وإضطررنا أن نعود بحافلة كبيرة إلى ماليندي .

وهذه المرة منعنا المطر ، نسيت أن أقول أننا أرسلنا مندوبين لنا أكثر من مرة لمتابعة مشاريعنا هناك ، آخر مرة كان هناك طفل صغير يلعب بأنبوبة صدئة جدا ثم ألقى بها في السيارة ولم ننتبه ، وفي الطريق فتش الشرطة السيارة وسألونا عن هذه الأنبوبة ، فذكرنا أننا رأيناها مع أحد الأطفال يلعب بها ولم ننتبه إليها في السيارة ، ولكن الشرطة أحالوا مندوبنا وسائقه للمحكمة بتهمة التعاون مع أعداء الحكومة وحمل أسلحة نارية لهم ..! لأن الأنبوبة هي لبندقية قديمة ..! وألقى بهما في السجن أسبوعين كاملين وبعد واسطات كثيرة تم الإفراج عنهم بكفالة مالية ، ولا زالت إجراءات المحكمة مستمرة ، للعلم لن يعرف أي إنسان أن هذه الأنبوبة الصدئة هي قطعة من بندقية إلا خبير يعرف البنادق جيدا ، لأنها ملقاة في الشارع على الأقل لمدة

عشر سنين ، نعود مرة أخرى لنحاول الذهاب إلى بلدة برة عاصمة الإقليم ، وبسبب الوحل كانت سيارتنا اللاندروفر تنزلق وتستدير ١٨٠ درجة عدة مرات حتى وصلنا ، وكم كنا سعداء ونحن نرى المسجد الأبيض يقام ويرتفع الأذان مرددا الله أكبر خمس مرات في اليوم ، لقد جن جنون القسيس الذي يشرف على المركز المسيحي القريب والذي يشمل مركزا إجتماعيا وكنيسة ومستشفى ومشغل لتدريب الحرف ومدرسة ...الخ إننا لم نفعل شيئا ضد هذا الرجل ، كل ما فعلنا أننا حاولنا خدمة المسلمين الذين لا يملكون مسجدا وهم يشكلون ٩٥٪ من السكان هنا ، بينما هناك ٥ كنائس ، وأنا على يقين بأننا لو قمنا ببناء مدرسة أو مستوصف بقرب المسجد لترك القسيس المنطقة وسافر .

في طريق العودة إلى بلدة هولا لم يكن هناك شيء يذكر ، السيارة توقف محركها ٣ مرات بسبب دخول الماء إلى الدائرة الكهربائية ، كما أن ماء الراديتور غلا عدة مرات وإضطررنا لتجميع ماء المطر من جوانب الطريق لنضعه في الراديتور .

عندما وصلنا إلى هولا ، إكتشفنا أن هناك أزمة حادة بالبترول والسكر والدقيق وأشياء أخرى بسبب إنقطاع الطريق نظرا للأمطار ، وبحثنا في كل مكان عمن يعطينا وقودا ، وبصعوبة بالغة أعطانا أحد المسلمين ٤٠ ليترا من البنزين ، هذا البحث أخرنا ساعة كاملة ، في هذه اللحظات جاءني مسئول الأيتام في هولا ومعه الطباخ الذي يعمل في دار الأيتام يطلب سلفة ٢٠٠ دولار أمريكي لكي يتزوج يسددها على ١٢ شهرا ، وقدم طلبا لشراء

مضخة ماء ليقوم الأيتام بزراعة أرض على النهر بكلفة ٢٥٠٠ دولار أمريكي ليتعلموا الزراعة الصحيحة في وقت مبكر .

وفي طريق العودة إلى مالندي ، رأينا سيارات كثيرة معطلة في الطريق بسبب الأمطار ، وكانت سيارتنا هي الوحيدة التي كانت تسير أو تنزلق سيرا (أحيانا) ، حيث توقفت مرات عديدة وغطست في الوحل مرات ونزلنا ندفعها حتى غطى الوحل نظارتي وتجمعت كميات منه على طاقيتي ، أما الملابس فحدث عنها ولا حرج ، وكنا نخوض في الوحل إلى الركبة وكأن ذلك لم يكن كافيا ، إذ بدأ المطر ينزل وكانت السيارة نادرا ما تسير في وسط الطريق ، إذ سرعان ما تنزلق إلى إحدى جانبي الطريق المنخفضة ، وبدأنا نفكر جديا في النوم في السيارة ، لقد فقدنا الأمل في اللحاق بالطيارة من مالندي ، ولا نفكر بالعطش فماء المطر يملأ آثار عجلات السيارات والحفر في جوانب الطريق كما أننا نحمل معنا بعض الموز ، والحيوانات المتوحشة نحن في مأمن منها داخل السيارة بإستثناء فيل هائج أو وحيد قرن أحمق ، ولكن نحمد الله أن لم نلتق بأي منها ، ومن رحمة الله بنا أن وصلت خلفنا بأعجوبة سيارة لوري كبيرة ، ولا أدري كيف إستطاع أن يتزحلق كل هذه العشرات من الكيلومترات وكيف خرج من الطين ، ونزل الميكانيكي من اللوري يساعدنا ، وبعد ساعة كاملة من مختلف المحاولات طلب منا دفع سيارتنا إلى جانب الطريق وتركنا السائق فيها وقبل - مشكورا - سائق اللوري أن نركب في الخلف ، وبين الحين والآخر كنا ننزل لندفع اللوري أو لنرفع بعض الطين من أمام العجلات ، طبعا الجلوس في خلف اللوري لا يعرفه إلا من جربه ، كنا

أشبه بكرة الطاولة نقفز في الهواء لنضرب أرضية السيارة لنقفز من جديد ، إستمر هذا الحال حوالي ٧ ساعات ، كان كل تفكيري منصبا على كيفية إقناع المتبرعين الذين لم نقم بزيارة مشاريعهم ، أما إحساسنا بالتعب والمشقة فقد كان أمرا ثانويا .

لقد أخذت معي آلتين للتصوير حتى نضمن أن إحداهما على الأقل ستعمل ، وكان إبراهيم شيخ إسحق ، مدير مكتبنا في كينيا ، قد أحضر معه عشرة أفلام إحتياطا ، فكم من مرة ذهب إلى أماكن نائية ثم يكتشف أن الكاميرا قد تعطلت بسبب الطريق ، أو قد يصور ولكن الفلم يحترق .

ما خفف التعب أحاديث الشريف حسين ، وهو تاجر من أصل حضرمي وأحد المتطوعين معنا وبجهده ووقته وهو يحدثنا عن كيفية وصول والده من حضرموت وبدأ في تأسيس عدد من المساجد والمدارس المتواضعة وكيف كان يسير مع أبيه أحيانا شهرا كاملا بين مدينتين من أجل الدعوة ، إذ لا يملكون آنذاك قيمة الجمل .

وصلنا بلدة غارسين ، وقد أخذ الجهد منا كل مأخذ وبدأ الشريف حسين يبحث عن سيارة ثالثة لتأخذنا إلى بلدة مالندي ، ولم يكن هناك أي باص أو حتى لوري ذاهب إلى هناك والوقت قريب من المغرب ، وبدأ يتصل بالتجار العرب في المنطقة ، وأخيرا عثرنا على تاجر عربي لديه ثلاث سيارات معطلة جميعها ، ولكن عطل إحداها كان خفيفا وهي سيارة لوري ، إلا أننا ركبنا هذه المرة على المقعد بقرب السائق ، ووالله لقد أحسست أنني أركب أكثر السيارات رفاهية في العالم .. لقد أنستني الشاحنة السابقة كيف تكون

المقاعد ، فلم أعد أرى في مقعد هذه الشاحنة شيئا عاديا ، وكنت طول الطريق أرفع نفسي عن الكرسي ثم أجلس بين الحين والآخر وأنا لا أصدق كيف أن المقعد مريح بهذه الدرجة ، وتذكرت كيف أن إبن آدم في يوم القيامة يحس بكل ملذات الدنيا وكأنها لحظات مرت بسرعة ، شعرت كأنني لم أركب سيارة في حياتي غير الشاحنة السابقة التي أذاقتني الأمرين ، وتذكرت قول الله تعالى عن اؤلئك الذين تنعموا في الحياة دون أن يؤدوا حق الله في حياتهم أنهم ما ان تمس جلودهم النار حتى ينسوا متعتهم في الدنيا ويشعروا بأنهم لم يلبثوا فيها إلا ساعة من نهار .

كما قال عز وجل " كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضحاها " (١)

وأخيرا وصلنا هولا :

وحالما وصلنا المدينة لاحت لنا مبان للمركز الإسلامي فى مدينة هولا الذى نقوم ببنائه ، وأشد ماأفرحنى هو أن المسجد هو أول مبنى يكاد يكتمل حيث كانت المدينة سابقا تستقبل الزائرين لعدد من الكنائس يبلغ ٥ كنائس ، ومرة أخرى قد لايوجد فى المدينة عشرة مسيحيين من أهالى المدينة ، والمركز تبلغ مساحته ثلاثمائة ألف متر مربع ، إلا أننا نعانى أشد المعاناة من الماء حيث إن الماء عميق ويحتاج لمبالغ كبيرة لحفر الأبار ، حيث حفرنا إلى ٨٠ قدم دون أن نجد قطرة ماء ، وذلك فى أخفض الأراضى فما بالك حينما نحاول الحفر قرب المسجد ، وهو مكان مرتفع نسبيا .

---

(١) سورة النازعات ، آية ٤٦

والمركز مكون حاليا من مسجد ومدرسة واقسام داخلية وسكن للايتام وقاعة طعام وملاعب وسنبنى ان شاء الله مركزاً لتدريب النساء ومخازن .

بلدة هولا فيها شارع واحد غير معبد تصطف على جوانبه الدكاكين التي تبيع الحاجات الضرورية لسكان القرى المجاورة ، وعلامات الفقر تبدو واضحة على سكان المنطقة ، التخلف العلمي والجهل بالدين علامة بارزة في هؤلاء مما خلط الأولويات فى رؤوس الناس ففي كل مرة نحاول مساعدتهم نجد الخلافات والتقارير الكاذبة تصلنا من أطراف مختلفة ومثل هذه الامور تزداد كلما ازداد فقر السكان وجهلهم .

وأذكر أنني إستلمت تقريرا من رئيس جمعية إسلامية في المنطقة يذكر أن مساجدنا كلها تهدمت ، وأن أيتامنا مشردون تحولوا إلى لصوص ، وأن كل ما نرسله إلى مندوبنا في المنطقة يتم بيعه بدلا من توزيعه على المحتاجين حسب تعليماتنا ، وأن بعض المساجد لا يدخلها إلا الغربان والبوم والمجرمون بعد هجرها وتهم خطيرة كثيرة أفزعتني .. ولكن عندما زرت المنطقة وتحققت من الإتهامات وجدت أنها باطلة تماما ولا أساس لها من الصحة ، وعلمت أن رئيس هذه الجمعية يكره مندوبنا ، وأعتقد أننا سنقوم بطرده بناءا على رسالته وما حملته من تهم ، ولم يتصور أنني سوف أزور المنطقة بنفسي وأرى مدى كذبه وافتراءاته ، ومثل هذه التقارير ليست غريبة في أفريقيا ، فلا يخلو البريد يوميا من رسالة أو إثنتين فيهما تهم كاذبة ضد دعاتنا .

يحلم بالبسكويت

أذكر فى زيارة سابقة إلى هذه المدينة اننى ذهبت إلى دار الأيتام التي نديرها فيها حوالى ٤٠ يتيما من ايتامنا ، وكانوا جميعا مصابين بسوء تغذية كما يذكر التقرير الطبى عند دخولهم إلى دار الأيتام ، وبدأنا فى تغذيتهم بطريقة صحيحة ، ومن بينهم اخوان احدهما يبلغ من العمر حوالى ٩ أو ١٠ سنوات ، ولم نستطع تدارك تأثير سوء التغذية على مخه فأصيب بتخلف عقلى بصورة دائمة ، ورغم محاولاتنا باعطائه مدرسين خصوصيين واهتمامنا به لم نستطع أن نساعده فى عبور امتحانات الصف الاول الابتدائي ، بينما كان اخوه الصغير والذى كان مصابا مثله بسوء التغذية ويبلغ من العمر حوالى ٦ سنوات قد تحسن بشكل كبير ونجح الاول على المدرسة كلها ، وكنت أرى بريق الذكاء يلمع فى عينيه فضممته إلى صدرى وانا اشعر بالفرح وحملته وتجولت فى القرية ، وانا احمله واتحدث اليه وقلت له ماهو حلمك البعيد الذى تتمناه عندما تكون كبيراً والذى ترى صعوبة في تحقيقه ، هل تريد أن تصبح طبيبا و أن تمتلك سيارة أو أن تصبح طيارا ، فرد عليّ رداً كان كالصفعة التى توقظنى من احلامى ...

قال : عندما اكبر أريد أن أذوق طعم البسكويت .. وترقرق الدمع فى عينى ، رغم كل السنوات التى قضيتها فى افريقيا ، لاأزال أعيش فى عالم آخر ... فكيف بالله أولئك الاخوة والاخوات الذين يعيشون فى البلاد العربية وغيرها ولم يزوروا افريقيا ولم يعيشوا مع أهلها ...

تذكرت أولادنا فى بيوتنا ... تذكرتك ياولدى ... تذكرت الملايين من

امثالك وهم يأكلون اصناف الحلويات والطعام ، ودعوت الله سبحانه وتعالى أن يخفف الحساب عن اولياء أمورهم الذين جعلوهم يعيشون في هذه الرفاهية بينما اخوانهم فى افريقيا لايجدون ذلك إلا في الأحلام بل لايجدونها حتى في أحلامهم .. !!

اما مدينة بره التى تبعد حوالى ٤٥ دقيقة عن مدينة هولا ، جئنا اليها قبل ٥ سنوات ، وتقدم الينا الاهالى لبناء مسجد فوافقنا على الخريطة والتكاليف وبدأنا فى البناء ، ولكن الاهالى تدخلوا واستغلوا بعض السياسيين وفرضوا على المقاول أن يوسع المسجد ، واعترضنا عليهم ، وحاولنا أن نقنعهم بأن المبلغ لن يكفى ، ولكن كعادة القرويين فى افريقيا أصروا اصراراً شديدا على التوسعة وأنهم سوف يكملون المسجد بعد ذلك ، وحدث بالضبط ماتوقعناه وماتكرر عشرات المرات فى عشرات القرى ، حيث توقف المسجد قبل أن يكتمل بسبب اصرار الاهالى على أن يجعلوه اكبر ،وظل متوقفا اكثر من اربع سنوات ، مع ما سببه ذلك من إحراج لنا مع المتبرع .

خلال هذه الفترة ، جاءت الكنيسة وقامت ببناء كنيسة ضخمة بقرب المسجد ، ثم كنيسة ثانية ، ثم كنيسة ثالثة ، دون ان يكتمل المسجد ، حتى جاء وفد من اخواننا في المملكة العربية السعودية وزار المسجد ، حيث وقف احد الاخوان يريد أن يصور المسجد ، فاقترب منه احد النصارى وقال انكم منذ مدة طويلة تحاولون بناء هذا المسجد ولم تكملوه فلماذا لاتعطونا هذا المسجد وسنقوم باكماله وتحويله إلى كنيسة رابعة فى نفس المنطقة .

شعر هذا الاخ بألم شديد وهو يعلم بأن هذه المدينة ٩٨٪ من سكانها

مسلمون ، وليس فيها مسجد اطلاقا سوى هذا المسجد غير المكتمل ويصلي الناس تحت الأشجار ، فأشتعلت النار فى قلبه ، وعاد إلى اهله وبدأ يجمع التبرعات من المحسنين حتى استطاع اكمال المسجد ، واذكر فى اول زيارة لى إلى هذه المنطقة سألت بعض المسلمين عن الاضحية فلم يعرفوها ، وعندما وصفت لهم وشرحت لهم ماهى الاضحية ، ذكروا بأن آباءهم اخبروهم أن احد العرب جاء قبل اكثر من ٣٠ سنة وقام بذبح اضحية .

فى بعض المناطق رأينا فقرا كما لم نره فى أماكن أخرى ، كالعادة من يزور هذه المنطقة لايصدق انه فى كينيا فلا طرق ولاكهرباء والماء ينقطع باستمرار ، ولايوجد خدمات بأى درجة من الدرجات المحترمة ، جريمتهم انهم مسلمون .. ومعظم المناطق الإسلامية فى كينيا تعانى من نفس الامر .

إلى غاريسـا :

غادرنا بره في طريقنا إلي غاريسا ، وبعد نصف ساعة تقريبا إنفجر إطار السيارة بسبب أحجار الطريق ، فأصلحناه وأكملنا المسير ، ومن بعيد رأينا إحدى الشاحنات متوقفة ، ولما رآنا السائق بدأ يشعل الضوء ويطفئه بسرعة للفت أنظارنا ، فتوقفنا بعد أن رأينا من بعيد ٤ من اللصوص المسلحين بالرشاشات ينتظرون على الشارع بعد أن سلبوا الشاحنة ، فقررنا أن نعود أدراجنا قبل أن يقبض علينا اللصوص كما فعلوا مع بعض متطوعينا من الخليج العربي قبل أسبوعين ، حيث سلبوهم أموالهم ، وعدنا أدراجنا إلى برة حيث بحثنا عن مكان ننام فيه ، فوجدنا فندق بكلفة ٤٠ فلسا (نصف ريال سعودي) لليلة الواحدة للمبيت ، أما الإفطار فكان بمبلغ

١٢ فلسا كويتيا ، وكان الفراش عبارة عن قطعة من الإسفنج الذي تنتفت جوانبه وحوافه .. ولكن صاحب الفندق أكرمني بإحضار مفرش إستعاره من الجيران لأنني عربي ..!

الطريق إلى غاريسا استغرق حوالى ٣ ساعات وفى غاريسا ذهبنا إلى مركز الشبان المسلمين ، وهى جمعية محلية نعتقد فيهم الاخلاص ونمنا هناك وفى الطريق رأينا بعض النصارى الاوربيين رجالا ونساء ، هؤلاء يتعلمون اللغة المحلية عادة ويحاولون التقرب إلى الناس ، ويقيمون الولائم بين الحين والاخر خاصة يوم الخميس ، للشباب ، وولائم اخرى للشابات الفقيرات ويتسمون بأسماء إسلامية ، كل هذا من اجل التقرب إلى الناس المحليين ، وهم ان فشلوا فى تنصير أي مسلم حتى الان في غاريسا إلا أنهم لم ييأسوا وفى مقابلة مع أحد المبشرين سأله بعض اخواننا إن كان قد نجح فى عمله ، فقال بالطبع ، فقال له كم مسلماً نصّرت ؟ قال له أنا هنا منذ عشر سنوات .. وقد استطعت تنصير طفل صغير ، فقال له ألا تعتبر هذا فشلا ، قال بالعكس أنا أعتبر أن ماقمت به منتهى النجاح ، اذ أن العمل فى وسط المسلمين ليس سهلا كما يتصور الآخرون وهناك ٤ كنائس في هذا الحي فلو كسبنا ٤ أشخاص خلال عشرات السنين لاعتبرنا ذلك نصراً .

صور من المجاعة :

وفى غاريسا وجدنا امرأة ضمن النازحين بسبب نكبة المجاعة وسألناها لماذا جاءت إلى غاريسا وتركت البادية فقالت أنها سمعت أن النساء في غاريسا يقمن بقطع الاشجار وبيعها فيجدن ما يقتتن به بينما

هناك لا أجد شيئا ، فلما وصلت إلى هذه المدينة لم أجد خشبا يقطع ولا أناسا يشترون .

جاءنا رجل ومعه ثلاثة أطفال صغار بعضهم رضع ، وقال بالله عليكم خذوهم فقد ماتت أمهم ، وأنا عائلهم الوحيد ولاأستطيع أن أخرج للعمل - هذا لو كان هناك أى عمل - وأتركهم فى البيت وحدهم ، أناشدكم الله أن تأخذوهم وتربوهم فى بيوتكم ، فأنا أموت معهم جوعاً .

وجاءت امرأة صومالية بدون غطاء على رأسها على غيرعادة الصوماليات ، تحمل طفلها وهو أشبه بهيكل عظمي يشعر الإنسان بأنه على وشك الموت جوعاً وقالت ان أخته قد ماتت بالامس ولم يكن عندنا كفن فكفنتها بخماري الذي أغطي به رأسي وهذا الطفل سيموت وليس لدي ما أكفنه به فهل تتصدقون عليّ بأي قماش أو حتى بشوال لأكفن به ولدي هذا بعد موته ...!!

أين نحن من حديثه صلى الله عليه وآله وسلم " من أطعم مؤمنا حتى يشبعه من سغب (جوع) أدخله الله بابا من أبواب الجنة لايدخله إلا من كان مثله (١) " وقوله " ان العبد ليتصدق بالكسرة تربو عند الله حتى تكون مثل أحد " (٢) .

صور من جلد النصارى :

وكان الأطفال فى غاية الهزال والضعف والجوع ، ففى غاريسا توجد

---

(١)

(٢)

قرية للايتام والأطفال بناها الكاثوليك بعد استقلال كينيا وتوسعوا فيها كثيرا بعد مجاعة ١٩٧٠ - ١٩٧١ واذكر أننى زرتها فى عـام ١٩٨٣ مـع الشيخ مطيع الرسول مدير مركز جمعية الشبان المسلمين ، وآنذاك لم يكن فـى مدينة غـاريسا خريج واحد مـن خريـجي الجامعات الإسلامية كما لم يكن فيها أى مظهر من مظاهر الصحوة الإسلامية ... وقابلنا القسيس الايطالى وحدثنا عن القرية وقال ان هناك كنيسة يصلى فيها مع باقى القسس وسألناه أين يصلى الاولاد ، فقال الاولاد كلهم مسلمون ويصلون فى العراء بالشمس ، فأقترحنا عليه أن نبني لهم مسجدا ، ورغم أنه وافق فى البداية ربما لأنه صعق من جرأة الطلب ، اذ لم يتوقع أن يطلب منه انسان بناء مسجد داخل مركز مسيحى ، ولكن عندما تابعه الشيخ مطيع بعد ذلك اعتذر أو بدأ يسوف ويؤخر ، واذكر أن بعض اخوانى آنذاك جاءونى وهم يعتذرون الي ويقولون نستطيع أن نبنى مسجدا فى مكان آخر ، ولكني قلت لهم اننى الآن لن أرضى بمسجد فى هذا المركز بل أريد أن أصلى إماما وأؤذن داخل الكنيسة ، واننى لا أشك فى ذلك اطلاقا .

وفى هذه الزيارة بدأ ذلك يتحقق اذ علمت أن الكاثوليك قرروا اغلاق المركز وتسليمه للحكومة بعد ٩ سنوات من زيارتي الأولى ، بعد فشلهم فى تنصير أى مسلم وبما أن بلدية مدينة غاريسا كلهم مسلمون فأملنا كبير أن نأخذه منهم بعد سنة أو سنتين ، إلا أن القسيس اشترط أن الكنيسة تبقى كنيسة ، ولكن لاأعتقد أن ذلك سيتحقق لأنه لايعقل أن تبقى الكنيسة وليس هنـاك من يصلى فيها ، وسيأتى اليوم الذى يتحقق فيه حلمي ،

وأصلى فيها أو على موقعها اذا تهدمت .(١)

الفساد في الكنيسة :

المسيحيون يبنون الكنائس فى كل مكان لحاجة لها واغلب الاحيان بدون حاجة واذا كانت الكنائس تغلق أبوابها لقلة الزبائن في كثير من الدول الغربية حيث إن المسلمين اشتروا عشرات الكنائس في بريطانيا وحولوها إلى مساجد بعد ان وضعت السلطات البريطانية المحلية عليهم شروطا شبه مستحيلة لبناء مساجد جديدة داخل المدن ، في نفس الوقت الذي بدأت تتهاوى الكثير من مراكزهم تحت وطأة المد الإسلامي وسيحدث لهم هنا فى أفريقيا ماحدث فى اوربا حيث هجر الغربيون الكنيسة وأصبحت الديانة الحقيقية للدول الغربية وأوربا بالذات هى الوثنية الجديدة كما اعترفت الكنيسة نفسها فى نشراتها ومجلاتها ، رغم أن الكنيسة تساهلت معهم فى كل شيء حتى أنها اتبعت أهواءهم إلى درجة أنها أذنت بالشذوذ الجنسي داخل الكنيسة والعياذ بالله ، وفى قضية تنصيب النساء كقسيسات وفى التساهل فى قضايا الانحرافات الجنسية ، ولكن الاوربيين شبعوا من تعليمات الكنيسة ، خاصة وأنه لايمر أسبوع إلا وتظهر فضيحة جديدة ، أبطالها رجال الكنيسة ، ففى خلال الأيام الماضية كمثال اعترفت أكبر شخصية كاثوليكية فى ايرلندا وهو قسيس كبير يفترض أنه حرام عليه الزواج مخالفا بذلك فطرة الله سبحانه وتعالى ، ولكن تم الكشف أن لديه ولد عمره

---

(١) تم بفضل الله تسليم المركز والأرض التابعة له إلينا بعد هذه الزيارة وتحقق ما دعوت الله به .. فلله الحمد والشكر

سبع عشرة سنة ، وانه كان يسرق من الكنيسة طوال هذه المدة وينفق على الولد ، وقد اعترف أنه سرق ١٢٠ ألف جنية استرليني فقط ... وادعى انه سددها واستقال .. وهذا مااعترف به أما مالم يعترف به فالله به عليم .

وفى مدينة تورنتو اعترف أحد القسيسين من الكنيسة الانجيلية أنه ارتكب الفاحشة مع عدد من الاولاد الصغار والبنات طيلة الثلاثين عاما الماضية ، وجاء في اعترافاته أنه قام بهذا العمل المشين مع ٨٤ طفلاً ولكن يعتقد أهالي المنطقة أن العدد أعلى من ذلك بكثير ، أما فى أفريقيا فحدث ولا حرج عن المصائب التى نسمعها ونراها بشكل دورى فى كل مكان ، كان آخرها رئيس الكنيسة الكاثوليكية فى اوغندا الذى مات بسبب مرض الايدز ومعروف أن مرض الايدز لاينتقل إلا بأحدى ثلاث طرق ، الغالبية العظمى أى مايزيد عن ٩٠٪ عن طريق الجنس ، أما هنا فى افريقيا فهذه النسبة تزيد عن ٩٨٪ أما ٢٪ فهى اما عن طريق نقل الدم أو عن طريق المخدرات ، وعلمنا أن هذا القسيس لم تجر له عملية احتاج فيها إلى الدم كما لانعلم عنه أنه استخدم المخدرات .

إن الزواج فطرة الله وغريزة خلقها الله في ابن آدم أحلها الله وشجع عليها ولكنهم حرموها على أنفسهم فسقطوا في الحرام وعاشوا في الرذيلة ، وكم من بابوات روما فاحت منهم الفضائح النتنة حتى أن أحدهم زنا في ابنته من الزناوأصيب بمرض الزهري في ركبته حتى سقطت ساقه فنال عقاب الدنيا

قبل الآخرة (١) .

واذكر اجتماعا للقسس الكاثوليك فى جزيرة موريشيوس لبحث مشكلة انتشار الطلاق والانفصال بين الشباب من أتباعهم ، والطلاق عندهم حرام وبعد مناقشات مستفيضة اقترحوا أن يعيش الشباب والشابات في الحرام حتى لايضطروا إلى الطلاق ... وهكذا حرموا الحلال وأحلوا الحرام ... ولن تحل مشاكلهم بناء الكنائس الفخمة كما فعلوا ببناء كنيسة بلغت تكاليفها ٢٥٠ مليون دولار أمريكى فى قرية ياماسوكو (قرية رئيس الجمهورية) فى ساحل العاج تم اغتصاب تكاليفها من الشعب الذى يشكل المسلمون أغلبيته . كما لن يحل مشاكلهم تشجيعهم وتمويلهم للإرهاب والحركات الانفصالية فى جنوب السودان أو جنوب السنغال حيث يقود الحركة قسيس كاثوليكى تشبع بالحقد والكراهية فى الكنيسة ضد السنغال لمجرد أنها ذات أكثرية إسلامية .

اذكر قسيسا كبيراً كان مسئولاً عن منطقة منقوشى فى مالاوي وهو ايطالي حاقد جدا على الإسلام ، حملت منه الخادمة التى تخدمه فى منزله وجاء إلى والدها وبدأت المفاوضات ، وأتفق على أن يقوم القسيس واسمه بيشوب ايسولارى أن يدفع للأب طاحونة ذرة فى مقابل أن ينقل البنت إلى

---

(١) أثناء الكتابة نشرت في الولايات المتحدة اعتراف رئيس اساقفة سانتا في - نيومكسيكو بالولايات المتحدة القس الكاثوليكي روبرت فورشن سانشيز (٥٨ سنة) بارتكابه الزنا على الأقل مع خمس نساء بعضهن مراهقات وبعضهن ابتلمن تعويضا من الكنيسة من أجل شراء سكوتهن وكان رئيس اساقفة مدينة اطلنطا يوجن مارينو قد ترك منصبه عام ١٩٩٠م بعد أن وجد متورطا في حادث غرامي مع إمرأة .

Time magazine Mar 1993 P18-19 .

• بئر ارتوازي عميق حفرناه، ينتظر فيه الناس دورهم أكثر من ٨ ساعات ليتزودوا بالماء

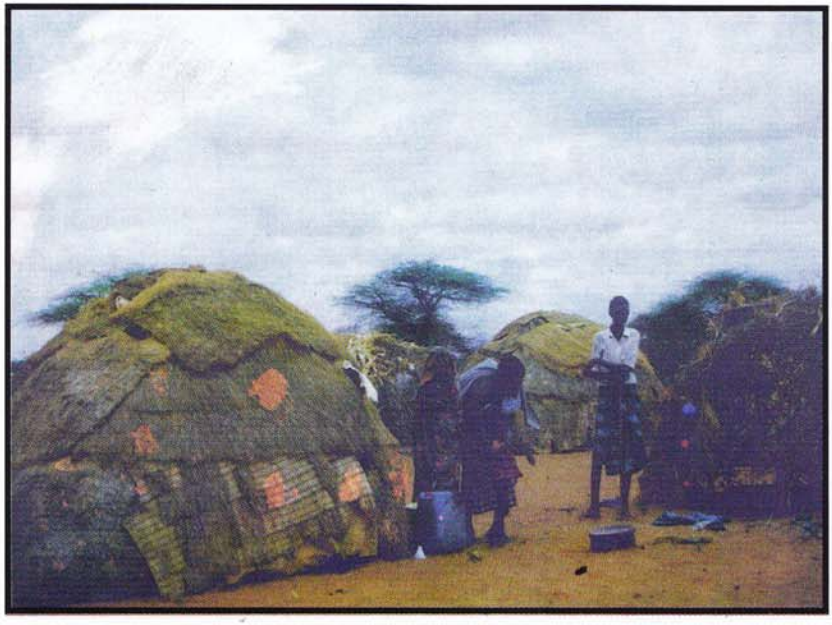

• عجوز صوماليه عمرها ٨٠ سنة عمياء ومن لاجئات المجاعة، عندما أخبروها بأنني عربي قالت وهي تمزح أنها تحلم بالزواج من عربي ولما سألتها إن كانت تريدني أن أبحث لها عن زوج عربي قامت تزغرد بأعلى صوتها فرحا وتجمع الناس علينا وهم يقهقهون

● تدريب أمهات الأيتام والنساء الفقيرات على الصناعات اليدوية في دورات تخرجَ منها المئات وأصبحن مُنتجات يعتمدن على أنفسهم

● عائلة صومالية، الأب عمره ٨٠ سنة ومعوق والأم ميتة وجميع الأولاد يصابون بالعمي عندما يبلغون الثامنة من عمرهم، أحضرنا لهم معلمة تدريهم على الأشغال اليدوية وأهديناهم بعض الماعز، وهم الآن يعيشون من عمل أيديهم، بعض البنات حفظن القرآن كله.

• زوجها مات في حرب قبلية، جاءت سيرا على الأقدام مع ٦ أولاد من (بيدوا بالصومال) ٢٠٠ كم في ثلاثين يوماً، مات بعضهم جوعاً أو تعباً بالطريق، الابل نهبت بالحرب ومات البقر والغنم بالجفاف، لم يبقى لديها شيء أبداً، طفلين لها يأكلون من مركز اللجنة في وجير، وهي وبقية أطفالها الكبار أحياناً لا يأكلون شيئا ليومين.. مجرد الماء.

• بعض الأيتام في قرية للأيتام بنيناها لهم، فيها مدرسة ومسجد ومطعم ومزرعة

• محاربين من قبائل الماساي يحملون معهم العصا الصغيرة التي يستخدمونها في قتل الرعاة الآخرين وسرقة مواشيهم، جاءوا للترحيب بنا، ولا يصل إلى درجة المحاربين إلا من مر بإمتحان من ضمنه أن يعيش في الغابة ٤ سنين دون مساعدة من أحد.

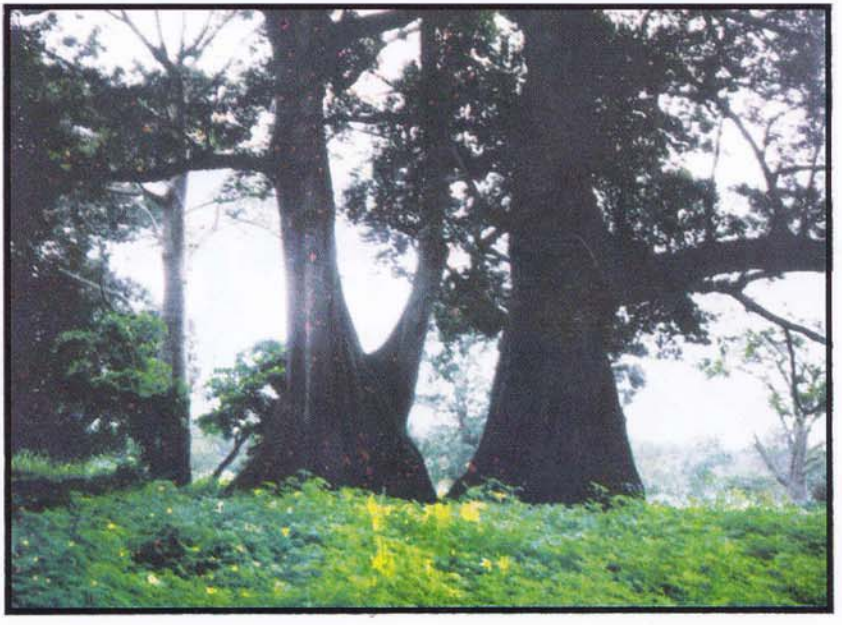

• شجرة يعبدها الوثنيون ويقدمون لها القرابين

مكان آخر خاصة وأن الولد الذي أنجبته شبيه جدا بالقس الإيطالي ، كما أنني إلتقيت باثنتين من الأخوات المسلمات اللواتى كن يعملن كموظفات فى مكتب هذا القس واعترفن لي بأن القس قد تحرش بهن وشجعهن على الرذيلة ولما رفضن قام بطردهن من العمل ، والمعروف أن هذا القسيس من أشد الناس حقدا على الإسلام ، وكاد يجن من نشاطنا فى منطقته ، وعندما بنينا مركزا بسبعين ألف دولار امريكيا ذهب إلى البابا فى روما وعقد معه اجتماعا لم يخرج منه إلا بتبرع تسعة ملايين دولار امريكيا لانشاء مركزضخم فى منقوشى ، ثم بتبرع أضخم لاصلاح المدارس فى المناطق الإسلامية ، ولاأدرى لماذا يصرون على العمل فى المدارس الإسلامية والمناطق الإسلامية وأمامهم الكثير من المناطق الوثنية أو المسيحية أسما فقط ، رغم أن الكنيسة الكاثوليكية تشتكى دائما من عجز ميزانيتها ، إلا أنها تجد دائما المال الكافى وزيادة للعمل ضد الإسلام فى أفريقيا وغيرها .

ولاأحتاج لذكر قصة الداعية المسيحي المشهور جيمي سواغارت الذي عثر عليه مرتين في أوضاع مخزية أما القس الكبير جيم بيكر الذي لم تبق رذيلة إلا فعلها وغيرهم الكثير .

" يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره ولو كره الكافرون " (١).

---

(١) سورة الصف ، آية رقم (٨) .

دعـوة الرحـــمة :

ولدي العزيز ...

إن علينا أن لانبادل هؤلاء حقداً بحقدٍ ولكن يجب أن نحب لهم الخير والهداية فرسولنا رسول الرحمة وربنا يقول " وما أرسلناك إلا رحمـةً للعالمين " (٢).

نعود مرة اخرى إلى رحلتنا حيث خرجنا من غاريسا متجهين شمالا وقد حذرنا كثير من الإخوة بأن الطريق مليئ باللصوص المسلحين حيث ان الحرب الأهلية في الصومال قريبه والسلاح متوفر ، والناس في مجاعة لايجدون لقمة العيش وجاءني الأخ ابراهيم مدير مكتبنا في كينيا ومرافقي في هذه السفرة ليعرض علي ان كنت أريد أربعة جنود أو اثنين لحراستنا ولكنني أبيت وأصررت على أن نذهب بدون جنود ورضي هذا المسكين والأخ يوسف نائب مدير المكتب أن نذهب نحن الثلاثة دون حراسة وعندما وصلنا إلى مشارف مدينة غاريسا رأينا احدى الشاحنات وفيها آثار رصاص فلما سألناهم قالوا بأن قطاع الطرق قد هجموا عليهم ولكنهم رفضوا الوقوف فاطلقوا عليهم النار وسلم الله فلم يقتل منهم أحد وأن هذا الحادث قد حصل منذ أقل من ساعة .

وبدأت بعض علامات التردد في بعض الوجوه ولكننا قرأنا ما نعرف من أدعيه مأثورة وتوكلنا على الله وسرنا في طريق كله اما صحراء واما غابات نرى فيه الحيوانات المختلفة وخاصة تلك الغزلان الصغيـرة التـي تقفز

---

(٢) سورة الأنبياء ، آية رقم (١٠٧) .

هنا وهناك ، وكدنا نصطدم باثنتين منها رغم عادة هذه الغزلان ، ان تهرب بعيدا بمجرد أن ترى السيارة ولكن يبدو أن هذين الغزالين مثل بعض أهل البادية في المنطقة الذين لم يروا السيارات ويظنون هذه السيارات ما هي إلا حصان كبير أو فيل حديدي وتكثر حوادث الطرق بين أهل البادية حينما ينزلون إلى المدينة ، وقد لاحظنا ذلك في الكثير من المناطق التي يوجد فيها لاجئون من الغابات أو الصحارى اذكر منها ، وفاة عدد من ابناء جنوب السودان من النازحين فى الحرب الأهلية بسبب حوادث السيارات لأنهم لايعرفون كيف يتصرفون أمام السيارة فى المدن الكبرى .

نسيت وأنا أذكر مدينة غاريسا أنه يمر بها نهر كبير مليء بالتماسيح ولا يمر أسبوع إلا ونسمع عن طفل من الأطفال قد اختطفته التماسيح وأكلته ، وتركت في غاريسا ذكريات طيبة منها تلك الليلة الطيبة الهانئة المباركة التي قضيتها في المركز الإسلامي بجمعية الشبان المسلمين ، وتلك الفئة من الشباب العاملين فيها وبعضهم من خريجي الجامعات العربية والإسلامية وهم يقومون بتربية هذا النشئ باسلوب حديث وضمن إطار التربية الإسلامية ، وخلال إقامتي في هذا المركز زارني عدد من الرسميين منهم وزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية وأصله من هذه المدينة وهو الوزير الوحيد في الحكومة ، وجاء يشكرني على أعمال الإغاثة التي نقوم بها ، وبينت له أن الحكومة الكينية يجب أن تقوم بدور أكبر في سبيل تسهيل أعمال الإغاثة خاصة وأنها لاتقوم بأي عمل على الإطلاق لمساعدة هؤلاء المساكين وهم مواطنون كينيون ، فذكر أن الحكومة سمحت بدخول الطعام بدون ضرائب فقلت له

وكيف يمكن أن ننقل الطعام أفلا نحتاج إلى وسائل مواصلات قال : اذن يجب أن تدفعوا ضرائب على هذه السيارات فرددت عليه بأن معنى هذا عقاب من الحكومة لنا لأننا ساهمنا في مساعدة الكينيين ، وأظن ذلك عاراً على كينيا فوعدني الرجل خيرا بأنه سيحاول أن يلغي الضريبة عن سيارة أو سيارتين يمكننا استيرادهما من الخارج ، وقد أوفى الرجل - جزاه الله خيرا - بما وعد .

ونصحنا الوزير بأخذ قوة مسلحة للحماية ، ولم أحب أن أناقشه في ذلك ولكننا توكلنا على الله وسرنا دون حراسة مسلحة ، ومن الامور التي يجب أن تذكر في هذا المجال أن المدينة مسلمة ١٠٠٪ وأن الحكومة الاسرائيلية تبرعت بعشرة ملايين دولار أمريكى من أجل تحسين شبكة مياه الشرب في المدينة ، ولانشك في قصدها السيء من ذلك .

لصوص في الطريق :

بعد خروجنا من غاريسا ، وكنا ننوي أن نخرج قبل الحافلة التي تتحرك يوميا الساعة الثامنة والنصف متجهة إلى وجير ، ولأن هذه الحافلة عادة ما تكون مسلحة يكون معها عدد من الشرطة المسلحين لحمايتهم من اللصوص وقليلا مايهاجمها اللصوص أو يهاجمون سيارات القافلة خوفا من الشرطة ، ومن المعروف أن المنطقة ما بين غاريسا الي وجير من أخطر المناطق وأخطر جزء منها هو الواقع في الثلاث ساعات الاولى بعد حوالي ساعة في الطريق رأينا الحافلة متوقفة من بعيد ، وتوقفنا مترددين لأن غالب ظننا أن اللصوص قد أوقفوها وهم يقومون الآن بسلب الأهالى وركابها ، ولكن يبدو أن شيئا من

الشجاعة قد نزل علينا اذ رأى الأخوة معي من بعيد الركاب وهم يتحركون بشيء من الحرية والعفوية ، ولما وصلنا اليهم اكتشفنا أن هناك عطلا في عجل الحافلة ، ولم يكن هناك أي لصوص فحمدنا الله سبحانه وتعالى على سلامتهم وواصلنا الطريق وقد أوقفتنا حواجز الشرطة الكينية وحاولوا اقناعنا بأن لا نسير إلا مع القوافل المحمية بقوات عسكرية ولكننا استطعنا إقناعهم بالسماح لنا باكمال سفرنا .

بعد حوالي ساعة رأينا امرأتين تشيران الينا ومعهما ثلاث حاويات صغيرات فارغات ، فلما وقفنا لهما وكنا مترددين أن يكونا من اللصوص أو أن يكون اللصوص خلفهم ، ولكن كان واضحا أنهما بحاجة ماسة لشيء ما ، فلما وقفنا اكتشفنا أن ليس لديهما ماء وهما في وسط الصحراء ، وطلبتا منا شيئا من الماء ومن قدر الله سبحانه وتعالى أنني في اثنتى عشرة سنة لي في افريقيا لم أحمل معي يوما من الأيام ماء ، ولكن في هذه الرحلة أصررت على اخواني اصراراً غريبا في أن يكون معنا على الأقل خمس لترات من الماء ، فأتى الاخ ابراهيم بوعاء فيه عشر لترات من الماء ، وكم كانت سعادتي ونحن نصب لهم الماء الذي كان معنا ، ولاتتصور سعادة المرأتين وفرحتهما بهذا الماء حتى أنهما قالتا لنا هل سترجعون من نفس الطريق غدا ؟ .. وكانتا تقصدان أنهما ستنتظراننا على الطريق حتى نعطيهما شيئا من الماء ، فذكرنا لهما أننا لن نعود ولكن نريد منهما الدعاء ، فجلست احدى النساء تدعوا لنا وكانت قلوبنا جميعا تشعر بالسعادة والطمأنينة اذ أن هذا الدعاء خير وأفضل من حراسة العسكر وشعرنا بالكثير من الراحة بعد

مقابلتنا لهاتين المرأتين اللتين تركناهما وهما يدعوان لنا ، وقالت إحداهن ياليتني أتيت بالابريق حتى تضعوا لي فيه بعض الماء كذلك .

ليلة تحت الأشجار :

وفي الطريق أوقفتنا ثلاث حواجز للشرطة واستغربوا سفرنا لوحدنا وطلبوا منا أن نذهب مع القافلة أو مع حماية عسكرية ولكن استطعنا اقناعهم مرة أخرى بالسماح لنا بالسفر ولله الحمد ، ولكن لم ننجح دائما فاذكر كيف نمنا ليلة تحت الشجرة قرب مركز للشرطة عندما قمنا بزيارة لمخيم اللاجئين الصوماليين مع الأخ الفاضل صالح الرشيد ، وكم كنت أتألم لحالته والبرد القارس يؤذيه في آخر الليل ، والبعوض الذي يختفي عادةً في البرد ، إلا أنه يبدو أنه استلذ طعم الدم العربي الذي لم يذقه من قبل ، اذ انه ما أن ذاق طعم دمنا حتى ذهب يدعو باقى البعوض فى المناطق المجاورة إلى وليمة غير منتظرة .. والحق يقال ان لهذا البعوض ذوقا راقيا ، اذ انه ترك زملاءنا من الاخوة المحليين ، من أهالى كينيا ، وركز عمله تلك الليلة على هذين العربيين وعلى الدم الذى يجرى فى عروقهما مما لم يذق فى حياته أبداً ، ورغم محاولاتنا أن نتركه يشرب من دمنا ثم يتركنا ، إلا أن البعوض أعتبر تلك الليلة حفلة صاخبة شبع فيها عضا بجلودنا شربا ومصا بدمائنا ، ولاأظنه سوف ينسى وليمته تلك الليلة مدى حياته ولقد ترك الاخ صالح بصبره أعظم الأثر في نفسي .

العصبية القبلية في خدمة الكنيسة :

وصلنا إلى مدينة مدوقاشي بعد ثلاث ساعات ، فى طريق بعث شيء

من الخوف فى نفوسنا ومدوقاشي مدينة مقسمة إلى قسمين ، نصفها للمقاطعة الشمالية الشرقية والنصف الآخر للمقاطعة الشرقية ، وتسكنها قبيلتان ويبلغ عدد سكانها حوالى أربع الاف إلى خمس الاف نسمة ، وجاءت الكنيسة مؤخرا فأفتتحت مركزا للتدريب المهني وبدأت تهتم باحدى القبائل وهي قبيلة البوران في محاولة لخلق الفرقة والمشاكل بينها وبين القبيلة الآخرى وهي من الصوماليين ، حيث أن الكنيسة تعلم علم اليقين أن العمل في وسط الصوماليين عقيم وغير مجد ، فالصومالي قد يشرب الخمر وقد يلعب القمار وقد يزني ويفعل كل المنكرات التي في الدنيا ، ولكنه في قضية الإسلام والكفر عنده عصبية غريبة لم أجدها في الشعوب الآخرى ، ويكاد يكون شبه المستحيل دخول صومالى فى دين النصرانيه إلى أن جاءت مجاعة الصومال ونتج عنها تحطيم الكثير من القيم العائليه والقبلية وبعض القيم الدينية .

ورغم اننا لم نر أحداً من الصوماليين قد ارتد إلى النصرانية إلا اننا سمعنا بذلك سماعاً ... وأضرب مثالاً في مدينة هولا فى وسط كينيا حيث كانت توجد كنيسة ضخمة ومركز مسيحي ضخم فيه عدد من الغربيين ، قامت مجموعة من اللصوص المسلحين وهم في العادة صوماليون ، بالهجوم على المركز المسيحي ، وهتكوا أعراض الراهبات ودمروا الكثير من محتويات المركز وسرقوا ما استطاعوا أن يسرقوه ثم هربوا ، بالطبع هذه أمور لا يقرها مسلم وضد تعاليم الإسلام ، ولكن هم لصوص أصلا ، وما ضربت هذا المثل إلا لأصور مدى كراهية وابتعاد الصوماليين - حتى لصوصهم - عن الكنيسة .

و الكنيسة في مدينة مدوقاشي تدفع رسوم الدراسة عن بعض الطلبة البورانيين وتحاول أن تبعدهم عن المسجد وتقوم ببعض الأنشطة لهم ... أما بالنسبة لعملنا ، فالمدينة لا أهمية تذكر لها عندنا إلا أننا مع ذلك قمنا بكفالة (٥٠) يتيما مقسمين بين القبيلتين ، ولدينا دار مستأجرة للأيتام ، فقررنا أن نقوم في الجزء الذي تقوم الكنيسة فيه بنشاط ببناء دار للأيتام على الطراز الحديث ، وكذلك دار لتدريب النساء على الخياطة والتطريز ومحو الأمية وتلاوة القرآن وبعض الأحكام الفقهية ، أو ما نسميه دور المؤمنات ، ومسجد ليكون مركزا اسلاميا يستطيع تصحيح عقائد المسلمين كما طلبنا من ممثلنا هناك أن يهتم بالبورانيين أكثر من غيرهم ، وأن يكفل بعض الطلبة البورانيين الفقراء حتى لا يقعوا فريسة في أحضان الكنيسة ، وأن ندفع تكاليف الزي المدرسي لبعض الطلاب الفقراء في المرحلة الابتدائية وقد تبرع أحد المسئولين في احدى دول الخليج بدفع رسوم الدراسة عن جميع الطلبة المحتاجين في المرحلة الثانوية في تلك السنة ، وما ندري لعل هذا المشروع يكون نواة لمركز إسلامي متكامل ... حيث أن الأهالى والمسئولين فرحوا بمقدمنا إيما فرحة واهدونا قطعة أرض مساحتها ٧ مليون متر مربع لتكون نواة لمركز إسلامي ومزرعة .

الوقف الإسلامي :

الشيء الوحيد الذي يمنعنا من انشاء مركز كامل في هذه المنطقة ، هو الخوف من المشاكل الادارية في المستقبل فادارة المركز ليست بالأمر السهل ، سواء من الناحية المالية أو من الناحية الفنية فالكثير من المحسنين - جزاهم

الله خيرا - يتبرعون لبناء مشاريع إسلامية مثل المساجد والمستوصفات والمدارس والمراكز ... الخ ولكن معظمهم ينسون ذلك وتنقطع صلتهم به حال انتهاء المشروع ، ولايفكرون بتسييره أو دعمه ويااليت من تبرع لبناء مشروع يقوم بجمع بعض التبرعات ممن حوله من أقاربه ومعارفه لتسيير هذا المشروع اما ببناء وقف عليه أو وضعه في صندوق الصدقة الجارية لاستثماره وانفاق العائد على المشروع ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أوعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " (١) ، لهذا فان الاهتمام بوجود مصدر دخل مالي لصالح الدعوة الإسلامية من الأهمية بمكان لضمان استمرارية العمل الإسلامي أسوة بما يتوفر للمنظمات المسيحية ومن هنا شجع الإسلام الاوقاف والاثلاث والوصايا الخيرية ولولا ماحدث في بعض الدول الإسلامية من تهميش لدور الاوقاف حيث جعلها الاستعمار الانجليزي مثلا دائرة تابعة لرئيس مجلس الوزراء الذي لن يعطيها بالطبع أي اهتمام مما يسهل التلاعب بمواردها حتى أصبحت موارد الاوقاف التي تملأ الدول الإسلامية مثل المغرب ومصر والعراق وسوريا وغيرها شيئا لايذكر .

في الطريق من مدينة مدوقاشي إلى مدينة هباسوين والمسافة بينهما حوالي ٤٠ دقيقة ، وجدنا احدى الشاحنات قد وصلت لتوها وأخبرونا بأن سبعة من اللصوص المسلحين قد هاجموا الشاحنة واطلقوا عليها النار ،

---

(١) رواه مسلم عن ابي هريرة .

ولكن السائق لم يتوقف وسار بسرعة واستطاع الهرب منهم وكانت آثار الرصاص بارزة على الشاحنة ولكن لم يكن هناك أى خوف لدينا فقد كان دعاء المرأتين يرن فى آذاننا ويعطينا طمأنينة غريبة وكأن الامر لايعنينا .

مدرسة هاباسوين الكاثوليكية :

حينما وصلنا إلى هاباسوين اتجهنا إلى المسجد ، حيث كانت الجمعة قد بدأت ولم يكن هناك مكان في المسجد القديم فاضطررنا للصلاة خارج المسجد ، وبعد الانتهاء من الصلاة توجهنا إلى الامام للسلام عليه ، وفرح الامام فرحا عظيما ، قال لنا أن هذه المرة الاولى التى يرى فيها عربيا من بلاد العرب قد جاء لزيارة هذه البلدة ، وأصر على أن نقيم يوما واحدا على الأقل فيها وشكرناه وأعتذرنا وطلبنا منه أن نرى المدرسةالثانوية ، ولهذه المدرسة قصـــة :

فقد جاء القسيس الكاثوليكى من مدينة وجير وأقام مدرسة ثانوية مكونة مبدئيا من فصلين وكان ينوى اكمالها ، وعندما بدأت الدراسة أراد القسيس تسميتها ثانوية هاباسوين الكاثوليكية ، فثار الأهإلى ورفضوا ذلك رفضا قاطعا ، وقالوا اننا مسلمون مائة فى المائة ولا يمكن أن تسمى المدرسة بهذا الأسم ، وكان من نعمة الله سبحانه وتعالى علينا أن أصر القسيس بحماقته على ذلك ، وفى المقابل أصر الأهالى على رفضهم ، وأغلقوا المدرسة ، فانسحب القسيس تاركا المدرسة لهم متحديا إياهم إن كانوا يستطيعون تسييرها ، وكان معنا فى زيارتنا إلى المدرسة أحد أعضاء المجلس البلدى وهو رجل يبدو عليه الحماس الشديد خاصة فيما يتعلق بتحدي

القسيس لهم ، اذ ما ان تحداهم القسيس حتى اجتمعوا وطالبوا الأهالى بالمساهمة (رغم فقرهم الشديد) فى هذه المدرسة ، فأتى بعضهم بكرسي وبعضهم بطاولة وأستطاعوا تجميع حوالى عشر طاولات وست كراسي لأربعين طالبا ، ونتيجة للجفاف والمجاعة فى المنطقة وموت معظم المواشى ، فان الأهالى توقفوا عن الدفع ، بل ان كثيرا من الطلبة لم يستطيعوا دفع رسوم الدراسة البالغة ١٥٠ (دولارا أمريكيا) بالسنة بسبب فقدان ذويهم لمواشيهم، فأصبح عددالطلبة فى المدرسة أقل من عشرة طلاب بعدما كانوا أربعين طالبا

عرضنا على الأهالى أن يتبرعوا لنا بالمدرسة أو يتنازلوا لنا عنها وعن الارض المحيطة بها ، وسوف نتعاون معهم فى توسيع المدرسة ، وكاد الأهالى يطيرون من الفرح ، لم يصدقوا ماسمعوا أن تأتيهم مؤسسة إسلامية لم يحسبوا لها حسابا لتقدم لهم هذا الخير، فقال عضو المجلس البلدى ، وهو رجل يبدو أنه قوى جدا وله وزنه في البلدة ، نحن على استعداد الآن أن نعطيك البلدة كلها فى سبيل الإسلام ، وطلبنا منهم ارسال ورقة من السلطات المحلية بالتنازل عن المدرسة و عن الارض المحيطة بها لنا ، وكذلك طلبنا ورقة أو رسالة من مديرية التعليم فى الاقليم تطلب منا أن نستلم المدرسة ، وأبدوا استعدادهم لذلك .

وشكرنا الله على أن مؤسسة يبنيها المسيحيون تقع فى أيدينا وتتحول إلى مؤسسة إسلامية لأن المسيحيين لم يبتغوا وجه الله سبحانه وتعالى فى عملهم هذا ...خاصة وأن مدير التعليم الذى كان عاديا بعض الشىء بعد زيارتنا له والاجتماع معه منذ شهر مضى حيث شرح لنا بعض المشاكل التي

تواجهها المدارس في اقليم وجير ، فلما قمنا بتقديم مساعدات كبيرة للطلبة والمدارس في الوقت الذي تنكرت فيه الحكومة الكينية لمسئولياتها ، كما افتتحنا عدة مراكز للإغاثة واطعام أطفال المجاعة زاد ذلك من حماسه للاسلام بشكل كبير جدا بعد أن رأى عملنا فى مجال الإغاثة والمجاعة وتأثر أكثر حينما دفعنا رسوم الدراسة عن حوالى ١٥٠ طالبا من الطلاب الفقراء فى الاقليم ، فبدأ يعمل فى مجال الدعوة الإسلامية ويجد لذة فى عمله ، ولأن جميع سكان الأقليم من المسلمين فإنه لم يعد يبالى بالتفريق بين العمل الرسمى وعمل الدعوة فكلاهما أصبح شيئا واحدا بالنسبة له .

الغربيون يزورون التاريخ :

ولدي العزيز .... إن العمل في خدمة الدعوة لذة لا يشعر بها إلا من جربها ... والله إنها لحلاوة ينسى معها الإنسان الأهل والولد ، إنها جزء من تلك اللذة التي ذاقها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسار ذلك الجمع الذي لم يكن له زاد أقوى من إيمان لا يتزعزع بعدالة قضيته ... جمع لا يزيدون عن بضعة آلاف ملابسهم ممزقة .. الكثير منهم حفاة جياع ولكنهم دكوا أعظم حضارتين في ذلك الزمن ، وأقاموا حضارة لن تعرف لها الإنسانية مثيلا ، كلها عدل ونور وبركة ، نشروا العلم في كل مكان ، وجاء من يحاول تزوير التاريخ ، هذا التاريخ الذي يدرس في مدارس الغرب على أنه العصور الوسطى أو العصور المظلمة ، ولكن هل حقا كانت عصورا مظلمة ...؟ في هذه العصور التي يسمونها عصور الظلام ، أكتشف إبن النفيس الدورة الدموية ، ولكن " الأمانة العلمية الغربية " و " النزاهة " جعلتهم يدعون إكتشافها لأحد الجراحين الإنجليز وليم هارفي .

وإكتشف إبن الهيثم نظرية الضوء ، وخرج أبناء البدو الأميين من أحفاد مدرسة النبوة يعلمون الدنيا الجبر والكيمياء والرياضيات والفلك ، ويعلمون الدنيا صناعة الورق والصابون وغيرها ، ومن بركات العرب المسلمين أنهم نقلوا زراعة البرتقال والنخيل والذرة والأرز وتربية الماشية إلى أفريقيا .

وفي الوقت الذي كانوا يناقشون في البرلمانات الأوروبية إلى أواخر القرن الثامن عشر إن كانت المرأة لها روح أم لا ؟ كان الإسلام قد

علمنـــا " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي " (١) ، وحينما كان الإنجليز يرددون مثلهم (من ملك إمرأة فقد ملك ثعبانا) كان المسلمون يرددون ما رواه الطبراني والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم (من رزقه الله إمرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الآخر) ، وبينما هم يفتخرون بالمثل اللاتيني القائل (من له بيت هادئ ، فليس له زوجة) كان المسلمون يقرأون حديثه صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) (٢) ، هكذا ينظرون للمرأة ويعلمهم قديسهم المشهور سومنام (أنها شر لا بد منه)، بينما القارئ للقـــرآن يصـــدح بقولـــه سبحـــانه وتعالـــى : " وعاشـــروهن بالمعـــروف " (٣) وإلى قوله صلى الله عليه وسلم (إستوصوا بالنساء خيرا) (٤) ، وفي الوقت الذي كان بابا روما يبيع أراضـــي فـــي الجنـــة لمن يدفـــع أكثر ، كان العز بن عبدالسلام وسلفه من الصالحين يبيعون الحكام الظالمين في أسواق العبيد .. !

أليس من تزوير التاريخ أن تقوم جهات غربية وتلامذتها من فاقدي الهوية من أبناء أرضنا بمحاولات لإحياء التراث الوثني للحضارات اليونانية والآشورية والفرعونية والفينيقية والجاهلية العربية والمجوسية الفارسية ، بكل

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص .

(٣) سورة النساء - آية (١٩)

(٤) رواه البخاري ومسلم .

ما فيها من أساطير وخزعبلات وخرافات ولكنهم ينكرون علينا إحياء تراثنا الإسلامي ، بحجة أنه زمن مضى وهو زمن الخيمة والبعير وعلينا أن نعيش يومنا ... أيهما أقرب زمنا وأصدق فطرة ، أن نتكلم عن صراعات الآلهة في حضارات الإغريق والهند وغيرها أم قيم الإسلام الصافية ، ثم يتهموننا بالرجعية والتأخر والأصولية ... الخ ، إن من المستغرب أن يطالب البعض بإباحة الخمر وتحليل الزنا والعري بحجة التقدمية والحرية الشخصية ، ولكن الخمر والزنا والعري كانت موجودة منذ آلاف السنين أيام العصور الحجرية ، وجاء الإسلام ليرتفع بالإنسان إلى مستوى أخلاقي راقٍ لكنهم إتهموه بالتأخر .

فشل غربي :

إن الحضارة الغربية شعرت بمشاكل المجتمع الناتجة عن هذه الآثام ، وحاولت دون جدوى تقديم حلول بعيدة عن الله أن تكافح بعض الآثام ، فهذه الولايات المتحدة تقنن تحريم الخمر في العقد الثاني من هذا القرن دون فائدة ، وهذا آخر رؤساء الإتحاد السوفيتي غورباتشوف يعترف أن الخمر تنخر في كيان الإتحاد السوفيتي .

القوانين الوضعية التي سرعان ما تفشل للحد من شرب الخمر ..كل هذا لأن هذه القوانين كانت بعيدة عن الله ترى فيها قصور إبن آدم ونقصه .

أتذكر هنا وأنا أزور مراكز الإطعام التي أقمناها لإخواننا المحتاجين والمنكوبين بالمجاعة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما " أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم أي الإسلام خير ؟ قال : " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " (١) ، وأذكر أن مدير التعليم هذا قال لنا في زيارتنا الثانية ، أن الكثيرين غيركم وعدونا ، ولكنكم وحدكم أوفيتم بكل ما وعدتمونا وزدتم على ذلك ، فقلنا له أننا مثل غيرنا إلا أننا نخاف من أن نكون من قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان " (٢) .... وهذا أمر يجب أن لا تنساه يا ولدي ، حيث لاحظنا أن الكثير من محبي الخير يزورون أفريقيا ويلقون بالوعود هنا وهناك ، ولكن سرعان ما ينسون هذه الوعود بعد مغادرتهم الميدان ، وهو أمر لا إرادي لكنه يأتي علينا نحن المسلمين بنتائج غير طيبة ، فتذكّر أن تكتب كل وعد قطعته للناس حتى لا تنساه .

في وجيـــــر :

ومن هاباسوين بدأنا الحركة إلى وجير ، وصلنا بعد مزيد من قصص الرعب من السطو المسلح والقتل ، وهي مدينة كان سكانها في حديد ٢٠ ألف نسمة ، إلا أنه بسبب المجاعة زاد عددهم إلى ما يقارب ١٠٠ ألف نسمة ، ويوجد بها عدد من المراكز المسيحية وجميعها تم تأسيسها بعد الإستقلال ، إذ لم يجرؤ المسيحيون في عهد الإستعمار البريطاني أن بينوا أي مركز لهم في هذه المدينة ، وكانت كل علامات الشوارع والدكاكين ولوحات الدوائر الحكومية والمدارس تكتب بالعربية إضافة للإنجليزية قبل الإستقلال ، فلما

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه - عن أبي هريرة .

إستقلت كينيا تم إلغاء اللغة العربية تماما ، حيث أن سكانها مسلمون مائة في المائة ، بل وأكثر من ذلك ، فإن الكنيسة الكاثوليكية مثلا تستخدم طعام برنامج الغذاء العالمي الذي تساهم فيه الدول العربية جميعا والإسلامية في تشغيل المسلمين الجياع في بناء الكنيسة وعمل الحديقة والسور وغير ذلك في مقابل إعطائهم طعام برنامج الغذاء العالمي ، فترى هناك كيف يستخدم المال الإسلامي ضد الإسلام مع الأسف الشديد .

وللعلم فإن برنامج الغذاء العالمي رفض عدة طلبات منا بتزويدنا ببعض الطعام لتوزيعه على المحتاجين ، خاصة وأن عدة فئات مسيحية إعترفت علنا أننا أكفأ المنظمات التطوعية ولنا عشرات من مراكز الإغاثة أكثر بكثير مما لدى الكنائس بمختلف أنواعها ، ولكن الحقد الصليبي ينخر في قلوب المسئولين الغربيين في هذه المؤسسات الدولية ، يضاف إلى ذلك علمهم الأكيد أن الدول الإسلامية التي تتبرع لهم لن تحرك ساكنا .

وفي وجير إلتقينا بأحد الأخوة الذي تعرف عليه الأخ إبراهيم ، وذكر أنه كان شرطيا وهداه الله للصلاة ، فاستقال من الشرطة وأخذ مكافأة نهاية الخدمة وحج بها ضمن مجموعة مع الأخ إبراهيم مسئول مكتبنا ومعهم ٢٣ شخصا في نفس المجموعة ، وعاهدوا الله سبحانه وتعالى في الحج على أن يغيروا من حياتهم بعد العودة ، وأن يتبنى كل واحد منهم مشروعا خيريا حسب إمكانياته ، على أن لا يقل ذلك عن فتح مدرسة قرآنية ، والإهتمام بها ورعاية المعلم والطلبة فيها ويجمع لها التبرعات ممن حوله وهذا ما فعلوه لقد رأيت وجهه يشع بالنور وهو يتكلم عن حياته الجديدة وندمه على أنه لم

يتذوق طعمها إلا بعد الحج وندمه على ما ضيع من سنوات عمره ... كنت أراه يتحدث إلى إبراهيم والفرح واضح على وجهيهما فيحضرني حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقوله عن ربه عز و جل : " وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ " (١) ، وفي رواية " المتحابون في جلالي لهم منابر من نـور يغبطهـم النبيـون والشهـداء " (٢) .

تعميد طفل :

وفي وجير حدثني مدير المدرسة الثانوية عن أحد الطلبة الصوماليين ، وهو من عائلة مفككة ، مات الأب وتفرق الأخوة ، فألتقطته الكنيسة في البداية عن طريق دفع رسوم الدراسة ، وبدأت تهتم به تدريجيا وتدعوه إلى الكنيسة دون أن يعلم به أحد ، وفجأة إكتشف الطلبة الذين يدرسون معه في المدرسة أن غرفته مليئة بالأناجيل والكتب المسيحية المختلفة ، فأثاروا ضجة وحاولوا أن يقنعوه فرفض ، وعلموا بعد ذلك أن القسيس ينوي تعميده ، فقامت ضجة كبيرة في المدرسة وأرادوا ضربه ، فلجأ إلى مدير المدرسة ، فشرح له مدير المدرسة أن هذا العمل حرام ولا يجوز في الإسلام ، واذا كانت.

القضية قضية عجزه عن دفع رسوم الدراسة فانه هو شخصيا (مدير المدرسة) مستعد أن يتكفل بها عن طريق بعض المحسنين ،من جيبه الخاص ، وفجأه غاب الطالب ولم يعرف عنه أحد ، وبعد مدة عرفوا أن القسيس قام

---

(١) رواه مالك في الموطأ وإسناده صحيح .

(٢) رواه الترمذي عن معاذ بن جبل .

بنقله الى مدينة بعيدة حيث توجد مدرسة كاثوليكية هناك وأدخل فيها وبعد سفر في الغابات وصلنا المدرسة التي يفترض أن يكون فيها وسألنا عنه ولكن المسيحيين هنا ادعوا أنه غير موجود في المدرسة ونتوقع أن ينقلوه الى مكان آخر حتى لا يصل اليه المسلمون ، ويحاول مكتبنا الآن الاتصال به في محاولة لاعادته الى حظيرة الاسلام بعد هذه الردة . (١)

ناقة بخمسة وعشرين مليونا :

رأينا مراكزنا التي تقوم باغاثة الاطفال حيث تقدم يوميا وجبتين من العصيدة للاطفال ويستفيد من هذه الوجبات ما يزيد عن ١٥ ألف طفل حاليا.

وجاءنا بعض المنكوبين يشكون ما آل اليه حالهم وأنهم يرون أولادهم يموتون جوعا فلا يستطيعون أن يسعفوهم بلقمة خبز ومن مات منهم لا يجدون له كفنا وذكروا أن النصارى أخبروهم أن أحد الأمراء في الخليج اشترى ناقة بخمسة وعشرين مليونا من الدولارات الأمريكية ، وان جزءا من هذا المبلغ يكفي لاغاثة مئات الألوف من هؤلاء الجياع ، وطمأنهم بحديثه صلى الله عليه وسلم فيما رواه صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه : " أنه قال عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " . (٢)

---

(١) بعد كتابة هذه الرسالة تمكنا والحمد لله من الإتصال بالطالب وأقنعناه ، وشرحنا له العقيدة الإسلامية مقارنة بالعقيدة النصرانية وقد إستجاب ولله الحمد .

(٢) رواه مسلم .

فرنسية في مركز اغاثة :

من الأمور التي تأثرت بها عند زيارتي لمركز اغاثة من المراكز الأوربية أني رأيت فتاة فرنسية تدير هذا المركز في ريعان شبابها لم يتجاوز عمرها الرابعة والعشرين ، وعندما سألتها عن سبب وجودها هنا ذكرت أنها تقوم بأعمال الاغاثة والاشراف على هذا المركز ، سألتها أين كانت من قبل ، فذكرت أنها كانت في جنوب السودان وفي منطقة أكثر صعوبة بكثير من المنطقة عملها الآن بدون كهرباء ولا ماء ،فيها الكثير من البعوض والحيوانات المفترسة وخشونة طباع الناس هناك ، سألتها لماذا هي هنا ، فقالت من أجل الخدمة الانسانية ، وهي لا تتلقى إلا راتبا بسيطا جدا كمصرف جيب ...

ليقتدي رجالنا بنسائهم في التضحية :

تذكرت تلك المرأة الكاثوليكية الراهبة في موزمبيق في مقاطعة انهامبان والتي زرتها في عام ١٩٨٣ أثناء المجاعة ، وعندما حددت قرية معينة لزيارتها رفض حاكم المقاطعة رفضا مطلقا ، وكأنما لدغته أفعى ، فطلبت منه وأصررت على أن أذهب الى هذه القرية بالذات وقال أن الوضع الأمني يستدعي أن لا تزور هذه القرية ، فقلت له اذن أنتم تعاملون المسلمين هناك معاملة سيئة ولا تريدني ان اطلع علي ذلك ، فقال وهو ينتفض لا لا ، قلت له هذا ما سأنقله الي اخواني العرب والمسلمين ، فقال اذا كان هذا رأيك فاعطني مهلة لمدة نصف ساعة ، ولم ادر ماذا يقصد بهذه المهلة .

بعد نصف ساعة جائني رسول منه ان الحاكم ينتظرك ، ووجدت عددا

من السيارات ومعها اربعمائة جندى مسلح لحراستك للوصول الي تلك القرية ولم اصدق عينى ، كل هذه القوات من اجلي ، ولماذا ؟.

في الطريق رأيت آثار المتمردين الذين ثاروا على الحكومة فى موزمبيق ورأيت السيارات المحروقة ، ويقوم هؤلاء المتمردون بمهاجمة اى شيء يتحرك حتى ولو كانت هذه السيارات تحمل اغاثة لهم هم بالذات وقد سبق ان هاجموا قافلة فيها شاحنة محملة باسمنت لمشاريع اللجنة وطعام للتوزيع علي المحتاجين في شهر رمضان ، وقتلوا اربعة اشخاص واستطاع داعيتنا وهو شيخ من خريجي الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الهرب والسير في وسط الغابة حوالي ٨٠ كيلومترا بملابسه الداخلية حتي وصل الي المدينة بعد ان فقد كل امتعته الشخصية .

وبعد ان وصلت الي القرية طلب مني ان ابقي في السيارة ، وترجل الجنود واحاطوا بالقرية من كل جانب ، ثم سمح لي بالنزول في وسط هذه الحراسة المشددة الي اقصي الحدود ، وعندما نزلت وسرت الي مركز الاغاثة وجدت راهبة كاثوليكية المانية تعمل وتنام هناك بصورة دائمة وبدون حراسة شخصية لها ، ، وشعرت بالالم الشديد اننا اذا لم نبلغ مبلغ الرجال الغربيين في تضحياتهم من اجل دينهم فلا اقل من ان نكون كنسائهم ..!

امـــرأة أخـــــرى :

تذكرت كذلك تلك المرأة والتي استقبلتنا في منطقة نائية في وسط الصحراء في تشاد وانا ادخل الي مركز للخدمة الاجتماعية في قرية ام بشه ، وهي تقول اهلا وسهلا بلهجة لبنانية واضحة ، ولما سألتها هل انت لبنانية ؟

قـالـت : نعـم

قلت لها : ماذا تعملين هنا

قـالـت : اخدم في مركز الخدمة الاجتماعية

قلت لها : ومن ارسلك

قـالـت : الكنيسـة

قلت لها : منذ متـي

قـالـت : منذ ٢٥ سنة

في قرية ليس فيها ادني متطلبات الحياة حتي الماء لا يجدونه الا قطرات دون ان تشتكي .. دون ان تطلب راتبا .. دون ان تسأل عن حياة النعومة والراحة في لبنان ، بينما نحن ندعي انهم علي باطل واننا علي حق فهل صدقنا القول بالعمل ؟ ولماذا لا نري تضحيات المسلمين في الدعوة في هذا الزمن ...

والله لا اري سببا الا هبوط الهمم التي جعلت من النسور زرازيرا ومن الاسود قططا ، والا فان المسلمين أولى بهذه التضحيات وانكار الذات فنحن ابناء دين يدعونا فيه رب العزة " يا أيها الذين امنوا هل ادلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ... " (١) ويقول " ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة " (٢) اين نحن من هذه الآيات الكريمة ... اين

---

(١) سورة الصف ، آية (١٠ - ١١) .

(٢) سورة التوبة ، آية ١١١

المسلمون الذين يرضون بعقد مع الله يشتري منهم انفسهم واموالهم ويعطيهم جنة عرضها السموات والارض .

قد هزتني تلك المرأة الفرنسية في صحراء لاهبة وغبار كثير وقاذورات في كل مكان وصياح الاطفال والموتي هنا وهناك ، ومن قبلها كانت في السودان وهي في مقتبل حياتها ، لقد دعوت الله كثيرا لهذه الفتاة بأن يرزقها الله سبحانه وتعالي الهداية والتوفيق ، وتذكرت نساءنا في بلادنا العربية والاسلامية وكل ما يهمهن هو السؤال عن آخر الموضات واجمل التسريحات ، واحدث العطورات ، وكيف يمكنهن ان ينفقن ما تبقي من اموالهن علي التوافه من الامور ... ان قيمة ثوب واحد او شنطه واحدة من مستلزمات الافراح يكفي لعائلة مسلمة منكوبة لتقف علي قدميها وتعيش بكرامة مدي حياتها .. تساءلت اين حفيدات خديجة بنت خويلد وخولة بنت الازور وغيرهن من امهات المؤمنين والصحابيات ، اين حفيدات ام سليم الانصارية التي مات ولدها ولم تشأ ان تخبر زوجها حينما اتي من الغزو وتطيبت له وتزينت فلما أتاها عزته في ولده ، فذهب واشتكى الى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فدعي له رسول الله صلي الله عليه وسلم بأن يرزقه ذرية صالحة وهذا ما حدث فعلا .

اقارن بعض نسائنا بتلك الفتاة الامريكية التي تلبس مثل الصوماليات وتسمت باسم عائشة وتجيد اللغة الصومالية كأحد ابنائها وبناتها ولها عدة سنوات كانت تعمل في وسط الظروف الصعبة في الصومال فلما حدثت الحرب الاهلية عادت الي الصوماليين في شمال كينيا ، وسألتها

من اين هي ، فقالت : انها امريكية الجنسية بعثتها الكنيسة الافريقية الداخلية ومركزها في الولايات المتحدة وانها تقوم بخدمة المحتاجين باسم الكنيسة .

من المؤلم ان لا يري الانسان اي رجل عربي خاصة من دول الخليج وغيرها قد وصل انكار ذاته الي ان يحذو حذو هؤلاء النسوة من اتباع المسيحية وعاش وسط اخوانه المسلمين في المناطق المختلفة في افريقيا وغيرها

في الليل اجتمعنا مع مدير التعليم ومع مدير المدرسة الثانوية ومدير البلدية ، وكان لقاءا حماسيا يدور حول الدعوة ، وسرني ان مدير التعليم والكثير من كبار الموظفين تحمسوا جدا للعمل الاسلامي والدعوة بعد ان رأوا المؤسسات الاسلامية العربية وغيرها تساعدهم في المجاعة ، اذ شعروا بأن هذا الدين كان الباعث لهذه الاعمال الخيرية التي تقوم بها مؤسسات الخير . سررت عندما علمت ان المدارس قد فتحت ابوابها من جديد وعادت الي طبيعتها بعد ان قمنا بدفع رسوم الدراسة عن ١٥٠ طالبا من الطلبة الفقراء ، كما سررنا عندما رأينا الاطعمة التي ارسلناها قد وصلت الي مخازننا في المركز وهذا المركز له قصة .

قصة المركز :

إذ أقامته الكنيسة النرويجية واستمرت في تسييره مدة ، فاحت خلالها الكثير من الفضائح ، منها فضائح جنسية ، تتعلق بتصوير الأطفال في أوضاع جنسية غير لائقة قام بها رهبان الكنيسة ، ووصلت الفضائح إلى درجة إضطرت الحكومة معها إلى طرد الكنيسة ، وحاول حاكم المنطقة وهو

مسيحي أن يسلم المركز إلى الصليب الأحمر أو إلى الكنيسة الكاثوليكية ، ولكن الأهالي وهم مسلمون مائة في المائة وقفوا وقفة رجل واحد ورفضوا رفضا مطلقا إلا أن يسلم للجنة مسلمي أفريقيا ، ودخلنا في معركة دامت أكثر من ستة شهور حتى إستلمنا المركز ، وبدأ تشغيل ١٨٠ من النساء المنكوبات بالمجاعة في أعمال يدوية ، فبدأن يصنعن الحصر والسلال والمفارش وغيرها ، ونقوم بإعطائهن طعاما في نهاية اليوم ضمن برنامج دور تدريب النساء المؤمنات ، الذي يشتمل على تعليمهن القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية ومبادئ الإسلام ومحو الأمية والخياطة والتطريز والأشغال اليدوية من سلال ومفارش وحصر وتغذية الأطفال ، كما نقوم ببيع منتوجاتهن في السوق وشراء مواد أولية ، ومن فضل الله عز و جل ، في أول دورة حققنا أرباحا طيبة نتيجة بيع المنتوجات اليدوية ، وننوي إن شاء الله تشغيل أعدادا أكبر في هذا المجال وتدريبهن على هذه الصناعات ، كما قمنا بتشغيل حوالي ٢٠ إمرأة للقيام بزراعة الخضراوات والفواكه في المركز ، حيث أننا لا نشكو من قلة الماء نظرا لوجود بئر حفرته الكنيسة النرويجية وزودته الكنيسة بمضخة تشتغل بالطاقة الهوائية ، وقد زرعنا مساحات كبيرة من الطماطم والفاصوليا وبعض الفواكه والخضراوات ، وطلبت من الإخوان القائمين على المشروع التوسع في هذين المشروعين في الزراعة و في تشغيل النساء بالأعمال اليدوية ، وفي كلاهما لا نعطيهن أجرا ماليا ، ولكن نعطيهن طعاما في مقابل عملهن طول اليوم عندنا وهذا ما نسميه " برنامج الطعام مقابل العمل " ، ومن المؤلم أن الكنيسة الكاثوليكية قد أقامت مركزا

لرعاية اليتيمات المسلمات في المدينة ، إلا أن مدير رعاية الأطفال في وجير أخبرني أنه لاحظ أن الكثير من خريجات المراكز الكاثوليكية أصبحن من سيئات السمعة وممن لا يبتعدن عن مواطن الشبهة ، وأن الحكومة تفكر في معاقبة المركز لأن ذلك لا يخدم المصلحة العامة للبلد ، وتساءل أين هي المؤسسات الإسلامية لتقوم بخدمة إخوانهم المسلمين .

وفوجئنا بعد مدة أن قسيس الكنيسة الكاثوليكية اتصل بمدير مركزنا ، وعرض عليه مبلغا كبيرا جدا من المال إذا ما افتعل مشكلة بيننا مع الأهالي ينتج عنها طردنا من المركز ، فأخبرنا المدير بتفاصيل ذلك واستغربنا هذا التصرف من القسيس الذي يفترض أن يكون قدوة لمن باع نفسه للآله ، حتى أنه حرم على نفسه الزواج أن يستخدم مناوراته وظن أننا كعادة الكثير من المسلمين نتحمس للمشروع ثم يبرد حماسنا وينتهي بنا الأمر للفشل ولم يتوقع أن نجعل من هذا المركز محور لنشاط إسلامي يشمل المنطقة كلها ويتحول المركز إلى خلية نحل ، يتضاعف فيه عدد الأيتام عشرات المرات في المركز ونبدأ في برامج كثيرة جديدة لخدمة المرأة المسلمة وتدريبها وتعليم الرجال على الزراعة وبرامج تدريب مهنية وتعليم قرآني وغيرها .

منظمة الرؤية العالمية (world vision)

وحدثت قصة في مكان قريب ، حيث قام الحاكم المسيحي بتقسيم محافظة وجير إلى ٤ أقسام من أجل الإغاثة خصص ربعها للكنيسة الكاثوليكية ، تشرف على القيام بتقديم الإغاثة للمنكوبين وربعها للبروتستانت وربعها للجنة مسلمي أفريقيا وربعها لمؤسسات مختلفة ،

وتدريجيا تمت تغطية الربع الخاص بنا ثم أخذنا ربع المحافظة المخصصة للمؤسسات ، ولكن من بين القرى الواقعة من نصيب البروتستانت قرية متدينة جدا ، فتحت فيها منظمة مسيحية كبرى اسمها منظمة الرؤية العالمية ومقرها في كاليفورنيا بالولايات المتحدة مركزا للإغاثة وهي من المنظمات التي لا تكن حبا ولا ودا للإسلام والمسلمين ، وقد افتتحت اللجنة مركزا للإغاثة في القرية بناء على إلحاح من أهل القرية الذين طلبنا منهم الحصول على إذن من المنظمة النصرانية ومن الحاكم بالمنطقة وكتاب من أهل القرية يطلبون ذلك ، وفعلا استطاعوا إقناع العاملين المشرفين على المنظمة النصرانية بالسماح لنا ، خاصة وأنهم من أهل المنطقة ومن المسلمين ، ولكن الحاجة أجبرتهم على العمل لدى المنظمة النصرانية ، ولما بدأ عملنا إستقطبنا أعدادا كبيرة من المحتاجين وكلهم من المسلمين لأنهم لم يذهبوا للمنظمة النصرانية إلا بسبب الجوع والفقر ، خاصة وأن المنظمة لديها مسجلات تذيع محاضرات باللغة المحلية تدعو فيها إلى ترك الإسلام واتباع النصرانية مما يثير المسلمين ولكن لا يملكون حولا ولا قوة .

وقام وفد غربي من ممولي منظمة الرؤية العالمية النصرانية بزيارة إلى القرية واطلع على المركز الخاص بهم ، حيث يوجد حوالي ٣٠ طفلا ويبلغ عدد العاملين ٣٦ موظفا ، وعندهم ٣ سيارات جيب تويوتا ، ثم قاموا بزيارة مركزنا على بعد حوالي ١٠٠ قدم ، فرأوا أن المركز فيه ما يزيد عن ٤٥٠ طفلا وفيه مدرسة قرآنية ومركز تدريب مهني ومركز للعناية المركزة للأطفال شديدي الهزال ومستوصف ، وعدد العاملين فيه ٦ أشخاص يعج بالنشاط

والحركة مثل خلية النحل ، وكلفة مركزنا أقل بكثير من عشر المنظمة النصرانية ، كما لا نملك إلا سيارة واحدة عمرها عشرون عاما تخدم ١٦ مركزا لنا إضافة إلى مشاريع أخرى مختلفة ، فقرر الزائرون الغربيون قطع مساعداتهم لمنظمة الرؤية العالمية .

وكانت ردة الفعل من المنظمة كبيرة ، إذ اتصلت بالحاكم المسيحي وهددته بأنه ما لم يغلق مركزنا ، فإنهم سيوقفون كل مشاريعهم التنموية في المحافظة من آبار ومساعدات مختلفة ، ورغبة في تحاشي المواجهة رغم أن الحق معنا ، عرضنا على المنظمة النصرانية أن نتنازل عن نصيبنا من أي مساعدات دولية قد تصلنا عن طريق الأمم المتحدة مخصصة لهذه القرية ونعطيها لهم ، كما اقترحنا عليهم أن يستلموا الجانب الطبي والصحي في مركزنا والتطعيمات للأطفال ، ولكن القرار جاءهم من الإدارة العليا في المنظمة أن لا تراجع عن وجوب طردنا .

إن المرء ليستغرب هذا التصرف الذي لا مبرر له ، إذ كان من الأفضل أن تقوم هذه المنظمة العالمية الضخمة بتطوير عملها وتحسين أدائها حتى تنافسنا بدلا من الإلحاح على طردنا من القرية وكسب عداوة القرية والمسئولين في المحافظة بمن فيهم الحاكم المسيحي .

من الطريف بالنسبة لنا نحن الغرباء أن نرى شيئا يشبه الصنم لزرافة كبيرة بين البيوت والتفتّ إلى زملائي وقلت إنني لا أعلم أن الصوماليين يقومون بنحت التماثيل ، كما أبديت استغرابي بشكل أكبر أن الألوان زاهية وطبيعية وأنه ما كنت أتصور أنهم فنانون لهذه الدرجة ، فقالوا أي تمثال

تقصد ، فأشرت لهم إلى تمثال الزرافة في وسط الشارع ، فقالوا بل هي زرافة حقيقية ، ولم أصدق حتى رأيتها تهز رأسها ، إذ أنه من المعتاد أن تدخل الزرافات إلى هنا إلى المدينة وتتجول بين الشوارع ، ووصلت الأحوال عندما اشتد الجفاف إلى أن النساء بدأن يخفين أولادهن داخل الغرف ، إذ لو تركوهم في حوش المنزل لخافوا عليهم من الزرافة أن تأتي وتلتهم ملابسهم ، ولربما لحملته عاليا وسقط .

في اليوم التالي قررنا الحركة من وجير متوجهين شمالا ، في حين كانت الكهرباء منقطعة ، إذ لا يوجد إلا مولد كهرباء واحد يعمل ٢٤ ساعة في اليوم وهو مستهلك ، وذهبنا إلى محطة الوقود للتزود بالديزل ، واكتشفنا أن محطة الوقود تعمل بالكهرباء ، واحترنا ماذا نفعل ، إذ لا يوجد في السيارة من الوقود ما يكفي ، وبعد ساعات من السؤال وجدنا محطة وقود تعمل بمضخة يدوية وحمدنا الله وشكرناه .

وقبل أن نتحرك إشترينا كمية كبيرة من الحلويات التي نوزعها على الأطفال في الكتاتيب ومدارس تحفيظ القرآن .... وجميل أن يربط الطفل في عقله الباطن بين القرآن وبين من جاءوا يزورونه بسبب الإسلام وبين الحلويات ، حيث أننا نردد معهم شهادة أن لا إله إلا الله - وأن محمدا رسول الله ، بصوت عال والأطفال يبتسمون ، ثم نوزع عليهم الحلويات فيترك فيهم أثرا طيبا ويندم الأطفال الذين لم يحضروا إلى هذه الكتاتيب ، وكم من مرة خرج الأطفال يتابعون سيارتنا في تجمع أشبه بالمظاهرة وهم يرددون الشهادتين فرحين .

كان الجو حارا جافا والطريق مليء بالغبار الذي كسانا طبقة من اللون البني والذباب يضايقنا ولا يهتم بالهواء الذي كان يشتد مع سير السيارة وما أن نقف في قرية من القرى حتى يستبدل الذباب بمجموعة جديدة منه كلها نشاط وعزم على المضايقة للمرحلة القادمة من الطريق .

مراعـــاة المشـــاعر:

في مدينة عيلواق والتي يبلغ عدد سكانها حوالي ٦٠٠٠ نسمة ، وعلى بعد ٤ كيلومترات من الصومال ، وأرضها صحراوية صخرية من الصعوبة أن يعيش فيها الإنسان وهي شحيحة المياه ويشرب الناس من مياه الأمطار التي تتجمع في الحفر ، ولما كانت الأمطار لم تنزل منذ عدة سنوات ، فيمكن أن تتصور ما نوعية الماء الذي أصبح في هذه الحفرة ، حيث أنه ماء آسن جدا يميل لونه إلي الإخضرار ، والناس فيها طيبون ، ولكن فيهم شراسة في الطبع وبعض العنف ، وكمثال على ذلك فإن مندوب الصليب الأحمر الدولي جاء ليفتح مركز الإغاثة هنا ، ومشكلة هؤلاء الأوروبيين والغربيين أنهم حتي حينما يحاولون أن يقدموا خيرا ، فإنهم لا يراعون مشاعر الناس ، إذ رفع علما كبيرا وعليه الصليب على منزله وعلى المركز ، فاعتبره الأهالي البسطاء تحديا لهم ، فقاطعته الغالبية العظمى ثم هجموا على المركز ودمروه ، وحاول أن يعيد إقامة المركز ظنا منه فيما يعتقد أن المشكلة أن الناس يتدافعون للطعام ، ولم يفكر في مشاعر الناس وهو يرفع الصليب أمامهم فهجم على منزله بالليل مجموعة من اللصوص المسلحين الذين أتوا من الصومال ولم يجدوه ، فقالوا للحـارس أنهم سيعـودون فـي اليـوم التـالي ،

وفعلا عادوا في اليوم التالي وكانت الشرطة في إنتظارهم فقتلوا منهم شخصا وهرب الباقون ، فقرر مندوب الصليب الأحمر ان يحمل حقائبه ويرحل ، والحقيقة أن هذا درس لنا نحن كذلك ، حيث يجب أن نراعي مشاعر الأهالي المحليين ، اذ لا يعقل ان نفرض عليهم مفاهيمنا وقيمنا وعقيدتنا في يوم واحد ، اذ لا بد من التدرج اولا لكسب قلوبهم والاختلاط بهم وتقديم الهدايا لقادتهم وتأليف قلوبهم كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

ضرورة التدرج في الدعوة :

كمثال على ذلك قامت احدى المؤسسات الخيرية الاسلامية بذبح مجموعة من الأضاحي في احدى المدن في شمال كينيا ، وتحديدا في مدينة مويالي ، وسلمت مندوبهم المال فقام هذا المندوب بذبح الأضاحي في وسط القبيلة المعينة وترك باقي القبائل الأخرى وهي قبائل مسلمة ، فأثار هذا ضجة كبيرة وكاد يسبب فتنة في المنطقة ، لولا أن الله سبحانه وتعالى سخرنا لهم ونحن لا نعلم بما يحدث حيث جمعنا وجهاء البلد من أئمة المساجد ومعلمي القرآن وكبار الوجهاء وقلنا لهم أن لدينا كذا من الأضاحي ونريد ان نقسمها على الفقراء فماذا تقترحون ، فأبدوا رايهم واشركناهم في الإشراف على الأضاحي بعد ان وافقنا على اغلب آرائهم ، وكانوا مسرورين جدا رغم انهم هم انفسهم لم يستفيدوا من الأضاحي ، ولا زالوا يذكروننا بالخير الكبير

إن العمل من خلال الناس وحملهم معك نحو مفاهيم أفضل اولى من ان تأتي اليهم بطريقة استعلائية وننظر اليهم نظرة فوقية قائلين لهم تعالوا اصعدوا الينا ، فهم سيعتبرون ذلك احتقارا لهم ، لقد حرم الاسلام أمورا

كثيرة كالخمر بالتدريج ، ولكن بعض دعاة الإسلام اليوم يحاولون تغيير الناس كليا في يوم وليلة ، لا يعرفون في ذلك الأناة والصبر ويعتبروننا موافقين على ما يرتكبه هؤلاء من أخطاء لمجرد أننا نريد بالمكث ما يريدون هم بالحث .

موقفان أذكرهما فلعل فيهما عبرة ، **الأول** : عقدنا دورة لأئمة المساجد في منطقة نكوتاكوتا وهم صوفية متعصبون ، كما يذكر مندوبنا الى الدرجة التي لا يصلي فيها الواحد بمسجد غير مسجد طريقته حتى الصلاة ، وبينهم خلافات كبيرة وكل على طريقته الصوفية ، بينهم حرب شعواء يغذيها جهل بأبسط مبادئ الإسلام ، ولكننا لم نهاجم ولم نطعن فيما نشأوا عليه طول عمرهم ، وكلما سألنا احد الحاضرين عن امر قد يغيظهم جوابه ... اجبنا عليه بأننا لا ندري عنه الا ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفعل كذا .. لم يفعل كذا أو أنه قال كذا ... الخ ، دون هجوم او إنتقاد لأحد الحاضرين ، وبعد الدورة ذهبوا الى مدينتهم وجمعوا المسلمين جميعا وسألوهم من نحن فقال المسلمون أنتم زعماؤنا الدينيون فقال الأئمة من يومنا هذا نعلن أننا كنا على خطأ وأن الاسلام واحد والرب واحد وحمدنا الله وشكرناه أننا لم نتعرض لعداء احدهم واستطعنا تصحيح عقائدهم من الإنحرافات التي اختفت من مجتمعهم واعادتهم الى النهج الصحيح لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والموقف الثاني : في موزمبيق ، حيث كنا نعقد دورة كبرى لمعلمي القرآن والدعاة ، وتردد مكتبنا في دعوة شخص عرف عنه انه من كبار

اصحاب الخرافات والسحر والأهواء .. وعنده كثير من الشركيات ، وشجعناهم على دعوته واكرامه اكثر من غيره والاهتمام به والتقرب اليه طوال الدورة وبعدها ، وتمييزه بكثرة الهدايا ...الخ ، ونحمد الله ان هذا الرجل اصبح بعد الدورة من اقطاب الدعوة للعقيدة الصحيحة وللسنة المطهرة ومحاربة الانحرافات .. وهو اليوم داعية ذو عقيدة سليمة .

وهذان مجرد مثالين للكثير من المواقف التي مرت بنا ، والتي استطعنا نحن لجنة مسلمي أفريقيا ان نصلح توجهات بعض اخواننا ممن ضلوا طريق الاتباع واستخدمنا معهم اسلوب التقرب واظهار المحبة حتى نكسب قلوبهم ، ثم نمد لهم يدنا لهدايتهم برفق و لين بدلا من مواجهتهم والتشهير بهم حتى لا تأخذهم العزة بالإثم ، وليس عبثا ان يجعل الله احد الأصناف الثمانية الذين يستحقون اموال الزكاة المؤلفة قلوبهم وان يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يعط من هم خيرا منهم اتباعا وايمانا واصدق عقيدة ويقينا ونحن لسنا مبتدعين في طريقة التقرب والتحبب الى المخالفين املا في دعوتهم للخير ، ولقد تأثرت كثيرا بطريقة الشيخ عبدالله القرعاوي رحمة الله عليه ، إذ تمكن من خلال التعايش مع الناس في منطقة جيزان وجنوب المملكة والتداخل معهم وعدم الإصطدام المباشر مع الطرقية والمشايخ التقليديين من نشر دعوته وتسخير اعداد منهم للدعوة حتى ليخرج منهم واحدا من اعاظم واكابر علماء المملكة هو الشيخ حافظ الحكمي وغيره .

وفي منديرا تزدهر المدارس الاسلامية وترى المشاعر الاسلامية بشكل طيب بين الناس ، ويوجد في المدينة مركز مسيحي كبير ، انسحب منه

النصارى قبل بضع سنين ، فقام الأهالي بتسييره مدة ثم سلموه لنا وقمنا بأدارته وتطويره بالمشاركة مع إخواننا في هيئة الإغاثة الاسلامية العالمية في جدة ، وتديره الآن منظمة اسلامية اخرى ، وأدعو الله ان يوفقها .

والحقيقة ان المسلم الذي يتعامل مع أفريقيا ، عليه ان يكون حذرا جدا من موضوع العصبية القبلية ، فقد تدمر هذه العصبية كل ما يبني ، كما يجب عليه ان ينتبه الى القيادات التقليدية مثل شيوخ القبائل وزعماء القرى وعلماء الدين والوجهاء والقيادات الحكومية والسياسية ، فلا يحاول اهمالهم لأنهم سيكونون له اعداء ... حتى لو كان هذا العمل لصالحهم .

إن اشراك هؤلاء في صنع بعض القرارات واستشارتهم بين الحين والآخر في بعض الامور سيوفر على الإنسان مجهودات كبيرة ... وما خاب من استشار ، ويلاحظ ان اهالي مدينة منديرا لم يتأثروا بالمجاعة كثيرا كغيرهم ، بسبب وجود النهر ، اما لاجئوا المخيمات فكلهم من بدو المناطق البعيدة ، لجأوا الى منديرا بسبب نقص الأمطار .

سياد بري :

رأينا كذلك عشرات النسوة وهن يحملن كميات كبيرة من الأخشاب من اماكن بعيدة ، على ظهورهم يقمن ببيع هذه الأخشاب للطبخ في مخيمات اللاجئين وفي المدينة حتى يجدن بعض المال الذي يستطعن العيش منه ، والحقيقة انه راعنا كثرة اللاجئين ، حيث يوجد اعداد كبيرة من اكواخهم على مد البصر واغلبهم من قبيلة الرئيس الصومالي السابق سياد بري ، وهي قبيلة أم الريحان ، وتألمت كيف وصل بهم الوضع الى هذه الحالة نتيجة

تصرفات بعض أفراد القبيلة وعلى راسهم الرئيس السابق الذي حاول ان يجعل منهم عائلة مالكة ، ويجعل من باقي الشعب عبيدا ، فكان يقتل ويسفك الدماء ويسجن بلا حساب ، فقد قتل مجموعة من العلماء في الميادين العامة حينما أنكروا عليه مساواة الرجل بالمرأة في الإرث وإلغائه لآية الإرث في القرآن .

وحينما قتل احد القساوسة الإيطاليين قبل زواله بقليل ، جمع خمسمائة من العلماء وطلبة العلم على شاطئ البحر وقتلهم ، غير المذابح الكثيرة التى ارتكبها طوال سنين حكمه التي زادت عن ٢٦ سنة ، وكان اغلب اللاجئين يطلبون منا الكفن لأنهم لا يملكونه ، فياليت الرئيس الذي اوصلهم الى هذا الحد يأتي ويعاني مثلهم .

جبـل العشـق :

في الطريق ما بين مندبرا وراموا يوجد جبل العشق ، وسمى بذلك لأنه كان هناك رجلان تزوجا حديثا وقررا ان يأخذا زوجتيهما فى رحلة من مندبرا الى راموا ، ولكن سيارتهم تدهورت في هذا الجبل وماتوا قبل ان يصلوا الى راموا ولم يمض على زواجهما يوم واحد .

خرجنا من عيلواق ثم الى منديرا ومدينة مندبرا تقع على بعد حوالي ٢٠ مترا من أثيوبيا ، وحوالي كيلومترا واحدا من الصومال ، ولكنها تابعة لكينيا وأهلها من قبيلة عرف عنهم التدين والصلاح في الغالب ، وهى قبيلة القرىّ الصومالية .

وفي منديرا قابلنا الحاكم واستقبلنا استقبالا طيبا نسينا معه تعب

الطريق ورحب بنا وذكر لجنة مسلمي أفريقيا واعمالها بكل خير ، وطلب منا ان نشكر على لسانه كل المتبرعين الذين دعموا الأعمال الخيرية (حسب رايه) التي قمنا بها في المنطقة ، وقال انه يتابع باهتمام بالغ نشاطاتنا وانه فخور جدا بما نقوم به .

وذكر لنا انه من قرية تبعد ٧٠٠ كيلومتر الى الجنوب ، وان لجنة مسلمي أفريقيا تقوم ببناء مسجد في قريته ومركز اسلامي في المدينة القريبة ، وذكر ان عائلته كانت وثنية وان اباه اسلم قبل اكثر من ٤٠ سنة وابدى سروره لاهتمام المسلمين في بلاد العرب بمنطقته ويعتقد ان المستقبل - لا شك فيه - للإسلام في المنطقة .

حمـــال مثقـــف :

من الطرائف انى كنت على حافة النهر بين اثيوبيا وكينيا ، وكنت اصور فمر بي احد الحمالين فنهرني بالعربية بان لا اصور ، فقلت له لماذا ، فقال لأنه حراء ، فقلت له من اين لك هذا ، فرد عليّ ما جاءكم به الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، قلت له واين وجدت ان تصوير الصور الفوتوغرافيه حراء . فالمعروف ان التحريم في الرسومات والتماثيل ورسومات ما له روح . فرد عليّ بايات وأحاديث كثيرة ، وسررت جدا بان يكون الحمال بهذه الثقافه الاسلامية الطيبة .

وعبرنا النهر الذي يشكل الحدود بين كينيا واثيوبيا في طوافات من البراميل الفارغة ، التي ربطت ببعض الأخشاب وعلينا ان نجلس عليها بطريقة معينة حسب تعليمات قائد الطوافة حتى لا تنقلب بنا في وسط النهر

وهذه الطوافات هي قطع من الأخشاب المربوطة مع بعضها على ٤ براميل فارغة ، ومن السهل جدا انقلابها في الماء ويتم توجيهها بواسطة عصا طويلة تغرس في قاع النهر وتدفع ، وعلى قائد الطوافة ان يتغلب على تيار المياه السريع في النهر دون ان تنقلب الطوافة وتلقي بنا في الماء كما يحدث بعض الأحيان ، ويتخصص بالعمل افراد قبيلة صومالية اصلها أفريقي يسمى قبيلة ريرباري واشباههم هي نفس اشباه قبائل البانتو الأفريقية (انف افطس وشعر قصير ولون اسود داكن ورأس مدور وشفاه عريضة) ، وتعيش هذه القبيلة غالبا قرب الأنهار ويعملون بعض الأعمال التي ارتبطت بهم خاصة مثل الحدادة وصيد الأسماك وغيرها ، ولا يعمل بهذه الأعمال غيرهم من القبائل الصومالية الأخرى ، وعادة فإن هذه القبائل لا تتزاوج مع اي قبيلة فالصوماليون اشد الناس تمسكا باصل الإنسان وتقسيم الناس الى مستويات مختلفة في مواضيع الزواج والمصاهرة ، ووصلنا الى الجانب الأثيوبي بعد جهد جهيد .

وزرنا مراكز الإغاثة التابعة للجنة في الجانب الأثيوبي بعد ان عبرنا النهر ، وكان الوضع سيئا للغاية ، رأينا طفلا لا زال على قيد الحياة يبلغ وزنه ٤٠٪ مما يجب ان يكون عليه ، وشقيقه التوأم ٥٦٪ من الوزن الطبيعي ، دمعت عيناي وانا ارى هذين التوأمين المسلمين وتذكرت الخير الذي يعيشه المسلمون في بلادنا ، وارى هؤلاء الأيتام من حولي في كل مكان في هذه المراكز واحس بالألم يعتصرني ، نسمع ان فلانا اشترى حصانا بكذا .. وان فلانا اصلح قصره في المكان الفلاني بخمسة ملايين جنيه

استرليني ، وان فلانا خسر مبلغ كذا في ليلة واحدة على موائد الميسر ، وقصص من هذه الأنواع التي يعتصر لها القلب .

وزرنا مراكز الإغاثة الموجودة في مخيم سفتو داخل اثيوبيا ، وكان هناك عدد من المراكز لم نستطع ان نزورها كلها ، ولكن زرنا ثلاثة منها ، وفي كل مركز كعادتنا يوجد مدرسة قرآنية ومطبخ نقدم فيه الطعام للأطفال المنكوبين ولكن الحاجة كبيرة جدا والأمراض منتشرة .

وفجأة جاء شخص مسلم وقال لنا يجب ان تذهبوا معي فهناك من يريد مقابلتكم ، وكان علينا ان نطيعه ، فهو يحمل السلاح ، ولم نعلم من هو هذا الذي يريد مقابلتنا واثيوبيا بلد مفكك الآن وكل قبيلة تحكم منطقتها وعليك أن تطيع كل من يحمل سلاحا.

وصلنا الي منطقة يكثر فيها حاملوا الأسلحة ثم دخلنا مكتبا مبنيا من الأغصان وقطع الأخشاب وبدون كراسي وفيه شخصان أحدهما وزير سابق في الصومال ويبدو مؤدبا ودبلوماسيا يطلب منا زيادة المساعدات واعطاء تنظيمهم العسكري بعض المساعدات والشخص الآخر يبدو أنه في عداء مع اللباقة والدبلوماسية فبدأ بحديث كله هجوم عنيف من أنتم وماذا تعملون ويجب أن تعملوا من خلالنا وتنسقوا عملكم معنا و...و... شكرنا الرجلين وأخبرناهما أننا جئنا للاطلاع على عمل قائم ولسنا ننوي التوسع أو البدء في أي عمل جديد وأننا راضون بما عليه مراكزنا الاغاثية حاليا ، وخرجنا ونحن نستغرب من الفرق بين اسلوب الرجلين ، فكلاهما يطلب نفس الطلب ، احدهما بأدب معقول والآخر يملي أوامره علينا كأنه سيد ونحن له عبيد ،

علما بأنه ليس لهما اي صلاحية على مخيم اللاجئين ولا على مراكزنا ومن المؤكد اننا حتى لو كنا ننوي مساعدة هؤلاء لغيرنا هذه النية بسبب الأسلوب الجاف الذي وجدناه وكأني ارى مصداقية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق "(١) وقوله تعالى : "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك "(٢).

السيد عباس وحرب البدع :

ولا حول ولا قوة إلا بالله ، عدنا من منديرا الى راموا مرة ثانية لأن الطريق الى الغرب يمر من راموا ، ونمنا ليلة عند عالم جليل يسمى السيد عباس ، وكان أبوه من أكبر العلماء في شمال كينيا وكانوا يسكنون في منطقة هباسوين التي مر ذكرها ولكن الأهالي اثاروا كثيرا من الفتن عليه ، لأنهم لم يرغبوا به ، خاصة وانه ينتمي الى قبيلة اخرى غير قبيلتهم ، فلما خرج ابوه الى راموا ، ندم الأهالي ندما شديدا ، خاصة بعد ان دعا عليهم حتى جف النهر واصبحت معظم الآبار غير صالحة ، وهجر الأهالي قرية هباسوين القديمة التي اصبحت اطلالا الآن لأنهم بدأوا يرون في كل يوم مزيدا من استجابة الله سبحانه وتعالى لدعائه عليهم وحاولوا فيه وفي ابنه ان يعود ولكنهما رفضا .

وقد شكلا الأب والإبن جماعة سموها الصالحية ، تعاهدوا على ان يحاربوا الخرافات والإنحرافات وان يربوا اولادهم على الاسلام ويحاربوا

---

(١) رواه البزار وأبو يعلى والطبراني .

(٢) سورة ال عمران آية ١٥٩

النزعة القبلية وان يخففوا من تكاليف المهور ويشجعوا الزواج المبكر وان يحترموا كبار السن وان يتعاونوا فيما بينهم ، وان لا يتدخلوا في نقاشات وخلافات بين الآخرين ، وكانت هذه الأسس التي اجتمعت عليها هذه الجماعة ومازالوا كما سمعنا يحافظون على هذه المبادئ وله اتباع في اماكن كثيرة .

وقد صليت مع الشيخ عباس ثلاثة فروض هى المغرب والعشاء والفجر ، وسررت لاتباعه السنة خلال هذه الفترة القصيرة التى قضيتها معه ، وبعد المغرب جلسنا نتسامر مع الشيخ وبعض سكان البلده وتعرفت على أحد الموظفين من منديرا وذكر أنه مسئول عن الحياة البرية والحيوانات المتوحشة ، ويالليتنى لم أسأله عن سبب وجوده ، اذ أجاب أنه اكتشف بعض الأسود فى مزرعة الشيخ منذ أسبوعين وأنها تهاجم أبقاره ، وقد حاولوا التخلص منها ولكنها تفلت منهم ونحن فى وسط مزرعة الشيخ ، والبيت ليس له باب وأخبرنى هذا الموظف هداه الله أن الأسد اذا أكل آدميا فأنه يستلذ بلحم البشر ولا يرضى عنه بديلا وهكذا التماسيح لذلك لابد من قتل الأسود التى تذوقت طعم لحم البشر .

بعد أن بتنا ليلتنا فى راموا ، اتجهنا فى طريق وعر جدا أخذ منا حوالى ١٤ ساعة الى مويالى بمحاذاة الحدود الكينية الأثيوبية وهى منطقة جبلية جميلة جدا رغم عدم نزول الامطار والجفاف ، وتشتهر بأنها تنتج أجود أنواع العسل وفيها الكثير من الأبل ... مررنا ببعض المناطق التى لم يروا فيها عربيا اطلاقا بل انهم لم يروا أحدا من العاصمة أو من المدن الكبرى جاءهم من أجل الدعوة طوال حياتهم ، فكان سرورهم بنا يكاد لا يوصف ، ورأينا بعض المساجد التى قامت لجنة مسلمى افريقيا ببنائها وبعض مراكز الاغاثة التى انشأناها فى هذا الطريق ، وأما الجمال فهي هزيلة جدا حيث كان معظمها بلا سنام اطلاقا ، وظهورها اشبه ما تكون بظهور الثيران مستويه ، كما أن كثيرا من هذه الجمال بدأت عظام صدرها تبرز .

كان طريقنا فى وسط الغابات حيث كانت الحيوانات بأنواعها المختلفة تمر قريبة منا ، ولأول مرة فى حياتى يمر بقربى نمر ضخم الجثة ، حتى انى لو مددت يدى من السيارة ربما لمسته وكان ينطلق بسرعة شديدة في رشاقة أسرع من السيارة التى حاولنا أن نزيد سرعتها الى ثمانين كيلا بالساعة خلال الامتار القليلة التى شاركنا فيها النمر فى طريقه ولكنه كان أسرع منا ثم دخل دغلا من الادغال واختفى .

وخلال زيارتنا للقرى المختلفة كان الطلب الذى نسمعه فى كل مكان نرجوكم أن تزورونا حتى لو لم تقدموا شيئاً لنا ، نريد أن نرى اخواننا المسلمين ان عليكم واجبا ان تذكرونا بهويتنا الاسلامية .

هذه المنطقة يفترض أن تكون كثيرة الامطار ، ولكن موجة الجفاف

ضربتها وماتت الحيوانات وكثير من الناس بسبب ذلك ، ولأن الناس بعيدون عن المدن فاخلاقهم طيبة وكرماء .

قبل أن نصل الى مويالي بحوالى ١٠ كيلو مترات وجدنا أن أهالى مويالي قد سمعوا بطريقة لم أعرفها حتى الآن أننا سنصل اليوم الى قريتهم فخرجوا قبل عدة ساعات يستقبلوننا على الشارع العام ، واستلفوا سيارة من أحد الشخصيات البارزة وانطلقوا بها خارج القرية لاستقبالنا وذرفت الدموع من عينى وأنا أرى فرحتهم وسعادتهم رغم طول الانتظار ، واتجهنا لمكان المبيت ، وهذه المرة سكنا في فندق ، الا أنه بدون ماء جارى ولا كهرباء ، ونظرا لاهتمام صاحب الفندق وهو رجل مسلم من أصل حضرمي وفرحته بنا ، فقد ملأ جزاه الله خيرا لنا أبريقا من الماء قبل النوم ووضعه فى غرفنا لاستخدامه لو احتجنا اليه اثناء الليل ، بينما النزلاء الاخرون ليس لديهم هذه الميزة .

يبلغ عدد سكان مويالى حوالى ٢٠ آلف نسمة وهى تبعد كيلو مترا واحدا عن اثيوبيا ٨٨٪ منهم مسلمين ، ولم يستطع النصارى الدخول الى هذه المنطقة اثناء الاستعمار البريطانى ولكن بعد الاستقلال وازدياد اضطهاد المسلمين دخل النصارى لأول مرة فى عام ١٩٦٧ ، ورغم ان الغالبية العظمى من سكانها مسلمون ، إلا أن ٦ مدارس فى المدينة تابعة للكنيسة ، و ٣ منها تابعة لوزارة التعليم ، وحسب معلومات الشخصيات البارزة فى البلد ، فانهم لم يستطيعوا الا تنصير شخص واحد اسمه ابراهيم ديما ، اهتمت به الكنيسة منذ الصغر وهو كالعادة من عائلة

فقـــيـرة جـــدا وجـاهـــل بدينـــــه وهـــو يمثـل حاليا منظمة الرؤية العالمية (١) ، وهى منظمة حاقدة على الاسلام كثيرا ، وقد طلبت من الاخوة الاهتمام بالرجل وتكوين صداقة معه وعدم دعوته بالكلام فى البداية حتى يطمئن الينا والى اخلاقنا والى معاملتنا الحسـنة .

---

(١) منظمة الرؤية العالمية WORLD VISION

أسست هذه المنظمة عام ١٩٥٠من طوائف مسيحية متنوعة لتكون واجهة لها للعمل البشيري . وتحتل هذه المنظمة المرتبة الثانية على صعيد المنظمات التبشيرية البروتستانتية الامريكية من حيث حجم الميزانية ، وذلك بعد منظمة « النجمع المعمداني الجنوبي » والذي بلغت ميزانيته في عام ١٩٨٨ ١٦٩ر٣ مليون دولار . وتهتم منظمة الرؤية العالمية بشكل خاص في برامج رعاية الطفولة والاعمال الاغاثية وبرامج تنمية المجتمعات والبشير والخدمات الطبة ، وقد بلغت ايراداتها المالية لسنة ١٩٨٨م ما يعادل ١٤٥ر٩٦١ مليون دولار إضافة إلى تبرعات عينية تقدر قيمها بحوالي ٢٥ر٩ مليون دولار وقد خصص مبلغ ١٣١ر٧ مليون دولار للتنصير خارج الولايات المتحدة . بلغ عدد منصري هذه المنظمة ٣٥٢٢ منصرا يعمل منهم ٢٨٢١ منصرا خارج الولايات المتحدة ، بلغ عدد الامريكان منهم حـــوالي ٧٥١ منصـــرا والبقيـة من جنسيات أخرى .

وتعمل هذه المنظمة في الخارج تحت اسم (الرؤية العالمية الدولية) ويشمل نشاطها قارات العالم بأجمعها مع التركيز على افريقيا واسيا ثم امريكا الجنوبية ، وقد بلغ عدد البلدان التي تعمل بها (٨٠) بلدا حتى عام ١٩٨٦ وتمكنم هذه المنظمة على عدد المنصرين العاملين لديها والمشاريع التي تعمل بها في البلدان ، ومن البلدان الاسلامية التي تنشط فيها منظمة الرؤية العالمية : افغانستان ، بنغلادبش ، تشاد ، مصر ، اندونيسيا ، فلسطين ، الاردن ، لبنان ، مـالي ، موريتانيا ، الباكستان ، السنغال ، الصومال ، أوغندا ومن الدول الافريقية كنشاسا وملاوي وتنزانيا وساحل العاج وموزمبيق وغيرها ، وفي كينيا على سبيل المثال بدأت هذه المنظمة نشاطها عام ١٩٧٤ فغطى ٤٢ منطقة في انحاء كينيا حتى عام ١٩٨٦ ، ويتركز نشاطها في ثلاثة محاور هي رعاية الطفولة والاسرة والمجتمع ، وتقوم بنشاطها من خلال الكنائس المحلية ، بمعنى أن الكنيسة تقوم باستغلال هذه المشاريع للتبشير من خلالها ، وقد تصدرت كينيا قائمة الدول الافريقية من حيث حجم نشاطهذه المنظمة بسبب تواجد مكتب المنظمة الاقليمي في نيروبي اضافة إلى المكتب الميداني الخاص بكينيا ، اذ بلغ عدد المشاريع المنفذة في كينيا منذ عام ١٩٧٤ وحتى عام ١٩٨٦ ، ١٨٠ مشروعا وقد لوحظ نمو عدد المشاريع بمعدل يزيد عن ٢٠ مشروعا سنويا ، وتتعاون المنظمة مع المعاهد المختصة بتخريج دعاة مسيحيين مختصين في العمل وسط المسلمين ، كما تدعم بسخاء البحوث الخاصة بتنصير المسلمين .

« يرأس المنظمة الدكتور روبرت أ . سيبل Dr . ROBERT A SEIPLE »

« كما يرأس القسم الدولي فيها جرايم ايرفين GRAEME IRVINE »

« توجد لمنظمة الرؤية العالمية مكاتب رئيسية في كل من بريطانيا واستراليا واوربا ونيوزيلندا وهونغ كونغ إضافة إلى مكتبي الولايات المتحدة وكندا .

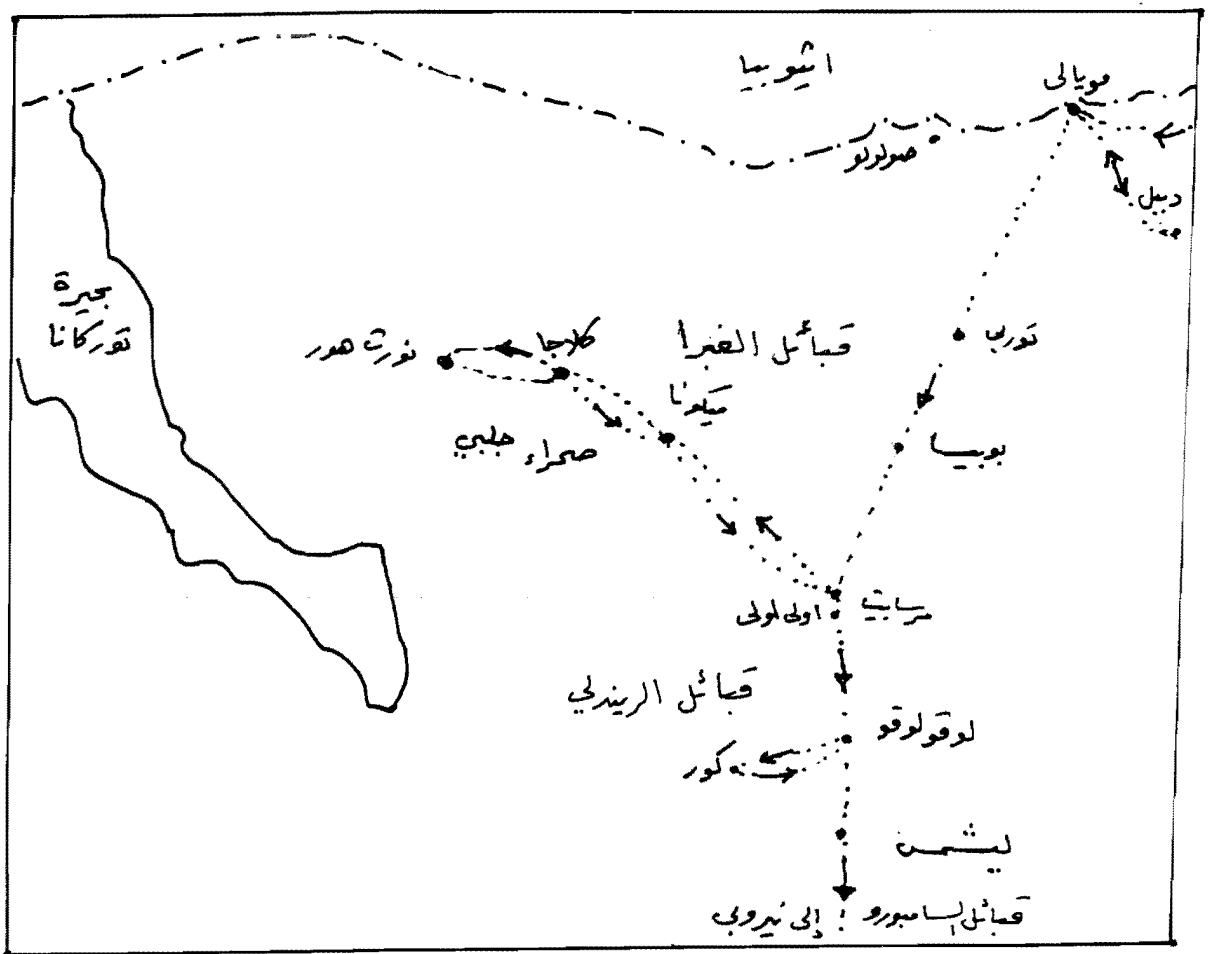

خطة الغبرا ترب الحدود الكينية الاثيوبية .

نموت مسلمين ولا نعيش نصارى :

ثم توجهنا بعد الفجر الى قرية طالما سمعت بها ، خطت بجهادها اسطورة من الاساطير ، اسمها دبيل تبعد ٣٥ كيلو مترا عن مويالى ، قامت الحكومة الكينية بتدمير القرية تماما عندما ثار الناس فى المناطق الشمالية والشرقية ضد الحكومة في الستينات ، وتفرق اهلها وسط الغابات ، ولكن منذ حوالى خمسة عشر سنة بعد أن هدأت الأمور طالب بعض السياسيين المسلمين باعادتهم فوافقت الحكومة علي مضض ، وتجمع بعض المسلمين من الغابات وليس شرطا أن يكونوا اصلا من أهل القرية فى هذا المكان وقد كانوا بلا طعام ولا منازل ولا أى خدمات على الاطلاق .

وكانت فرصة ذهبية للقوى المسيحية حيث افتتحت الكنيسة الكاثوليكية مركزا لتدريب الناس على الزراعة وقامت بتوزيع الأكل ، ولكن الجميع لم تزدهم النكبة والمعاناة الا ايمانا بربهم ، وتمسكا بدينهم واعتزازا بقرآنهم رغم فقرهم وجهلهم ، فقد رفض الجميع المسيحية ، فتركت الكنيسة الكاثوليكية القرية وهجرتها ، وجاءت الكنيسة الانجيلية فبنت مدرسة لهم وبدأت تعلمهم وتحاول نشر المسيحية ، ولكن المسلمين ضيقوا عليها حتى تركت القرية بعد أن قامت بهدم المدرسة عنادا .

وجاءت الكنيسة الافريقية الداخلية ، وهى كنيسة امريكية من كبرى المنظمات البروتستانتية المهتمة بالعمل التنصيرى فى افريقيا ، وتبرعوا لهم بجمال وأبقار ، وقال لى زعيم القرية أنهم جاءوا بأطعمة فى وقت المجاعة وطلبوا منا أن نغير ديننا حتى يعطونا الطعام ، وكان هذا الطعام من أطعمة

برنامج الغذاء العالمى التى تساهم فيه كل الدول العربية والاسلامية ، ويتم توزيعه عن طريق الكنيسة ، ولكن الاهالى رفضوا رفضا قاطعا أى نقاش حول الدين فحمل المسيحيون اطعمتهم ورحلوا تاركين الاهالى يموتون من الجوع ، وقالوا لهم اطلبوا من المسلمين أن يطعموكم ، فهذا الطعام جاء به النصارى ، ولكن الاهالى ردوا بكل عزة نموت على الاسلام ولا نرضى بالعيش نصارى ، وأكمل شيخ القرية حديثه قال أن المأساة ليست فى فقرنا أو موتنا جوعا ، فهذا شيء قدره الله علينا ، وندعوا الله سبحانه وتعالي أن يرفعه عنا ، ولكن المأساة أننا وصلنا الى الدرجة التى يتجرأ فيها الآخرون على أن يساومونا على ديننا مع الأسف .

قلت له : ماهى أولوياتكم .. فهل تريدون أن نساعدكم فى الزراعة .. أم نساعدكم بتوزيع الطعام .. أم نبنى لكم مستوصفا .. أم مسجدا .. أم مدرسة .. ماهى أولوياتكم ؟ .. ولم يدعنى اكمل حديثى .

فقال : لا خيار لنا ، اننا كل يوم ندعوا الله سبحانه وتعالى أن يصل لنا اخواننا ليبنوا لنا مسجدا ومدرسة ، فهذا أهم شيء عندنا ، نريد المسجد لنصلى فيه ، فأنت كما ترى مسجدنا من القش والطين ، ونريد مدرسة تعلم اولادنا الدين الاسلامى ليفتخروا به .. يا لله ... كم تأثرت .. وكم تعلمت من دروس كثيرة فى العزة من هذا القروى البسيط الذي أصبح استاذا لى ، يعلمنى كيف يجب أن يكون المسلم ، فعاهدته على أن أبحث عن متبرعين لبناء المسجد والمدرسة .

لو يرى المسلمون الذين يقلدون الآخرين فى كل تصرفاتهم بل حتى

في اذواقهم وملابسهم وتقاليدهم واخلاقهم ، عزة هذا القروى الذى لم يرى عربيا فى حياته ، ولم يقرأ كتابا واحدا عن الاسلام ، وربما حتى لم ير مصحفا ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يعرض نفسه وقريته للموت جوعا ، على أن يرضى بتغيير دينه ... . تمنيت لو أن الشباب والفتيات المسلمات فى بلادنا الذين يحرصون على الموضات الغربية والشرقية بل انهم يشوهون أنفسهم لا لشيء إلا لأن بعض التافهين فى ديار الغرب يفعلها ... تمنيت لو تتلمذوا على أيدى أهل دبيل .

تركت قرية دبيل وأنا أحس أنني تركت جزءا من قلبي فيها وكلي أمل أن آتي مرة أخرى وأجلس مدة أطول في هذه القرية .

في منطقة مويالي تجد الكثير من الاسماء العربية الاسلامية على المحلات التجارية ، فمثلا .. مطعم توكلنا على الله ، وفندق الايمان ، وبقالة المدينة المنورة ، ودكان بسم الله ... الخ . الاسلام هنا يحتل مكانه عالية فى نفوس الناس بدون وجود دعاة متخصصين .... وأعز هدية يمكن تقديمها للناس هنا هو كتاب اسلامي يفرحوا به .

وقد حدث صدام بين الاهالي المسلمين والكنيسة الكاثوليكية حول تدريس الدين في المدارس حيث إن المنهج الحكومي يفترض أن يجلس الطالب للامتحان في نهاية السنة في موضوع الدين وتتطلب المناهج أن يدرس الطلاب دينهم ولأن المسلمين لايستطيعون توفير مدرس لتدريس الدين الاسلامي وحتى لو وفروه فان الطلبة يعجزون عن دفع قيمة الكتب لذا تقدمت الكنيسة الى وزارة التعليم بأنها على استعداد لتدريس الدين

المسيحي وتوفير الكتب مجانا لجميع الطلبة المسلمين شريطة ان يدرسوا الدين المسيحي ولكن الاهالي رفضوا باصرار ذلك العرض .

فى الطريق توقفنا فى قرية توربى ، ويسكنها حوالى سبعة آلاف نسمة ، منهم خمسمائة من المسلمين ومائة وخمسين من المسيحيين والباقى من الديانة التقليدية للغبرا .

قبيلة الغبرا والأصل الإسلامي :

والغبرا قبيلة يبلغ تعدادها حوالى ٨٠ ألف نسمة ،معظمهم من البدو الرحل يسكنون فى شمال كينيا وجنوب أثيوبيا ، ويعتقدون أن أصلهم من الصومال هاجروا من هناك الى هذا المكان قبل ٤٠٠ سنة فأستعبدتهم احدى القبائل الوثنية الكبرى آنذاك ، وهى قبيلة البوران ، وانحرفت عقائدهم نتيجة انعزالهم عن المسلمين وسكنهم بالقرب من الكفار ، فالتقليديون يحتفلون برمضان ويصومون ٣٠ يوما إلا أنهم يفطرون قبل الغروب بقليل ، كما يصومون صوما أصغر بعد رمضان ... ويحتفلون بعيد الاضحى ويسمون شهر ذي الحجة .. شهر عرفة .. مستخدمين هذا الاسم العربى ، ويذبحون الاضاحى ، كما أنهم لايقلمون اظافرهم ولا يقصون شعورهم طوال شهر رمضان ، وفى يوم العيد تذبح كل عائلة شاه ، ويأتى الزعيم الدينى ليقوم بالدعاء لأهل البيت ثم يذبحها ، كما أنهم لايقطعون أى شجرة قبل أسبوعين من الاحتفال بالاضحى .. وفى اهازيجهم واحتفالاتهم الدينية ينشدون ويغنون عن نور الله ومكة والمدينة ... ولكنهم لايعرفون ماهى مكة أو المدينة ، كما أنهم لايعرفون معنى نور الله ، ويقرأون فى اهازيجهم ...

الحمد لله ربنا ... باللغة العربية الصحيحة ، ومن الطريف أن أى شخص يولد عندهم يوم الاثنين من الرجال يسمونه مامو .. أى محمد .. ويوم الثلاثاء .. اسحق .. ويوم الاربعاء .. على .. ويوم الخميس أمورو .. أى عمر .. ويوم الجمعة أدنوا .. يعنى آدم .. ويوم السبت .. أبودو .. أى عبده .. ويوم الاحد .. ابراى .. أى ابراهيم ..

وفى ليلة الجمعة يحتفلون بالذكر ويرسمون اشارة على الجمل يسمونها ألف وهي تشبه حرف أ باللغة العربية ، واسماء أيام الاسبوع عندهم كما هى باللغة العربية الفصحى ، السبت والاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ، أما الجمعة فقد تم تحريفها الى كَمات .. وأظن أنهم عطشوا حرف الجيم ... كما يفعل أخواننا المصريين .. أى كَمعه ثم أصبحت كَمعات .. ثم كَمات ، كما يزور هؤلاء قبرا مشهورا فى منطقة علواق قرب الحدود الصومالية ، اسمه قبر أبوعمر ويسمونها . قبر أبوبر .. ويحلفون به ..! .

ويعتقد الغبرا أنه كان عندهم كتاب مقدس ولكنه فقد ، وهم ليسوا متأكدين من طريقة الفقدان ، فبعضهم يعتقد أنه قد أحرق ، والبعض الآخر يعتقدون أن البقر اكلته ، لذلك فعندما يذبحون بقرة فإنهم يفتحون بطنها ، ويأتى اشخاص منهم متخصصون فى البحث فى مخلفات الطعام الموجوده فى كرشها ، ويتنبأون لهم إن كان سيكون مطرٌ ، أو لأ ، وعندهم مكان للصلاة اسمه .. نابو .. أو مسيجيد .. ويخلعون نعالهم قبل الدخول لهذا المكان ويؤذنون خمس مرات فى اليوم ويقولون فى آذانهم .. كاليو .. كاليو .. أى تعالوا . تعالوا باللغة الصومالية ، رغم انهم لايعرفون معنى كاليو .

ملاحقة الدعاة :

وفى توربى أقام المسيحيون كنيسة ويزور القسيس الايطالى الكنيسة اسبوعيا ، كما يقوم بزيارات مجاملة لزعماء قبيلة الغبرا ويهديهم التمباك والشاى ، حيث أنهم متعودون على علك التمباك وتخزينه فى أفواههم ، وهناك قسيس محلى ، وقد بدأوا مدرسة وروضة اطفال فى عام ١٩٨٥ والتقينا فى توربى بالاستاذ حرسن ديدا ، وهو أول من تنصر من قبائل الغبرا فى أواخر الخمسينيات ، واحتفل النصارى بذلك احتفالا كبيرا بتعميده ، وحضر ٣٤ قسيسا بطائرة خاصة خصيصا للاحتفال بذلك ، وكان طالبا فى الصف السادس الابتدائى ، وتخرج من المدرسة ليصبح استاذا فى المدرسة ، ولكن الله هداه الى الاسلام عام ١٩٧٨ ، واشتد عوده فى الاسلام وأصبح داعية من أنشط الدعاة للأسلام ، وكلما ذهب الى قرية من القرى أشتكى عليه النصارى ، وقد تم نقله من قبل وزارة التعليم ٣ مرات حتى الان ، بناءا على طلب القسيس الذى اشتكى لمدير التعليم فى المنطقة وهو مسلم ، ولكن مدير التعليم لم يفعل شيئا ، فذهب وأشتكى الى الحاكم ، وتعهد له بأنه سيدفع راتب ٢٠ معلما من الكنيسة اذا ماتم نقله . . .

وكان معظم الطلبة في كل المدارس التى درس فيها ، يصبحون مسلمين ، واشتكى لي بأنه قد كبر فى العمر الآن ، فهل سيبقى فى مكان يستطيع أن يقوم فيه بالدعوة ، وقال أنا لاأستطيع أن اسكت على تنصير اخوانى وأبنائى من المسلمين ، وكان يشتعل حماسا للدعوة الاسلامية ، وفرح بلقائنا فرحا كبيرا .

التقينا فى توربى بعدد من القيادات الدينية للقبيلة فى هذه المدينة وحدثناهم عن الاسلام ، ففرحوا بذلك ، ولكن دخل علينا القسيس فى ساحة المسجد ، ولم نشأ أن نطرده كما دخل الزعيم الدينى للغبرا فى هذه المدينة ، واسمه الياى ، فحدثنا هذا الزعيم عن الاسلام وشرحنا له عقيدته السليمة السمحة ، فرد علينا ردا يخلو من اللباقة ، وأخبرنا الاستاذ حرسن بأن هذا الزعيم يزوره القسيس فى كل أسبوع ، وأنه يقدم له فى كل زيارة هدايا وأموالا كثيرة ، وأشار بلطف إلى أن أنظر إلى صدره ، فوجدناه قد علق الصليب ، وعلمنا انه يتعمد الرد القاسي علينا امام القسيس حتى لا تنقطع مساعدات الكنيسة عنه وعن عائلته .

وقال لنا هذا المعلم أرجوكم أن تكرروا الزيارة فهؤلاء مسلمون دون أن يعرفوا ذلك .. انهم يحتفلون بالمولد النبوى ويسمونه ذكرى أو ذكري ، ويذبحون الحيوانات ، ويذكرون الله عند الذبح ، فيقولون نور الله ، نور مكة والمدينة ، وعند الزواج يقومون بعقد النكاح ، ويسمون كل انسان غير مسلم كافرا ، وفى الصباح قبل أن تخرج الحيوانات للرعى فانهم يدخلون المكان المقدس عندهم ، أو مايشبه المسجد ويدعون فيقولون اللهم لاتريهم أبليس أو وجه كافر ...

ومن توربى توجهنا بالسيارة الى قرية نائية وأخبرنا أن فيها زعيم من زعماء الغبرا ، وتبعد عن الشارع الرئيسى الترابى مايقارب من ١٠ كيلومترات ، وتحيط بها الصخور البركانية فى كل مكان ، والقرية منعزلة يسكن فيها رئيس طائفة الأدول ، وهى أحدى الطوائف الخمس التى تتبع

قبيلة الغبرا ، والارض كلها صخور بركانية ، ما أن خرجنا من الطريق الترابى حتى بدأت تقل سرعة السيارة تدريجيا ، اذ أصبحت ٢٠ كيلومتر فى الساعة ، تتناقص من كثرة الصخور وكبر حجمها التى تجعل السيارة تصعد وتنزل ، ثم أعلن جهاز التعليق بالسيارة استسلامه وانكسر وتعطل ، رغم أن السيارة جيب لاندروفر ، إلا أننى لاأظن أن هناك سيارة لمثل هذا الطريق الوعر جدا ، وأصبحت سرعة السيارة أقل من ٣ كيلومتر فى الساعة فأضطررنا إلى أن ننزل بعد أن استسلم الزنبلك الذى يرفع السيارة ، وتحرك من مكانه ولم يعد بالامكان أن تستمر السيارة فى المضى وسط الاحجار وبدون طريق ... وبدأنا السير على الاقدام وسرعان ماأنقطعت نعلى ، وبدأت أسير حافيا .

الحجارة الكبيرة تنزلق عليها الرجل ، ولكنها أرحم مرات كثيرة من الحجارة الصغيرة التى تمزق أقدامى كالامواس الحادة ، اذ تدخل فى القدم وتخترق الجلد ، تمنيت أى تراب أو زرع ولو بحجم صغير يكفى قدمى ، لترتاح عليه أقدامى ولو للحظات ، ولكن لاأمل ، حاولت أن أخفف الألم بلبس الفردة السليمة التى لم تنقطع ، ثم تذكرت نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن السير بنعل فى رجل واحدة ، فخلعتها ، وازداد الألم ونحن نسير ... ولو عرض على شخص نعالا أو حذاءً فى ذلك الوقت مقابل سيارتى لما ترددت ، فالألم شديد .

وبدأ الاخوة المرافقون معى يتأخرون فى مشيهم من أجلي ، وخلع الشيخ ابراهيم حذاءه بعد أن رفضت لبس حذاءه مصرا على أن يشاركنى المشى

حافيا ، رغم أننى غضبت عليه ليلبس الحذاء بدلا من حمله ، إلا أنه رفض ، لكن الصخور المدببه الصغيرة فيما يبدو أقنعته بلبسه مرة أخرى ... لاأدرى كم أستغرق المشى .. ساعة أو ساعتين أو ثلاث ، كل ماأدريه أن قدماي تلتهبان من الألم ، وأحس مثل النار في اقدامي ، حتى وصلنا ، ومأأن جلست فى مسجدهم أو مايسمى النابو حتى أخبرونا أن ذلك مخالف لما أسموه آده (عادة) يعنى انه مخالف للتقاليد والدين والعادات عندهم ، ويجب أن لايدخل أى انسان فى النابو بعد خروج الماعز للرعى فى الصباح .... تحركت بصعوبة بالغة جدا بضع خطوات لأخرج ، فوجدناهم قد أعدوا ثمانية مقاعد صغيرة منحوته من الخشب ، ورغم علمى أنه لايجوز أن تجلس على أى كرسى إلا باذن ، إلا أننى لم أستطيع الوقوف على قدمى من شدة الألم في أقدامي فجلست على أول مقعد دون استئذان ، وتبين لى أنه لايجوز لكبير السن أن يجلس علي مقعد يستخدم من قبل الصغار أو الشباب ، فلكل مرحلة من العمر مقعد او مقاعد .

جاء أحد كبار السن ، وسأل النسوة فى البيت القريب إن كان هذا المقعد مخصص للكبار ، فأجابوه نعم ، فجلس عليه .

لم أكن أستطيع الدعوة أو الحديث عن الاسلام ، فكل مايشغلنى آنذاك ، هو كيف أعود للسيارة التى تركناها وسط الاحجار مشيا على الاقدام مرة أخرى ، تمنيت لو أن هناك جملا لأركبه ، ولكن قيل لى أن الجمال لاتستطيع أن تعيش وسط هذه الاحجار ، ولايوجد بها إلا الماعز الذى أخذوه للرعى ، ولكن الله سهل ، اذ أن أحدهم لديه إبرة فقام بخياطة نعالى بشكل مؤقت ،

فادى لي بذلك خدمة كبرى - جزاه الله خيرا - ، وقدموا لنا حليبا مع ماء كله طين غلب فيه لون الطين على لون الحليب الأبيض وقيل لنا ان هذا من الماء الآسن الذي يجمعونه من حفر الأمطار .

واستغربت من اختيارهم هذا المكان الذى لاماء فيه ولا زرع ، وعلى مدى الأفق لاتجد إلا حجارة بركانية سوداء ، فأجابوا بعقلية القروى البسيط ، لو اخترنا مكانا سهلا قرب الشارع لجاءنا من نحب ومن لانحب ، أما هنا فلا يصلنا إلا من يريدنا ، ولكن ياترى هل فكروا فى صعوبة الحصول على الماء والعشب لهم ولحيواناتهم ؟ ...

اكتشفنا أن الزعيم الكبير غير موجود وأنه قد خرج للرعى ، ولكن وجدنا نائبه ، وكان رجلا قد جاوز المائة عام ، وكثيرا مايسرح عقله ، حيث أصابه الخرف ، فتألمنا عندما وجدنا أنه قد علق الصليب على صدره ، فلما سألناه ، أجاب بصعوبة كبيرة .. أن القسيس الابيض يقوم بزيارتهم كل يوم سبت ، وأنه يسير على قدميه هذه المسافة التى سرتم بها وأنه يأتيهم بالهدايا ، فشرحنا له عن الاسلام ، فقال هذا هو دينى ، فقلنا له اذا كان هذا هو دينك ، فعليك أن تخلع الصليب ووافق على ذلك ، واثناء حديثنا أسلم أبن الزعيم ، وكان قد تخرج لتوه من الثانوية ، وأخبرنا أن الكنيسة قد أخذت اخاه ودرسته فى معهد اللاهوت وتخرج قبل بضعة أسابيع كقسيس مسيحى ، وأنهم يهدون أباه باستمرار الكثير من الهدايا ، حتى يرضى عنهم ، طلبنا من هذا الشاب أن يقوم بزيارتنا في المدينة القريبة ، وتعهدنا له بأن نجهز له دورة ليعرف دينه الاسلامي على حقيقته فى المعهد الشرعى التابع

لنا فى مدينة مرسابيت فوعدنا خيرا .

بدأنا رحلة العودة الى السيارة ، إلا أننى كنت أشعر أننى أسير على جمر ، اذ أن الجروح تسبب الكثير من الآلام ، كما أن المناطق القليلة التى لم تجرح تورمت وأنتفخت ، ولكنها نسبيا أرحم بعض الشىء من المجىء الى القرية وبدأنا ندور وسط الحجارة لأننا لانرى السيارة ، والارض كلها تلال وأودية ، وبعد مدة ، رأينا سطح السيارة يبرز من بين بعض التلال الصخرية ... وحمدت الله على أن هناك نعالا ألبسها ... وعدنا بسرعة بطيئة جدا حتى وصلنا الى الطريق الترابى العام ، ومن هناك الى بوبيسا التى تبعد حوالى ساعة ، ويسكنها حوالى ٨ آلاف نسمة ، منهم ١٠٠ مسلم و ٢٠٠ مسيحى ، معظمهم من الطلبة ، حيث ان المدرسة تديرها الكنيسة ، والباقى من أتباع الديانة التقليدية للغبرا .

الكنيسة الكاثوليكية بدأت فى عام ١٩٨٠ ببناء كنيسة ، ثم تم تجديدها بعد ٥ سنوات ، وبدأوا فى ارسال وتدريب المبشرين من أهالى القرية الى القرى المختلفة ، كما أن الكنيسة البروتستانتية بدأت بعدها بسنتين وأنشأوا مدرسة ابتدائية ، وعينوا قسيسا من أهالى الغبرا .

وتقوم احدى المنظمات المسيحية المتعصبة جدا من امريكا بتوزيع الطعام كما يقومون بالعناية بالطلبة ، ودفع رسوم الدراسة عنهم ، والمسلمون هناك لايصلون الا فى بيوتهم معظم الاحيان ، ولاتقام صلاة الجمعة ، لأنه لايوجد أحد منهم يعرف أحكام الجمعة ، كما لاتوجد مدرسة عربية ولايوجد معلم ، ولا إمام .

قال لى زعيم القرية المسلم ، نحن لانفهم من الاسلام إلا اسمه ، نحن مسلمون مع الأسف ، لأمرين لأننا نحب الاسلام ، ولمجرد أن أسماءنا اسلامية ، وجميع الطلبة بما فيهم ابناؤنا مجبرون على تعلم الديانة المسيحية فى المدرسة الحكومية ، لأنه لايوجد مدرس يدرسهم الديانة الاسلامية ، ولأنهم يحبون الاسلام فقد تبرعوا بـ ٣٠٠ طابوقة لبناء المسجد ، وبالطبع فان المسجد يحتاج الى عشرات اضعاف هذا العدد ، وتعهدنا لهم ببناء المسجد اذا توفر الماء ، حيث أن البئر الارتوازى الوحيد معطل ، كما أن الكنيسة قد حفرت بئرين ، عمق البئر حوالى ١٠٠٠ قدم ، ولكنهما لايعملان الآن لأن هذه الآبار تحتاج الى تنظيف ، رأينا ثلاثة مطاعم يملكها المسلمون على الطريق العام تبيع الشاى للمسافرين على هذا الطريق ، أحدها اسمه توكلنا على الله ، والثانى اسمه بسم الله ، والثالث اسمه مطعم التوكل ، شربنا الشاى عند احدها وارتحنا من عناء السفر لبضع دقائق رغم الكميات الهائلة من الذباب الذي ترك أهالي المنطقة وجاء يحوم حولنا ويضايقنا ويستغرب الانسان ان يعيش الذباب في مثل هذه المناطق الجافة التي لاتوجد بها زبالة.

قبل دخول مرسابيت ببضع كيلومترات ، توجد حفرة كبيرة جدا وسط الجبال مساحتها تزيد عن كيلومترا مربعا وعمقها حوالي ٢٠٠ مترا تتجمع فيها مياه الأمطار ، يبدو انها من بقايا نيزك ضرب الأرض في هذا المكان ، وأذكر انني شاهدت مثلها في جزيرة موريشيوس وفي جنوب الولايات المتحدة وتتجمع مياه الأمطار فيها ، ولا اتصور الهزة التي حدثت عندما اصطدم النيزك بالارض آنذاك .

مرة أخرى نحن فى الطريق الى مرسابيت على بعد بضع ساعات فى طريق فيه بعض الاحجار ومليء بالغبار ، حتى وصلنا الى مشارف المدينة ، فكان المركز الاسلامي والمعهد الشرعى ، أول مانرى ، يسر النظر ويشرح الصدر ، فقد تعودنا أن نرى فى دخولنا لكل بلدة الكنيسة فى مدخل القرية أو المدينة ، ومركزنا هذا لم يكتمل حتى الآن .

الشيخ حسن مثل للدعاه :

الشيخ المسئول ، وهو شيخ فاضل اسمه الشيخ حسن ، هرب من الحبشة بعد أن حكم عليه بالاعدام من قبل الحكم الشيوعى هناك ، وذهب الى الصومال ، وبدأ يدرس فى الصومال ، ولكن سرعان ماقامت الحرب الاهلية هناك ، فاحترق بيته ، واصابته رصاصتان ، وفقد زوجتيه وجاء هاربا الى كينيا ، وكان أن سلمته العناية الآلهية لنا فاقترحنا عليه أن يقوم بالاشراف على المعهد الشرعي وفرح بذلك فرحا كبيرا ، اذ يقوم هذا الشيخ الطيب بالدعوة ، اضافة الى التدريس فى المعهد ، حيث أحضرنا خمسة من الشباب ممن أنهوا المدرسة الابتدائية على الاقل فى المدارس الحكومية من كل قبيلة من القبائل ، ونعطيهم دورة لمدة أربع سنوات ليعودوا بعدها الى قبائلهم دعاة الى الله .

ويقوم الشيخ حسن بالتنقل بين القرى ، ولم أر فى حياتى داعية يتحمل فى التنقل مشيا على الاقدام مايتحمله الشيخ حسن جزاه الله كل خير ، حيث انه يمشى اليوم واليومين فى سبيل الله للوصول الى بعض القرى لدعوتهم .

ولم أر داعية من الدعاة كسب حب الجميع رغم الخلافات الشديدة بين مختلف القبائل ومختلف المجموعات هنا قدر ماحصل عليه هذا الشيخ المبارك ، الذى يمتاز بالحكمة فى دعوته .

بعد لقائنا ببعض الشخصيات فى مدينة مرسابيت وهى عاصمة الاقليم ، جلسنا مع دعاتنا نراجع مراكز الاغاثة والمراكز الاسلامية والنشاطات الاسلامية ، وعلمنا أن أحد المسلمين تبرع ببيته لتحويله الى مدرسة دينيه ، عندما أخبرناهم أننا ننوى أن نذهب الى الغابات لدعوة اخواننا من أبناء قبيلة الغبرا ، حذرونا من إحدى القبائل المتوحشة البدائية ، واسمها قبيلة شانكيلا ، يعتقد أن أصلها من جنوب السودان لانها قبيلة من قبائل البانتو بينما معظم القبائل الموجودة إما هى قبائل أصلها من الصومال والحبشة ، أو أنها قبائل نيلية ، وهذه القبائل تعيش فى الغابات وبدون قرى ، والقرية الوحيدة عندهم ، هى ترنتيوت ، يمر من خلالها طريق وفيها دكاكين قليلة ، ولايتجاوز عدد البيوت عشرة ، وهؤلاء هم أفراد القبيلة الذين تطوروا ، أما الباقى فهم متوحشون يعيشون فى الغابات ، ويقومون بسرقة الحيوانات من القبائل المجاورة ، كما أنهم يقومون بسرقة أى سيارة أو مسافر أو عابر يمر فى أراضيهم وقد حصلوا على أسلحة نارية حديثة .

وحدثنا اخواننا عن العمل المسيحى ، وعن عشرات المنصرين من أوربا وشمال امريكا ، بل حتى من الهند ، الذين جاءوا للعمل إما كقسس أو مبشرين ، ويعيشون فى وسط الغابات مع الناس ، ويبذلون اموالا ضخمة جدا ، وقد استطاعوا تنصير أعداد ليست قليلة فى المنطقة ، ولكن رغم ذلك فان الامل فى الله كبير فى أن يقوم اخواننا بجزء من واجبهم ، لأن المسيحية لم تدخل ولم تتغلغل فى نفوس معظم الافارقة ، وذكر لى أحد دعاتنا أنه فى قرية كاركى سأل أحد كبار المسئولين الافارقة في العمل المسيحى ، عن بعض الاشخاص ، فقال له أنهم فى الكنيسة ، ولما أستغرب من ذلك حيث أن بعضهم ليسوا مسيحيين ، عرف أنهم يسمون الخمارة كنيسة ، وهذا نموذج يبين مدى احترام هؤلاء لدينهم ... ويؤكد على أن المسيحية لم تدخل قلوبهم وأنهم لو وجدوا عرضا طيبا لدين الاسلام لما ترددوا فى قبوله .

خرجنا من مارسابيت الى قرية ميكونا بوسط الحجارة البركانية ، حيث لايوجد شجر ولا زرع ولاماء ، والارض مفروشه بصخور سوداء ، وبعد حوالى ساعتين وصلنا الى ميكونا ، وكان اول من التقينا به فى الطريق ممثل المنطقة فى المجلس البلدى وهو مسلم ، الذى أخذنا لزعيم القرية وهو كذلك مسلم ، ورأينا تجمع لزعماء دينيين ، أو مايسمونهم باللغة المحلية (دبيلا) وهو بمثابة الشيخ أو الزعيم الدينى عند الغبرا .

جلسنا نحدثهم عن الاسلام ، أخبرناهم أننا عرب أتينا من أرض مكة والمدينة التى تغنون بها باستمرار ، وسبب قدومنا أن نتعرف على اخواننا ، وشرحنا لهم أن اصلهم من الاسلام ، فهم ينشدون عن نور الله ، ويذكرون نور

مكة والمدينة ، ويذبحون الحيوانات ويحتفلون برمضان وبعيد الاضحى ، ويعقدون النكاح الشرعى ، واسماء الاسبوع أسماء اسلامية ، ويقسمون الشهر حسب الاشهر العربية ، وقال أحدهم من اصحاب الديانة التقليدية لقد كنت احدث اخوانى وزملائى أننى البارحة قد رأيت رؤيا ، أنه سيأتى اشخاص يلبسون اللباس الابيض ويحاولون توحيد ديننا مع المسلمين ، وهذا مصداق مارأيته البارحة في رؤياي ، وبعد حديث طويل ونقاش تخلله بعض الاسئلة الطريفة التى تدل على بساطة عقلية القرويين ، فأحدهم قال أنا دبيله ، واذا أسلمت وأريد أن أصلى فماذا أعمل بعمامتى ، إذ انه حرام علينا في ديننا أن نضعها على الارض ، فأجبناه بأننا كلنا نلبس الطاقية ولانرفعها من رأسنا عند الصلاة .

وبدأوا يتحدثون عن كتابهم المقدس الذى يعتقدون بأنه أحرق أو أكلته البقر ، فقلنا لهم أيا ماكان لكننا نحن في أرض مكة والمدينة المسلمون عندنا نسخة من هذا الكتاب لم تأكله الابقار ، وأنتم ليس عندكم نسخة ، وقال بعضهم أننا سندخل الاسلام خلال يومين أو ثلاثة ، ولكن نريد أن نناشدكم الاله ، أن تهتموا بأولادنا ، ومن الطريف أن زعيم القرية فرح بنا فرحا شديدا ، فمنذ وقت الضحى حتى وقت متأخر من الليل كان جالسا معنا دون أن يذهب الى أهله ودون أن يأكل ، ويقينا بدون طعام ، وفى الليل جاءنا بعض الاهالى بشئ من الحليب والشاى ، فشربناه ونحن فرحين ، فالجوع قد أخذ منا مأخذه ..والقرية ليس فيها دكان ولا مطعم وليس معنا طعام لنا .

وميكونا قرية سكانها نحو خمسة آلاف نسمة ، فيها كنيسة كاثوليكية

ومدرسة ابتدائية تتبع الكنيسة فيها أربعمائة طالب ، منهم مئتان وخمسون طالبا قبلوا النصرانية لان الكنيسة تدفع عنهم رسوم الدراسة البالغة ثلاثه دولارات ، وللمسيحيين كذلك عيادة للاطفال ، وهناك كنيسة بروتستانتية ، فيها قسيس من أهالى الغبرا ، وتقوم إحدى المنظمات المسيحية بدفع رسوم الدراسة عن الطلبة فى المدرسة الثانوية ، ويقوم القسيس الكاثوليكي بزيارة القرية ، أخبرنا أبناء قبيلة الغبرا أن الكاثوليك وصلوا عام ١٩٦٣ الى ميكونا ، ثم وصل القسيس وهو يعطى الحلويات والتمباك ، وحدثنا مدير البلدية فى المنطقة كلها ، فقال اننى أناشدكم ، أنه رغم جوعنا ورغم حاجاتنا الى التعليم ، ورغم حاجة طلابنا الى أن تدفع عنهم رسوم الدراسة ، إلا أننى لاأطلب منكم شيئا سوى معلم قرآن ، حتى يتعلم أولادنا القرآن الكريم ، فيصبحوا مسلمين أفضل منا .

قضينا تلك الليلة فى المسجد المتواضع ، وكان من فضل الله سبحانه وتعالى أن البعوض قليل ، حيث ان القرية لايوجد بها ماء ، وهم يجلبون الماء من أماكن بعيدة ، ولم يخرج شيخ القرية من المسجد إلا بعد أن أخبرناه أننا نود النوم ، ورأفنا بحاله لصبره معنا طوال هذه المدة ، واستيقظنا في الصباح الباكر وكلنا نشاط بعد ليلة هادئة بفضل الله سبحانه وتعالى وأحضر لنا القرويون الشاى ، فشربناه وقسمنا بعض الاطعمة وشيء من الملابس على أولئك الذين أسلموا .

ثم توجهنا الى قرية كالاجا ، وهى قرية يسكنها حوالى سبعمائة عائلة تبعد حوالى ساعتين عن القرية السابقة ، والطريق ليس سيئا إلا أنه ملىء

بالاحجار البركانية التى تهز السيارة هزا فى كثيرا من مناطقه ، ويوجد حوالى ٤٠٪ من أهل القرية من المسلمين ، وأكثر منهم قليلا من الكاثوليك والباقى من ديانة الغبرا ذات الاصل الاسلامى ، كما يوجد هناك كنيسة ومدرسة ابتدائية تابعة للكنيسة ومنظمة شباب مسيحية .

وتقدم الكنيسة مساعدات للفقراء وتدفع الرسوم الدراسية ، كما أن البروتستانت قد جاءوا منذ عام ١٩٧٧ ، ويوجد أربعة من الغربيين من الولايات المتحدة وبريطانيا ، ولهم كنيسة ومستوصف وحفروا بعض الآبار ، ولهم برامج شبابية ويدربون النساء على صنع الحصير والسلال ، ورغم أن زعيم القرية غير مسلم ومساعده غير مسلم ، والمدرسة ٤٠٪ منها طلبة مسلمين ، إلا أن غالبية رجال الاعمال وأصحاب المحلات في القرية من المسلمين ، بينما غالبية المسيحيين إما طلبة يدرسون فى المدرسة ، وإما رعاة فى البادية ينتقلون من مكان الى آخر .

وأخبرنا أهل القرية أن ٢٠ شخصا أسلموا ولكن لم يجدوا من يشرح لهم الاسلام ، كما أنه بسبب الجوع والفقر والجهل ووجود الاطعمة التى توزعها الكنيسة وهى من أطعمة الامم المتحدة والمنظمات الدولية التى تتبرع لها الدول الاسلامية والعربية تنصروا ، والحقيقة انني استغربت كيف يسلم انسان في هذه القرية ، لأن المسلمين انفسهم لا يعرفون الا اقل القليل عن الإسلام .

اجتمعنا مع الدبيلا ورحبوا بنا ترحيبا حارا ، وقالوا إن ديننا ودينكم واحد ، نحن نؤذن ونصوم رمضان ولانأكل الميته ونحتفل بعيد الاضحى

ولاندخل المسجد بنعالنا ، ولانقص أظافرنا فى رمضان ، وقالوا إننا لانعرف مكة والمدينة ، رغم إننا نذكرها كثيرا ، لاندرى إن كانت مثل قريتنا هذه فيها ناس أم مجرد صحراء ، وهل هى فى غابة أم جبل ، ولكننا نحبها كثيرا ، كما ذكروا أنهم يحتفلون بالنكاح الشرعى ، وقالوا إن كتابنا ربما أكلته البقرة ، لذلك نحن نفتح معدة البقرة لنرى بعض الامور الغيبية ، وطلبوا منا أن نذهب الى رؤسائهم الذين يسمونهم ياي لاقناعهم بالاسلام ، وقالوا اذا قال لنا رؤساؤنا اسلموا فسنسلم بدون تردد .

ولكننا أصررنا على أن نسمع رأيهم وأصروا هم علي أن لايقولوا رأيهم حتى نرجع الى رؤسائهم ، وأخيرا إتفقنا معهم على أن نجتمع معهم في الساعة الثانية بعد الظهر قرب المسجد ، وقبل ان يغادروا اللقاء أصر الاهالي ان ادعو لهم بالمطر لأنه لم ينزل منذ ٣ سنوات وحاولت الاعتذار بكل جهدي لأنني أعلم تماما ان القصد من ذلك امتحاني فهم يذكرون ان القسيس اذا دعى اتى الله بعكس مادعى به وهم يكرهون القسيس الاوربي ولكنهم لايجدون بديلا وكرروا اصرارهم ان ادعو بالمطر فرفعت يدي وعيني تدمع ادعو الله ان لاتكون ذنوبي سببا في عدم الاستجابة والحمد لله ما ان مرت ساعتان حتى نزل المطر .

وعندما جاءوا عدنا للنقاش مرة اخرى ، عادوا الى نفس الموضوع أن نسأل رؤسائهم ، رغم ان بعضهم أسلم ، ومن الطريف أن أحدهم سمع أننى طبيب فجاءنى قبلهم واشتكى من أذنه ومن عينه ، وكان واضحا أن عينه بيضاء بسبب العمر ، حيث يبلغ حوالي التسعين عاما ، وربما نفس السبب

فى أذنه ، فلا يوجد علاج إلا بعملية ، فاعتذرت له أننى طبيب لكننى تركت الطب منذ سنوات ، وأننى لاأحمل معى معداتى ولاأدويتى ، ولم يقتنع هذا الفقير ، وظن هذا الرجل أننى أتهرب وأننى لاأود معالجته فأخذ موقفا معاديا منا خلال النقاش ، وكانوا على وشك الاسلام ولكن هذا الرجل اعترض وأصر على أن نذهب الى الرؤساء ونكلمهم ، وبعد اللقاء ذهبت اليه في كوخه وقدمت له مبلغا من المال حتى يذهب به إلى مدينة مرسابيت ويعالج عينيه وأذنيه .. إذ انني لا اريده أن يمنع ويعارض كل من يحاول الدخول للإسلام لأنني لم أعالجه .

ذكر لنا أحد رجال الدين عندهم أو الدبيلا أنه سأل القسيس هذه العمامة هل هي عندكم فى الانجيل ، قال لا ، هذه بلا قيمة ، وشيء ليس له معنى ، سأله عن مكه والمدينة ونور الله هل هى موجوده فى الانجيل ، فقال لا ، ولكن عندنا عيسى المسيح المخلص ، فقالوا إذن دينكم على باطل .

وذكروا لنا أنكم دعوتم اليوم أن ينزل المطر فى الصباح ، ونحمد الله أن المطر قد نزل بعد أن استجاب الله لكم ، بينما القسيس لو دعى الله والدنيا تمطر أن يزيد المطر لتوقف المطر حالا ، وقالوا أن القسيس وزع بعض الحيوانات من الاغنام على بعض الناس ، فلم تمت فقط حيواناتهم ولكن انتقل الموت حتى للحيوانات الاخرى التى يملكها هؤلاء الناس ، وقالوا إنكم مباركون ، وقالوا ان هذا الرجل الابيض لايأتى إلا بكل شر ، ولكن لانريدكم أن تغصبونا بالقوة على اتباع دينكم اليوم ، فأجبناهم أنه لاإكراه فى الدين وأننا نرفض أن يسلم أيا منهم رغما عن أنفه أو بشئ من الاكراه لأن هذا غير

• أحد شيوخ الغبرا ينتقد المسلمين لأنهم لم يزوروهم من قبل ليبلغوهم الدعوة، بعدها أسلم الشيخ

• قبائل الغبرا ذات الأصول الاسلامية والتي نساهم المسلمون، والمؤلف يلقن الشهادتين لأحد أبناء زعيم القبيلة، علما بأن أخوه أصبح قسيسا

• عائلة من قبائل شمال كينيا يرتحلون بحثا عن الماء والكلأ.

• مركز مسيحي بني على الطراز الإسلامي، سماه الكاثوليك مركز مكي لخداع المسلمين

• بعض القبائل الوثنية في لباسهم التقليدي

• جسر من الخشب البالي كاد ينهار تحت عجلات السيارة رغم الحرص الشديد

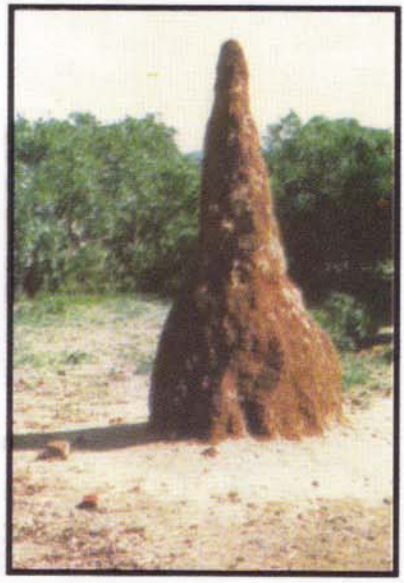

• بيوت النمل الأبيض التي قد تهاجم القرى وتأكل الأخشاب، وقد تأكل بعض الحيوانات وحتى الأطفال الصغار أحيانا، قد ترتفع بيوتها أحيانا لأكثر من ٤ أمتار

• أول من تم تعميده من قبائل الغبرا كمسيحي، وهو اليوم داعية مسلم وشعلة من النشاط.

• قبائل الغبرا الوثنية يصومون رمضان ويذبحون الأضاحي ويُنشدون عن مكة والمدينة وأسماؤهم وأسماء الاسبوع عندهم عربية، رغم أن القبائل المحيطة ليس لهم هذه العادات والأسماء

جائز ، فقالوا إذن دعونا نفكر .

بعد الظهـــر التقينا مع الطلبة فى المدرســة الابتدائية الكاثوليكية ، وحدثناهم عن الاسلام حيث اكتشفنا أن الطلبة يهربون من الدين الاسلامي ويدرسون بدلا منه الدين المسيحى لانه موضوع أسهل ويأخذون علامات أفضل ، ولاشك ان القسيس لم يكن مسرورا أبدا بمعرفته بأننا قد أتينا واجتمعنا بالطلبة بدون إذنه ، لكن مدير المدرسة وهو غير مسلم ، كان مسرورا جدا بلقائنا مع الطلبة ، وطلب منا مدير المدرسة بعض الطباشير وكتب تعليم الدين لأن الناس فقراء ولايملكون أموالا يدفعونها للمدرسة لشراء طباشير ، كما أن الكنيسة تزودهم بكتب تعليم الدين المسيحى ، ولكن لايوجد عندهم كتب بتعليم الدين الاسلامى ولايزودهم بها أحد ...

عندما غادرنا المدرسة سار معنا المدير وهو يؤكد حاجته الى كتب تعليم الدين الاسلامى حتى يدرسه الطلبة ، وقد علمنا ان القسيس الأبيض قد غضب غضبا شديدا بعد أن علم اننا قمنا بزيارة القرية ، بل والإجتماع مع الطلبة داخل مدرسته ، وطرد بعض المدرسين والعاملين الذين سهلوا لنا هذا الإجتماع ، كما اجتمع بالأهالي وقال لهم إن هؤلاء الزوار المسلمين مثل سحابة صيف تمر بدون مطر ، أما نحن فمعكم دائما ، ومن يدخل الإسلام فأنه يتعلق بهذه السحابة التي ذهبت ولن تعود ، وقال لهم إنني معكم منذ ٢٥ سنة أخدمكم ، فلا يغرنكم العرب والمسلمون .

جلسنا نتحدث مع بعض القرويين ، ورأينا مدى كره التقليديين للمسيحية ، حيث يعتقدون إنهم اذا دعى القسيس لشخص يمحق الله البركة

ويذهب ماله .

وكانوا يخافون جدا من الاسلام ، لأنهم اذا أسلموا كانوا تحت انطباع انهم يجب أن يذبحوا الاغنام والابقار وقالوا إن الوقت جفاف وأنه ليس هناك أغنام أو أبقار ، حيث انه مع بالغ الأسف كان بعض العلماء التقليديين من اصحاب البدع والاهواء يمرون بالقرى ، فاذا أراد أحدهم أن يسلم أمروه بأن يذبح بعض الأبل وأن يعطيه كذلك بعض الحيوانات هدية يأخذها معه لأنه هو سبب أسلامه ثم يقوم بزيارته كل بضعة أشهر ليقوم باهدائه بعض الحيوانات التى يأخذها معه ، فبدأ الناس يهربون من الاسلام .

القرية هنا حالها نسبيا من ناحية المياه أفضل من القرية السابقة ، اذ نستطيع أن نحصل على بعض الماء ونتوضأ ، وربما حتي نغسل وجوهنا ، وقد شعرنا بإنتعاش كبير بعد ان غسلنا الوجوه من تراب الطريق ، لأن الوضوء خلال الأيام الماضية لم يكن إلا مسحا للوجه ببضع قطرات من الماء ، وهذه نعمة من الله ، وأكلنا هذه الليلة أرز أبيض مع شيء من اللحم أحضره لنا القرويون ، فكان بمثابة العيد عندنا رغم أنه لايوجد حساء أو مرق نضيفه الى الارز اليابس فمنذ مدة لم نتذوق ارزا والانسان لايعرف النعمة حتى يفقدها .

وقمنا بالاجتماع بمجموعة من الطلبة المسلمين في المسجد وهم من خريجى المدرسة الثانوية ممن لم يستطيعوا اكمال الدراسة ، وقالوا إنهم شكلوا جمعية اسلامية للطلبة المسلمين ولكن ليس لهم اتصالات بأحد ، وأنهم كل ماأستطاعوا القيام به انشاء بعض المرافق الصحية للمسجد ، ثم توقف

نشاط الجمعية ، فطلبنا منهم أن يشاركوا فى اجتماع تعقده اللجنة ويحضره ١٢٠ طالبا من طلاب المدارس الثانوية فى المنطقة لمدة ثلاثة أيام نحاول أن نشرح لهم فيها مبادىء الاسلام ، وفعلا حضر عدد منهم الاجتماع بعد ان دفعنا تكاليف انتقالهم .

قريـــة نـــورث هور :

بعد ذلك توجهنا الى نورثهور ، والناس فى كلاجا يسيرون خلف السيارة الى أن غادرنا القرية ، وصلنا الى نورثهور التى يسكنها ثمان آلاف شخص ، منهم ثلاثة آلاف وخمسمائة مسلم ، وفى كل رمضان يسلم حوالى خمسين شخصا من أهل البادية والطلبة المسيحيين من أبناء الغبرا .

وهناك مدرسة عربية أنشأها أحد العرب من سكان هذه القرية ، من حضرموت ، حيث هاجر اليها قبل عشرات السنين ، وهذه المدرسة فيها ٢٥٠ طالبا ، وهناك كنيسة كاثوليكية ضخمة جدا ومبنية على أحدث الطراز بحيث لايتناسب مع بيوت القرية الطينية ، ويوجد اثنان من القسس البيض ، واثنتان من الراهبات وقسيس افريقي .

وقامت الكنيسة ببناء مستوصف ومدرسة ، وكلفة المشروع تزيد عن مليون دولار ، وعندما سافر القسيس الايطالي القديم وجاء الجديد ، وهو رجل لاخبرة له ، جمع قبيلة الغبرا فى المدينة وغضب عليهم ، وقال أنتم تأخذون طعامنا ومساعداتنا ولكن اذا ماحان وقت عاداتكم وصلاتكم تركتمونا .

كثير من الاباء هنا مسيحيون ، ولكن أولادهم فى المدرســـة الإسلامية

والمسجد ، وعندما جاء القسيس فى عام ١٩٦٤ لم يكن فى هذه القرية إلا مسلمين فقط ، وقام ببناء عدد من البيوت للناس وقال لنا أول مسلم فى القرية أنه كان صاحب مال كثير يرعى الاغنام ، ولكن سرقت القبائل المجاورة حيواناته فجاء الى نورثهور في عام ١٩٦٣ ودخل فى الاسلام آنذاك ، ولكنه اشتكى انه رغم حبه للإسلام فإنه لا يعرف إلا القليل من تعاليمه .

والقسيس المسيحي يوزع الطعام على الجميع ، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين ، ولكن يعطى المسيحي كمية أكبر من الطعام ، مدعيا أن هذا طعام خاص بهم ، جلسنا مع الدبيلا نحدثهم عن الاسلام ، وفرح الناس ، وقال احدهم غاضبا هذه اول مرة اسمع فيها عن الاسلام رغم أن أبنائى اثنان منهم مسلمون ، واختى تزوجت هذا الرجل ، واشار الى أحد الموجودين وهو مسلم ، ولكن لم يكلف أحدهم نفسه بشرح الاسلام لي ، وقالوا أعطونا مهلة حتى نفكر ونتناقش ، فرد أحدهم بغضب .. نتناقش فى ماذا ؟ إنهم لم يدعونا إلا الى خير ، وقال آخر ، عادتهم وعادتنا واحدة فلماذا النقاش !! وكان عددهم أكثر من ١٠٠ شخص ، ووقف أحد كبار السن وقال والله ماأتيتم إلا بخير ، وإننا نؤمن فى عقيدتنا أنه سيأتى يوم من الايام ، لن يبقى فى هذه الدنيا إلا دينان ، دين يأتى به رجل أبيض حذرنا منه أباؤنا وأجدادنا بأنه رجل خبيث ، ودين يأتى عن طريق الصومال ، وقالوا لنا بأن نتبعه ، وقال إننا نحن أنفسنا غير مسلمين ، ولكننا فى كل صباح قبل أن تخرج الحيوانات ندعو الله سبحانه وتعالى بدعاء ، نقول فيه ... اللهم

لاترى حيواناتنا كافرا ولا إبليس ، ثم ضحك ، وقال رغم إننا غير مسلمين ونعترف اننا كفار ، إلا اننا ندعو بهذا الدعاء .

وأعلن أحدهم أنه يود أن يسلم ، فلقنّاه الشهادة بصوت عال ، وشرحنا له معنى الشهادة ، وطلبنا منه أن يذهب فيغتسل ، ثم يأتى الى المسجد ، ثم جاء آخر وثالث ، ورابع ، وخامس ، حتى بلغ عددهم حوالى ثمانية ، وكان أحد كبار السن ينظر الينا عن قرب قليلا وقليلا يقترب بضع سنتيمترات ، ثم أخذنى وقال ، انظر ياولدى إنني شخصية مهمة هنا ، وجميع هؤلاء الذين أسلموا أنا الذى شجعتهم على الاسلام ، ولا أريد أن أسلم الآن حتى أقنع كل عائلتى وأقاربى ومعارفى لكى نأتى جميعا ونعلن اسلامنا ، ونحتاج لبضعة أيام حتى أستطيع أن أجمعهم ، فهل تستطيعون البقاء ، فقلنا له إن ذلك غيرممكن ، ولكن اسلامكم ممكن عن طريق مؤذن المسجد .

وقد فرح المسلمون فرحا كبيرا بهذا اليوم ، واعتبروه مثل العيد ، وأخذنا أحد المسلمين من رجال الاعمال لننام فى بيته ورغم أن المنطقة فيها ماء إلا أننا بفضل الله لم نرى كثيرا من البعوض ، فالبعوض الذى زارنا فى الليل كان عدده بسيط ورغم أنه ترك آثاره على أجسامنا إلا أنه كان أرحم بكثير من البعوض فى القرى الاخرى .

والتقينا بجمعية الشبان المسلمين فى القرية وهم مجموعة من الطلبة ليس لهم نشاط ولا عمل إلا مراجعة هموم المسلمين ، وذكروا أن المسجد بحالة سيئة ، وانه قد تم بناؤه بتبرعات من المحسنين ، ويحتاج الى

اصلاحات كثيرة ، وان الامام والمؤذن بدون راتب ، والكنيسة تحاول أن تغريهم ، وأن الطلبة فى المدرسة الاسلامية يجلسون على الارض بدون طاولات ، وأن أولادهم ليس لهم من يساعدهم عندما يذهبون الى المدرسة الثانوية .

فى المساء ذهبنا الى مدرسة نورث هور الابتدائية التى قامت ببنائها الكنيسة الكاثوليكية ، واجتمعنا بالطلبة فى قاعة الطعام ، ومن الطريف أن يكون الاجتماع تحت الصليب ، لأن المدرسة داخل أرض الكنيسة وكان أحد المسلمين يشير الى الكنيسة الضخمة ويقول شعرا بلغتهم ، يقول فيه ... كذب له رجال قد يغلب صدقا ليس له رجال .

وتحدثنا مع الطلبة المسلمين الذين يزيد عددهم على ٢٠٠ طالب وشجعناهم على التمسك بالاسلام ، وعلى المحافظة على اركان الاسلام ، والتمسك بعقيدته الصحيحة ، وفرح بنا الطلبة كثيرا ، وكان ذلك اليوم أشبه مايكون يوم عيد للمسلمين فى هذه القرية ، فقد بلغنا أحد الدعاة الذين كانوا معنا ، أن تاجرا مسلما نادى أحد المسيحيين من قبيلة الغبرا ، وهو يمزح معه قائلا : لماذا أنتم هنا ، هيا أحملوا حاجياتكم وأرحلوا أيها الغبرا المسيحيون ، فقد جاء المسلمون أهل الحق فرد داعيتنا الذى كان يسمع هذا المزح قائلا : لايجب أن تقول له هذا ، فهو يستطيع أن يبقى كضيف عندنا لأنه ليس من الغبرا ، فرد المسيحى ، قال كيف ؟ أنا من الغبرا . فرد الداعية قائلا : لايمكن ذلك ، لأنى أعرف أن الغبرا أصلهم مسلمون وأنت قد خنت عقيدة قبيلتك وبعت نفسك للرجل الابيض .

والطريف أن قبائل الغبرا لهم أثنى عشر شهرا منها شهر راكاه ، ويقصدون به الزكاة ، وهو شهر محرم بداية السنة ، وشهر أرفه أى عرفة ، ويقصدون به ذوالحجة وشهر صوم ، يقصدون فيه رمضان ، وصوم فران ، يقصدون فيه الصوم الصغير أو شوال ، وجيبور وجيبور الثانى ، وهو جمادى الاولى وجمادى الثانى .

وعندما بدأت الكنيسة الكاثوليكية فى أواسط الستينات بالعمل فى المنطقة ، قام القسيس بشراء القرطاسية ، كما دفع المصاريف للطلبة فى المدرسة الابتدائية ، أما فى الثانوية فانه يدفع عنهم الرسوم والملابس ، واشترى الإبل من مكان بعيد ، ووزعها ، كان يعطى لكل عائلة ٥٠ خروفا مع أحد الابل ، وبعضهم يبنى لهم دكانا ويعطيه رأسمالٍ ، ولكن الغبرا يعرفون أن ذلك كذب وخداع لزعمائهم الدينيين .

مقـــارنـــة :

وقال لى أحد التقليديين من (القبيله) أنه سأل القسيس وقال له إن المسلمين يصلون لآله واحد ، ونحن نصلى لإله واحد ويخلعون نعالهم قبل دخول المسجد ، ونحن نخلع النعال قبل الدخول الى المسجد ، فلماذا لاتخلعوا نعالكم ؟ ! .. خاصة وإننا نخلع نعالنا قبل النوم ، فكيف تدخلون الكنيسة بالنعال ؟ .. هل الفراش الذى ننام عليه أكرم من ربكم ؟!!! فسكت القسيس ... ثم سأله قائلا :- ان المسلمين يتوجهون الى القبلة ، ربما لأن الله أو بيته فى هذا الاتجاه ، وأنت توجه المسيحيين الى جهه ، ولكنك تواجههم وتعطى ظهرك لهذه الجهة ، فكيف ذلك ؟ ..

بهذا الاسلوب البسيط ، قاوم الكثير من كبار السن من التقليديون فى قبيلة الغبرا عمليات التنصير ، وقال لنا التقليديون أن الطعام الذى يوزعه القسيس لابركة فيه ، وإن الانسان اذا كان عنده ١٠٠ من الغنم ، فاذا أعطاه القس ٥ أغنام فان الله ينزع البركة وتموت حيواناته كلها ... وقد وجدنا ان عندهم كلمات عربية كثيرة ، كلمة دستور ، وقانون ، وعادة ، وحرام ونفس ، وقبل ، وسنين ، ومناصحة ، وكثير جدا من الكلمات عربية ، بالاضافة الى أناشيدهم الاسلامية التى تمتلىء بالكلمات العربية كما ذكرنا سابقا .

وفى جلوسنا مع هؤلاء الكبار قال احدهم ، اننا علمنا أن العرب عندهم جمال ، فهم اخواننا لاننا نحب الأبل وهم يحبون الإبل ، وقال ان المسيحيين عالجوا بعض الابقار فمات اغلبها ، أما المسلمون فرفضوا ان يدعوا المسيحيين يلمسون ابقارهم ، وأغلبهم الآن من الاثرياء بعد ان ازداد عدد الحيوانات التى عندهم .

التقينا بشاب اسمه حسن ، كان تقليديا ، تنصرت أمه وثلاثة من اخوانه ، لكنه حافظ علي تقاليده ، وعندما كلمناه عن الاسلام اسلم وحدث امه واخوانه ، ان المسلمين سيبدأون مدرسة اسلامية ، فوافق الجميع بما فيهم امه على تعلم القرأن ومبادئ الاسلام فى هذه المدرسة رغم أنهم غير مسلمين حاليا .

عدنا بعد ذلك ومررنا بنفس القرى وفي كل قرية كنا نتوقف ونفاجأ بالعديد ممن حدثناهم في الايام السابقة يعلنون اسلامهم وكنا نلقنهم

الشهادتين ونعهد بهم الى أحد المسلمين ثم أرسلنا لهم دعاة يتنقلون بين القرى .

خرجنا فى الصباح بعد أن صلينا الفجر وتناولنا الفطور وجلسنا مع بعض المسلمين الى النبع القريب من القرية ، حيث يخرج قليل من الماء تشرب منه الابل والحيوانات الاخرى ، وعدنا فى طريقنا الى مرسابيت ، وفى الطريق لاحظنا تجمعا كبيرا فى قرية ميكونا ، قرب المسجد ، فلما وصلنا وجدنا انهم يقسمون الطعام الذى أتينا به ، وأن بعض الدبيله قد تناقشوا ورغب بعضهم فى الاسلام فلقّناه الشهادة والمسلمون يكبرون ويهللون ، ثم جاء آخر وثالث ورابع ، يشهدون أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

فى الطريق مررنا فى قرية اسمها ايل جيدى ، أى بئر جيدى ، وهي عبارة عن ٣٠ عشه ، وعندهم مسجد صغير حافظوا على نظافته إلا أنهم لايصلون الجمعة ، لانه لايوجد من يعرف صلاة الجمعة ، والمسلمون نصف القرية ، والنصف الآخر من التقليديين ، ولا يوجد مسيحي هنا .

وأخبرونا عن قرية موليسا التى تبعد حوالى ساعة عن نورث هور ، وأن رئيس القرية واسمه آدم قودانا مسلم جيد رفض بناء النصارى للكنيسة ورفض عملهم فى القرية ، سواء البروتستانت أو الكاثوليك ، وقال اننا مسلمون ، فلماذا تريدون أن تأتوا الى هذه القرية ، كما أنه لايرضى ببقاء أى فتاة بدون زواج ، لذلك على غير عادة الرجال فى قبيلة الغبرا أغلب الرجال فى هذه القرية عنده زوجتين وثلاثة ، ومن عادة أهل هذه القرية ، انه اذا صار وقت الصلاة يؤذن الشخص حتى لو كان وحده فى البادية ، ويصعد

على الشجرة ويرفع صوته عاليا .

وقالت النساء فى هذه القرية انهن سمعن من بناتهن اللاتي ذهبنا الى المدينة أن النساء المسلمات يجب أن يغطين جسمهن كله ماعدا وجهن وايديهن ولذا فانهن يتمنين أن نهدى لهن بعض الحجاب ، واعتذرنا لهن اننا لانحمل أى حجاب شرعى معنا ، كما رأينا من بعيد قرية دكانا ، وغالبيتهم من المسلمين فيها مدرسة جميلة ، ولكن ليس فيها معلم يعلم الناس والاطفال مبادىء الاسلام ، والمسجد ليس فيه امام .

والغبرة عادة مسالمون الا عندما يعتدي عليهم أحد ويحترمون كبار السن كثيرا ويعبدون إلاها في الشمال اسمه واغا ويفرحون جدا بالمطر الذي يعني الحياة بالنسبة لهم ويقومون بحركات تعبدية للدعاء عند الجفاف كما يلبس بعضهم لباسا يظهر فيه كتفه الايمن متشبها بالحجاج الى بيت الله الحرام في الطواف حول الكعبة ويقومون بختن الاولاد وعندما يتزوج الشاب فان أحد كبار السن يحلق له رأسه وتقوم النساء بالمشاركة في بناء كوخه ويأتي أهله .

ومن المعروف أن كبار القبيلة يدعون الله جماعيا قبل كل أمر ذي أهمية ومعظم أناشيدهم وأهازيجهم تدور حول السلام والأمن أو حول الامطار .

واذا ما حلقت الفتاة وسط رأسها فمعنى هذا أنها في سن الزواج ورغم أن هذه القبائل عادة مايتزوج الرجل بامرأة واحدة الا أن تعدد الزوجات ليس غريبا عندهم ، وأشد أعدائهم هم قبائل السامبورو في الجنوب الذين كثيرا مايهجمون على قراهم ويسرقون ماشيتهم ، لهذا فان حرية الغبرا دائما معه

وهي حادة جدا واذا ما قتل أحد رجالهم بها أسدا يحصل على مكانة اجتماعية خاصة له ، حيث يزينه الرجال بريش النعام والنساء بعقود خاصة افتخارا به .

وقبيلة الغبرا أقرب الى الاسلام من قبائل الراندیلي ، وأنا على يقين أن هؤلاء لايحتاجون الى جهد كبير جدا لاعادتهم الى الاسلام ، وهذه القبيلة نموذج للكثير من اخواننا الضائعين فى افريقيا حيث توجد قبائل كثيرة حالتها قريبة من حالة قبائل الغبرا وكمثال فان قبائل التيموريين فى مدغشقر وأصلهم من بلاد الحجاز كما يدعون فقدوا هويتهم الاسلاميه تماما ولم يبق لهم الا ختان الاولاد والاحتفال بذكرى وصول اول عربى مسلم الى مدغشقر ، وغالبيتهم اليوم أما وثنيون أو مسيحيون ، والقلة منهم مسلمون لايعرفون عن الاسلام إلا أقل القليل ، ومسئولية كل مسلم أن يفعل شيئا لهؤلاء الاخوة وواجب علينا أن نستشعر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده فتدعونه فلا يستجاب لكم " (١) وحفدة القردة والخنازير يسوموننا سوء العذاب وندعو الله فلا يستجاب لنا .

عدنا فى الليل الى مدينة مرسابيت ، والتقينا ببعض المشايخ والاهالى وكان الانسان يستغرب من بعض الطلبات التى يحملها الاهالى ، فهذه احدى القبائل الصغيرة جدا فى المدينة ، جاءت تطلب أن نسلمها المركز

---

(١) رواه الترمذي .

الاسلامى ، ولما سألناهم ، لماذا يجب أن نسلمكم المركز الاسلامى ؟ .. ومن قال لكم أننا سنسلمه أحدا !!! قالوا ان كل القبائل لديهم اشياء يفتخرون بها ونريد المركز حتى نفتخر به فذكرنا لهم ان مراكزنا نقوم نحن بادارتها واننا لانريد أن نصبغها بأى صبغة قبلية ، أو طائفية .

وجاء آخر يشد ويتحامل بشدة على بعض القبائل الاخرى ، ويطالبنا بأن لانوظف أيا من دعاتنا من هذه القبائل ووعدناه بأننا لن نوظف أى داعية ، إلا أن يكون متمسكا بالاسلام ، بعيدا عن الروح القبلية المتعصبه ، وخرج وهو غير راض كل الرضا .

ومن الامور التي لاحظناها أن جميع المدارس الحكومية فى منطقة مرسابيت ، وعددها يفوق ٣٠ مدرسة كلها تابعة للكنيسة ماعدا مدرستين لازالتا تابعتين لوزارة التعليم .

الأفيال تحب المسجد :

بعد الخروج من مدينة مرسابيت وصلنا الى قرية أولى أولى ، وهى قرية كنا نبنى فيها مسجدا ، وتأخر المسجد بشكل غير طبيعى ، لأن الافيال يبدو أنها احبت المسجد ، فكانت تمر باستمرار على العمال اثناء بنائهم المسجد ، وتدخل رأسها فى المسجد ، فكان العمال يهربون ، وبعد تكرار الحادث مرتين أو ثلاثة هرب العمال ورفضوا المجئ ، ووضعنا لهم اسلاكا شائكة إلا أن الافيال كسرت هذه الاسلاك الشائكة ، واضطررنا الى أن نضع اسلاكا مكهربة ، وعندذاك شعرنا بامان من الافيال فقط ، أما الاسود وغيرها من الحيوانات المتوحشة فكانت تأتى ، ولكن على الاغلب فى أوقات الليل ،

وقام جار المسجد بوضع عصا وألبسها بعض الثياب ، وبعض علب الصفيح حتى تخيف الاسود فى الليل ، فلايقتربون من بيته ومن المسجد ، نظرا لما سببته هذه الاسود من مشاكل ، والمنطقة مليئة بالاسود والافيال ، والقرية على حافة غابة كبيرة تسرح فيها الحيوانات المتوحشة بحرية .

وبعد أن وصل معلمنا للتدريس فى المسجد ، ازداد عدد الاولاد ممن يدرسون فى المسجد الى ٦٠ طالبا من قبيلة ، الريندیلي ، وكانت الارسالية الكاثوليكية قد بنت كنيسة لهم منذ عدة أعوام على بعد عدة أمتار من المسجد ، ونأمل ان شاء الله ان نبنى مدرسة عربية اسلامية فى المنطقة ، وقمنا بتوزيع بعض الطعام الذى وصلنا بتبرعات من المحسنين المسلمين .

فى قرية لوقولوقو أرسلنا معلما هناك ، وبعد أن وصل المعلم الى المسجد وبدأ التدريس ، بدأ عدد الطلبة يزداد الى ان بلغ اثنين وستين طالبا ، معظمهم من اباء غير مسلمين ، وكلهم ولله الحمد يحفظ عدة سور من القرآن واناشيد اسلامية ، ويعرفون مبادئ الاسلام واركان الايمان ، ويعلمهم احكام الوضوء والصلاة ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على استعداد الناس اذا توفر لهم الموجه والداعية والمعلم ..... هناك التقينا بمعلم اسمه حسن يجيد العربية اجادة تامة ، ومن قرية تسمى كور تبعد ساعة ونصف عن الطريق الترابى فى وسط الغابات وهى كذلك من قبائل الريندیلی ، فأخذناه معنا وتوجهنا الى هناك لنكتشف أن من مجموع ٣٦٠٠ عائلة ، هناك ٢٠٠ عائلة مسلمة و ٣٠٠ عائلة من المسيحيين ، وان البروتستانت قد بدأوا منذ ٢٠ عاما والكاثوليك منذ ٣٠ عاما ، وهناك عدد من الغربيين ممن

يسكنون هذه القرية النائية التى لم يمر عليها مسلم فى تاريخها اطلاقا من أجل الدعوة ، كما يذكرون ، وقالوا ان المسيحيين يقدمون المساعدات ، ويشترون الابل والغنم للعوائل الفقيرة ، كما ان عندهم مدرسة لتعليم الانجيل وقسم داخلي للطلبة الذين يتعلمون الانجيل ، حيث يقدمون لهم الطعام ، والمدرسة الموجودة فى المنطقة قامت ببنائها اليونسكو بتمويل من المانيا .

والمسلمون لهم مسجد جيد قاموا ببنائه بتبرعات من أهل الخير ، وهناك مدرسة عربية اسلامية فيها ٥٠ طالبا ، وهناك ٣٠ طالبا ثانويا من القرية تدفع عنهم الكنيسة رسوم الدراسة وتشترط عليهم الحضور للكنيسة ، كما ان هناك ٢٠ طالبا مسلما تنصروا بسبب فقرهم وعدم قدرتهم على دفع رسوم الدراسة فى المستوى الثانوى ، وهؤلاء عادة ابائهم غير مسلمين .

قبيلة الراندیلي :

ويوجد بعض القسس ، والراهبات من الهند ، وهم كاثوليك ، ويديرون روضة للاطفال وعيادة للعلاج ، وقبيلة الراندیلي ، هم قبيلة يبدو أن أصلهم كان من الصومال وهناك نقاط التقاء كثيرة بينهم وبين الاسلام ، ويدعون انهم هاجروا قبل ٣٥٠ سنة الى هذه المنطقة التى يسكنها قبائل السامبورو ، وكانوا كلهم من الرجال ، فأرادوا أن يتزوجوا من بنات السامبورو ، ولكن قبائل السامبورو أشترطوا عليهم ان يتبعوهم في دينهم وأن يخرموا آذانهم ، وعندئذ فقط سيزوجوهم ، ونتيجة لجهلهم بمبادئ الدين فقد رضوا بذلك ، وقاموا بحرق كتابهم المقدس على جبل .

وتأثروا بالسامبورو كثيرا ، حتى ليصعب الآن أن ترى الفرق بينهم وبين السامبورو فى اللباس وفى انواع الزينة وغيرها ، ولكنهم يشعرون بالذنب الكبير نتيجة لاحراقهم لكتابهم المقدس ، ويعتقدون ان الجبل الذى احرقوا عليه كتابهم هذا ، (ومن الممكن ان يكون قرآنا) ، يقوم هذا الجبل باصدار صوت مرعب بين الحين والآخر ، كما يهتز باستمرار ، ويسمون هذا الجبل ، الجبل ذو العنق الطويل ، ويحتفلون عنده كل سنة ، ويذبحون عنده ، وبين كل ٣ بيوت يجب أن يكون هناك مكان للصلاة يشبه المسجد أو المصلى عند الصوماليين ، ويسمونه إما النابو أو المـــولى ، والمولى هى تحريف لكلمة (موضع الصلاة) التى حرفها الصوماليون الى مولع ، ثم مولى ، فى كل بيت من بيوت الريندیلي يوجد عصا تشبه عصا الخطيب يوم الجمعة ، وفى وقت العرس ، والحفلات يحمل الريندیلى هذه العصا ، ويعتقدون ان ربهم اسمه الله ، وعندهم رجال دين مثل الغبرا ، يسمونهم الدبيله ، واذا ماتوفى شخص مشهور يقولون ان كتابه قد سقط ، وينادون للصلاة ٤ مرات فى اليوم ، فى الصباح والظهر والعصر والمغرب ، كما أن من دعائهم فى الليل ، يقولون :

اللهم انك ترى ونحن لانرى ، نحن فقراء ، وأنت لاتخاف الفقر أنت الحى الذى لايموت ولاينام ، ونحن نموت وننام ، أنت الحى الذى لايعجزك شىء ونحن نعجز ، نذكرك ولاننســاك فلا تنسانا .

وتعرف هذه القبيلة النكاح ، حيث يعقد مايشبه النكاح الشرعى ، وتلبس المرأة المتزوجة عقدا من الجلد ، فاذا ماخلعه الزوج من على رقبة

زوجته ، فمعنى هذا انه طلقها ، وان تركه تبقى فى عهدته حتى لو هجرها ٢٠ عاما .

واذا ظهر الهلال فان لهم دعاء يدعون به ، ان يكون يوم الجمعة يوم خير وبركة واذا مات الميت ألبسوه ثوبا أبيض ويحفرون القبر ويتجهون به الى القبلة ، ثم يضعون عليه احجارا ويدعون له ، ثم بعد اسبوعين يذبحون اثنين من الماعز احداهما يستخدمون السمن منه فى دهن اجسادهم ، والآخر لايؤكل ولكن يحرق ، وايام الاسبوع عربية كما هى عند الغبرا ، ماعدا يوم الجمعة ، فيسمى كَومات ، والزانى والزانية يضربونهما ضربا مبرحا .

إسمها آمنة محجبة ولكنها وثنية :

وطلب منا أهل القرية أن نبقى حتى يذبحوا لنا أبلا فرحا بنا ، لأنها المرة الاولى التى يزورهم مسلم من خارج المنطقة من اجل الاسلام ، واعتذرنا بأننا يجب أن نعـود .

وعندما ركبنا السيارة اجتمع الكثيرون في هذه القرية يريدون ركوب السيارة الى البلدة القريبة على بعد ساعة ونصف بالسيارة ولم نكن نستطيع حمل العديد منهم رغم علمنا بان من النادر ان تمر سيارة بقريتهم نظرا لأن السيارة قد تم اصلاح اجهزة الاهتزاز فيها بشكل مؤقت ولاتتحمل أي ثقل ، ولكن الحاح الأهالي اضطرنا ان نحمل معنا امرأة محجبة اسمها آمنة فرحنا لأنها تعرف الانجليزية ومعها شاب وكررنا عليها أنها مثقفة ومدرسة وعليها واجب الدعوة الى الله ونشر عقيدة الاسلام ولكن اكتشفنا أنها وثنية على عقيدة القبيلة ...! ولما سألناها عن الحجاب قالت أنه لباس القبيلة وان اسم

آمنة منتشر بينهم مما يؤكد أن أصلهم من المسلمين ، وذكرت لنا أن الزنا إنتشر بشكل كبير وسط بنات القبيلة بسبب المجاعة خلال السنتين الماضيتين

تعيش قبائل الريندیلي البدائية في صحراء كيسوت التي تبلغ مساحتها حوالي ٢٢ ألف كيلو متر مربع ويبلغ عددهم حوالى ٣٠ ألف شخص جنوب صحراء جالبي في منطقة مرسابيت التي يسكنها الغبرا ورغم شكلهم القريب جدا لقبائل السامبورو الا أنهم يختلفون عنهم في ان أصلهم على الاغلب من الصومال بينما السامبورو من القبائل النيلية التي يرجع أصلها الى جنوب السودان ولازالت لغة الرنديلي فيها الكثير من المفردات الصومالية وينقسمون الى الريندیلي الخالصين في الشمال وريندیلي اريال في الجنوب وهؤلاء الجنوبيين اختلطوا بالسامبورو واقتبسوا من عاداتهم حتى طريقة بناء الاكواخ بشكل بيضاوي .

ويعتمد ريندیلي الشمال على الجمال بشكل رئيسي كمصدر للرزق بينما الجنوبيين يهتمون بتربية الابقار والماعز و احيانا الجمال ، ويصلي الريندیلي في النابو مثل الغبرا ولكن لايدخله الا كبار السن والمتزوجون فقط لأنه مكان مقدس ففيه يتم الدعاء لنزول المطر وفيه تناقش الامور المهمة وفيه تحفظ النار التي تحفظ مشتعلة ليلا ونهارا حتى يقتبس منها سكان القرية كلما احتاجوا الى نار .

ويقوم الريندیلي بخصي بعض الجمال لكى تقوم هذه الجمال بنقل الماء وهم يعتمدون علي الابل في الحليب الذي يشكل الطعام الاساسي لهم ويحصلون على الدم بضربها بدقة عجيبة في أحد أوردة الرقبة ويقومون بخلط

الدم والحليب ثم يغلقون الجرح بخلط الروث مع التراب ومسحه على مكان الجرح مع الضغط عليه ، وفي أحيان نادرة يذبح الريندیلي واحدة من الابل ويأكلون لحمها ويستخدمون عظامها في صنع الادوات وجلدها .

ومن بين احتفالاتهم الدينية احتفال المادو (الحمدو) حيث يتم اشعال النار في مكان الصلاة في احتفال مهيب يتم النفخ في قرن الغزال في كل كوخ ابتداء من أكواخ كبار السن ثم الاصغر فالاصغر .. كما يهتم الريندیلي بتزيين سر الطفل في بطنه بعمل عدة شقوق بالموس كاشعة مركزها البطن ولايعقل ان تتزوج فتاة تحترم نفسها من الريندیلي الاصليين شخصا لم يجر هذه العملية .

اما بالنسبة لقراهم فأهمها هى ليشمس وقرية لوغلوغو ، فى هذه القرية الاخيرة يسكن حوالى ٢٥٠٠ شخص ، وقامت الكنيسة الافريقية الداخلية ، أو كنيسة افريقيا الداخلية وهى مؤسسة امريكية ببناء مدرسة فى هذه القرية يبلغ عدد طلابها ٢٦٣ طالبا ، وزاد عدد المسلمين فيها حتى بلغوا ٨٠٪ ، ولم يتنصر أحد فى هذه القرية رغم جهل المسلمين بدينهم فأضطرت الكنيسة أن تسلم المدرسة لوزارة التعليم لأنه لافائدة من هذه المدرسة نظرا لأن النسبة الغالبة من طلابها من المسلمين ، وعينت وزارة التعليم مديرا مسلما للمدرسة كما أن مساعده كذلك مسلم ، و هناك مدرس ثالث من المسلمين من مجموع المدرسين الذين يبلغ عددهم ثمانية وقامت منظمة الرؤية العالمية أو WORLD VISION من استراليا بحفر بئر ارتوازى ، وقامت منظمة كنسية اخرى لبناء بيوت للمدرسين فى هذه المدرسة

وجاءت منظمة رابعة وتبرعت لهم بمطبخ وطالبنا المدير أن نقوم باستلام المدرسة وادارتها كمدرسة عصرية ذات طابع اسلامي نظرا لما قد يكون لها من أثر على القبيلة كلها وهذا يعني صرف مبالغ بسيطة ، على أن تقوم وزارة التعليم فى كينيا بدفع رواتب المدرسين ، واشتكى بأن معظم المسلمين لايستطيع اهاليهم دفع رسوم الدراسة عنهم بسبب موت المواشى فى المجاعة وتقوم الكنيسة بدفع هذه الرسوم عن الطلبة المسلمين مما قد يؤثر على عقيدتهم ، كما أنهم بحاجة الى كتب اسلامية وقد تم تخصيص غرفة صغيرة جدا كمسجد ، ويسكن قسيس مسيحى امريكى مع زوجته منذ ١٢ سنة على بعد خطوات من المدرسة ، وبيته ملحق بكنيسة ضخمة ومن حسن الحظ أن هذا القسيس رغم أنه طوال هذه المدة هنا ، ورغم أنه أخذ دورة لمدة ٦ شهور في اللغة كعادة القساوسة الغربيين الا انه حتى الان لايتكلم الرنديلى ومنعزل عنهم ، مما سبب فشلا كبيرا فى دعوته .

ومن المؤلم أن الطلبة الذين قرروا اخذ مادة الدين الاسلامي كمادة للامتحان ، لايوجد لديهم كتب عن الاسلام ، واخبرنا مدير التعليم فى المقاطعة بأنه مستعد لتسليم المدرسة لنا وأن نختار نحن المدير المناسب ، وسوف تدفع الوزارة راتبه .

القرية واقعة فى ارض حجريه صحراوية فيها قليل جدا من النباتات ومعظم الناس يعيش حياة بدائية جدا بعيدا عن اسباب الرفاهية .

أما قرية ليشمس فقد دخلها الاسلام فى عام ١٩٣٨ ، ويوجد عدد بسيط من قبائل الرنديلى من المسلمين فى هذه القرية ، الا أن معظم المسلمين

هم من أصل صومالى ممن استقر فى هذه القرية لسنين طويلة ، ومشكلتهم أنهم لا يختلطون بالناس كثيرا ، كما أنهم لا يولون الدعوة اهتماما كبيرا لانشغالهم بالبحث عن لقمة العيش، رغم الفراغ الكبير الموجود فى حياتهم.

حاولت الكنيسة تنصير المسلمين بمختلف الوسائل من ابناء الرنديلى ولم ينجحوا الا مرة واحدة ، حينما اتصلوا بأحد المسلمين ، ووعدوه بالتبرع له بمبنى الكنيسة القديمة شريطة أن يحوله الى خمارة ، كما أعطوه منحه وهبة ٥٠ ألف شلن كينى ، ليبدأ فى شراء الخمور وبيعها فى هذه القرية ، ولكنهم فشلوا فى تنصير أى شخص آخر رغم وجود ثلاث كنائس فى هذه القرية ومسجد واحد ويستغرب الانسان هل هذا تصرف لائق برجال دين ... ! هل ادخال الخمور وتشجيعها في مجتمعات لم تكن فيها من الدين ؟..

قد يقول الانسان ان هذا تصرف فردي ولكنني عملت مدة فى علاج الاسكيمو في شمال كندا واذكر جيدا أن الاسكيمو لم يكونوا يعرفون الخمر ولكن المبشرين المسيحيين ادخلوه لهم حتى أصبح أكثر الاسكيمو عبيدا للخمر ، بل لم يكن الاسكيمو يعرفون السل ولا الامراض الجنسية مثل السفلس والسيلان وغيرها الا بعد أن جلبتها الكنيسة لهم .. فأي دين هذا ... وأي اله يعبدون ويأمرهم بمثل هذه الامور .

توقفنا في الطريق في منطقة ارشر بوست وهي قرية بسيطة للغاية تسكنها قبائل السامبورو المقاتلة الشرسة تراهم بملابسهم التقليدية الملونة وعشرات العقود من الخرز الملون تزين رقاب النساء والآذان المثقبة التي تزينها قطعة من العاج داخل ثقب الاذن عند المحاربين الذين يقفون بامتداد

مع حرابهم الحادة وقد مدوا شعورهم بخيوط من الخيش أو الجوت وزينوا وجوههم باللون الاحمر والابيض وهم يرقصون في دوائر ويقفزون مثل أبناء عمهم قبائل الماساي قفزات عالية .

قبائل السامبورو وعاداتهم :

وكان السامبورو يتسمون لويبور كنجي أي أصحاب الماعز ذات اللون الابيض ، وعندما يذبح السامبورو الثيران فان المحاربين من ابناء القبيلة يتزاحمون لشرب الدم مباشرة من شرايين الحيوان وبعد ذبحه يباركه بعض كبار السن ويتم تقسيم لحمه والسامبورو وثنيون لكنهم يؤمنون بوحدانية الله القوي ويعتقدون ان الاله يسكن في اربعة جبال شمال مناطقهم وهو نفس اتجاه القبلة بالنسبة لهم واذا مات السامبورو فانه يكرم بدفنه ووجهه نحو الشمال ومن المنكرات عندهم مقارنة الاله بالانسان في اي صفة من صفاته ويقدمون له قربانا شاه سوداء سمينة وصغيرة تشوى ويأكل الرجال نصفها الايمن والنساء نصفها الايسر ويخلط دم الشاه مع محتويات كرشها يمسح به الكوخ .

وتلبس النساء المتزوجات عقدا من الجلد فيه مالايقل عن ٦٠ ظفيرة حتى لو غاب زوجها عنها سنوات ولكن اذا نزعه الزوج فمعنى هذا انها قد طلقت مثل الريندبلي .

اما عند الزواج فيذبحون ثورا ويشربون دمه ويصبون الحليب على رأس العروس التي يجب ان تحلق كل شعر رأسها مثل الماساي بقية عمرها .

وقد أنشأنا مركزا اسلاميا في مدخل القرية على ارض مساحتها ١٠٠

ألف متر يحتوي على مسجد ومدرسة ودار للايتام وسكن للمُدرسين ومركز لتدريب النساء كما بدأنا برنامجا للدعوة خاص بهم حيث تم ارسال دعاة وبدأ تحفيظ القرآن وتوزيع بعض المساعدات وحفرآبار ودروس يومية عن مبادئ الاسلام كما تم توزيع بعض الكتيبات الاسلامية .

وقد أسلم منهم خلال الاشهر الاولى ٢٠٠ شخص وعند زيارتي أبدى ثلاثة منهم رغبتهم في الاسلام وتلقينهم الشهادتين وطلبوا مني جلابيب بيضاء مثل التي البس واعتذرت لهم ، ويبدو ان الجلباب الابيض له تأثير كبير في تمييز المسلمين عن غيرهم .

وقد شرحت لهم معنى لااله الا الله فوجدت لديهم تقبلا خاصة مع ايمانهم بالوحدانية وشجعتهم على الالتحاق لتعلم الاسلام فى احدى الحلقات التى بدأناها فى المركز .

والغريب أن الاقبال شديد على الاسلام رغم وجود مركز مسيحى كبير ومدرسة ومع تواجد بعض الغربيين بصورة مستمرة فى القرية منذ أكثر من ٢٥ سنة ، وقال لى بعض المسيحيين فى القرية انهم راغبون عن المسيحية لكنهم لايجدون بديلا .

ومما يذكر انه على بعد بضع كيلومترات يوجد جبل صخري أملس في معظم جوانبه صعد عليه راهب ايطالي كاثوليكي ونصب عليه صليب ولكنه مات قبل نزوله ، وقدأخذنا معنا ابن اول مسلم في القبيلة للدراسة في مركز اسلامي متخصص اقمناه في وسط قبائل الماساي قرب العاصمة حتى يدرس في مدرستنا ثم يعود لمركز السامبورو الاسلامي لكنه مع الاسف لم يستمر

طويلا هناك رغم التقارب في العادات واللغة بين قبائل السامبورو وقبائل الماساي بسبب إختلاف الجو .

فى الطريق الى غربة الله وهو طويل أخبرنا الناس أنه ملىء بقطاع الطرق ، ولم يمر يوم واحـد الا ويحدث فيه سلب من قبل اللصوص المسلحين ، وصلنا قبل آذان المغرب بدقائق الى قرية كولا ماوى وتعنى بلغة البورانا أنها حجرية ، وهذه القرية سميت بهذا الاسم لأن الشرطة الكينية قررت وضع بعض الشرطة فى هذه القرية ، فأشتكى بعض الشرطة لرئيسهم كيف تضعنا فى هذا المكان النائي ، وكيف نأكل وكلها احجار ، فقال لهم كلوا احجار ، فلهذا سميت بهذا الأسم ، حاولنا الاستمرار ولكن الشرطة منعتنا بحجة عدم وجود الأمن فى المنطقة وأصرت على أن نبيت الليلة فى القرية ، وبذلنا جهودا جبارة واتصلنا بالاهالى المسلمين ليتوسطوا لنا مع الشرطة دون جدوى اذ أصروا أن لانخرج الا برفقة جنود مسلحين فى اليوم التالى ، رغم أن القرية التى نقصدها وهى قرية غربة الله تبعد مسافة ٣٢ كيلو فقط ، ولكنه رفض رفضا قاطعا ..

وبعد اكثر من ساعتين من المحاولات ذهبنا الى المسجد وصلينا المغرب والعشاء ورأينا الامام وتحدثنا معه ، وتحدثنا مع المسلمين ، واخبرونا انه فى العام الماضى هجم عليهم اللصوص داخل القرية ثلاثة مرات ، فاستغربنا من اصرار الشرطة لأن القرية ليست اكثر أمانا من الطريق ، ولكن ليس باليد حيلة وعلينا أن نتعايش مع قوانين أو لا قوانين قوات الشرطة في العالم الثالث ففي الكثير من الدول الافريقية تدعي أنها أحرص منك على سلامتك

.. ولكنهم أحيانا يقومون هم بالسرقة والمشتكي الى الله ...

بحثنا عن مكان ننام فيه ، فالمسجد من الصفيح وفيه ثقوب كثيرة ولكن الله يسر لنا ، اذ اكتشفنا وجود مكان يؤجر غرفا للمبيت ، وذهبنا الى هذا الفندق ، واسمه فندق (TM) ويملكه احد سكان القرية من المسلمين ، هذا الفندق غرفه مبنيه من الاخشاب التى أكلها النمل الابيض أو الارضه ، وتستطيع أن تدخل يدك فى الفجوات نتيجة تآكل هذه الاخشاب ، أما السقف فكان من الصفيح مع بعض الثقوب هنا وهناك ، ولكننا سررنا ، اذ اننا على الاقل وجدنا مكانا ننام فيه وغرفة لها باب ، وحمدنا الله وشكرناه ، القرية لايوجد فيها الا شارع ترابي واحد والبيوت من الصفيح أوالطين ولايوجد بها كهرباء ولاماء جار وقد تعمدت أن أنام فى أقرب السرر الى الباب حتى اذا جاءنا اللصوص فلعلى أستطيع أن أقنعهم بأننا عرب وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان منا واننا جئنا لخدمة المسلمين ، فلعل ذلك يثير فيهم عاطفة ، اذا كان موجودا عندهم أى عاطفة .

وطلبنا من صاحب الفندق أن يعد لنا عشاء ، وبعد قليل أتى لنا بصحون فيها لحم الماعز الذى يبدو أنه قد مضى عليه مدة غير قليلة ، وهو عبارة عن عظام صغيرة وعليها بعض الشحم ، أما اللحم فقد بحثت عنه بالمصباح فى كل مكان فلم أجد له أثراً ، ورغم الرائحة الشديدة العفونة لهذا اللحم ، الا انه لم يكن لنا خيار فلم نأكل منذ الصباح الباكر ، فسمينا الله وأكلنا .

قرية غربة الله :

وفى الصباح صلينا الفجر فى المسجد القريب ، ولم يصل فيه احد

غيرنا وغير الامام ، نظرا لأن الاهالى لا يخرجون فى مثل هذا الوقت خوفا من هؤلاء اللصوص ، ثم شربنا شايا وانطلقنا ، وبعد حوالى ساعة الا ربعا لاحت ملامح قرية غربة الله ، وكان أول ماشاهدناه هو كنيسة مسيحية فى وسط مركز مسيحى كبير عن يميننا ، ومركز مسيحي آخر عن الشمال ، ومركز ثالث داخل القرية ، رغم أن القرية مائة فى المائة مسلمون وليس فيها نصراني واحد ، وتوجهنا رأسا الى المركز الاسلامى الذى تقوم اللجنة ببنائه وفيه مدرسة الدعوة التى انشأها مجموعة من الشباب المسلم من قبائل البورانا الساكنين فى هذه القرية فى عام ١٩٨٦ ، حيث بنوا بعض الفصول وسلمونا المدرسة بعد أن عجزوا عن ادارتها ، فقمنا ببناء أربعة فصول أخرى ودار للأيتام وقاعة للطعام ومخزن ومطبخ ومسجد .. وننوى ان شاء الله بناء مركز لتدريب النساء ، كما نقوم كل عام بتقديم ولائم الافطار فى هذه القرية الفقيرة جدا ، وذبح الاضاحى مما رفع معنويات شباب الدعوة الاسلامية فى هذه القرية الى حد كبير ، وننوى ان شاء الله اقامة مؤتمر اسلامى لطلبة المدارس فى كل المنطقة ندعو فيه بعض الطلبة من كل قرية من القرى والمدن المجاورة لمدة ثلاثة أو أربعة أيام .

مدرسة الدعوة الإسلامية :

مدرسة الدعوة الاسلامية فى هذه القرية مثال لما يمكن أن يحققه المسلمون اذا اخلصوا النية لله عز وجل وعقدوا العزم وبذلوا الجهد واتبعوا الاسلوب الصحيح ، فيها ٢٦٥ طالبا بالاضافة الى ٥٣ طالب فى الروضة وعشرة مدرسين للابتدائى واثنين للروضة .

وقد فازت المدرسة بالمرتبة الاولى بين مدارس المحافظة ، حيث كان أوائل الطلبة فى المحافظة من مدرسة الدعوة قد حازوا على المرتبة الاولى والثانية والثالثة والسابعة ، بينما حازت المدرسة الكاثوليكية رغم امكانياتها الضخمة ورغم نوعية الاساتذة الذين تختارهم الكنيسة الكاثوليكية وتدفع لهم مبالغ كبيرة بالمرتبة الخامسة ، وتحتاج المدرسة الى بئر ماء وملابس للطلبة ، واطعام للاطفال ومختبر للاقتصاد المنزلى للطالبات ، ومختبر للعلوم ، ومكتبة .

والتقيت الطلبة الاوائل ومنهم الطالبة زينب قرا ، وهى يتيمة الاب فى الصف السادس ، كانت الاولى فى المدرسة ، والاولى بالمقاطعة ، والاولى بحفظ القرآن ، والاولى فى المعلومات الاسلامية ، ولما سألتها لماذا لاتغطى رأسها ، قالت ليس عندى حجاب ، ونظرت الى اقدامها فوجدتها قد جاءت الى المدرسة حافية ، بدون نعال أو حذاء ، وقد قدمـــت بعض الهدايا التى نجمعها من المحسنين ، من أقلام وساعات مستعملة وغير ذلك لهذه الطالبة وللطلبة الآخرين المتميزين فى دراستهم .

الناس هنا فى فقر شديد والحرب ليست خافية ولكنها معلنة من قبل الكنيسة على الاسلام في هذه القرية ، وحينما حاولت بعض الطالبات لبس الحجاب فى المدرسة الثانوية التى تديرها الكنيسة الكاثوليكية منعتهن المدرسة ، رغم أن رئيس الجمهورية فى كينيا وهو مسيحى متعصب أعلن أن الطالبات المسلمات من حقهن أن يلبسن الحجاب ، وذلك بعد أن ثارت الضجة فى فرنسا حول لبس بعض الطالبات المسلمات الحجاب الاسلامى .

ولكن الكنيسة رفضت ذلك ، وقامت بتجنيد القوى المسيحية والمتنفذين السياسيين ليصروا على ذلك ، وقامت بطرد داعيتنا من المدرسة حيث كان يقوم بتدريس الطلبة والطالبات حسب منهج وزارة التعليم ، كما قامت بطرده من مجلس ادارة المدرسة بحجة أنه متطرف يثير المشاكل ، حتى لبس الحجاب اصبح تطرفا لاترضى به الكنيسة وقالت الكنيسة للطالبات من أرادت أن تستمر فعليها أن تأتى باللبس المسيحى ...! ، ومن أرادت لبس الحجاب فلتبحث لها عن مدرسة ثانوية للمسلمين ، وحيث أنه لايوجد في كل المقاطعة أى مدرسة ثانوية للمسلمين أو حتى للحكومة ، فلذلك كان الخيار بين التعليم فى المدرسة المسيحية وفق شروطهم أو البقاء فى المنزل ، ومن هنا كان اصرارنا على عقد ندوات أو مؤتمرات اسلامية للطلبة تبصرهم بمبادىء دينهم وندعوهم الى الحوار مع المخالفين بالتى هى أحسن .

مفهوم التطرف :

وهنا أود ان ابين ان كلمة التطرف الديني اطلقها بعض حكام الدول العربية لاتهام من لايوافقهم من المتدينين وتلقفها الغرب ليتهم بها كل متعصب في حد تعبيره وهذا يشمل من يصلي خمس مرات باليوم أو يصوم رمضان أو يمتنع عن الرقص في الحفلات .. الخ ، حتى ان مجلة التايم الامريكية كتبت قبل سنوات عن الرئيس أنور السادات انه قومي ومتدين متعصب الى درجة انه لايشرب النبيذ الفرنسي بل يكتفي بالنبيذ المصري ..! ، إن إطلاق هذا الاسم على الكثير من المسلمين سيدفع بالمزيد منهم للعنف بعد أن رفضتهم النظم الحكومية كمواطنين عاديين .

ولدى العزيز .. ان مأساتنا نحن المسلمين أن هناك كثيراً من الناس عندهم اكثر مما يحتاجون من المال أو الوقت أو العلم أو الجهد أو الامكانيات الاخرى .. وهناك أناس لديهم أقل بكثير مما يحتاجون ، أقول هذا الكلام وأتذكر قرية مررنا عليها فى الطريق ، هى قرية دريبغومبو هذه القرية ليس لديهم مسجد ، وحان موعد عيد الاضحى الماضى ، ولم يعرفوا أين يصلون ، فذهبوا الى الكنيسة وطلبوا من القسيس أن يسمح لهم بصلاة العيد ، ولكن القسيس كان قصير النظر وهذا من فضل الله عز وجل ، فقام بطردهم ، لذلك لم يصلوا العيد ، لو كان هذا القسيس بعيد النظر لسمح لهم ، ولتقرب اليهم ، ولربما استطاع أن ينصرهم .. أليست هذه مأساة أن لاتجد هذه القرية ومثيلاتها من يعلمهم أبسط مبادئ الدين الاسلامي في وقت يوجد فيه عشرات الالوف من العلماء وملايين الشباب المسلم .!!!؟ .

أليس من العار أن يبقى طفل مسلم لا يتعلم بسبب الفقر وأمتنا هي الأغنى في العالم .. أليس من الذل أن يحاول مسلمون أن يصلوا العيد في الكنيسة لأنهم لا يملكون مسجدا ولا إماما للصلاة .. أين المسلمون الذين يستجيبون لنداء رب العزة ؟ .. أين أولئك الذين يسابقهم مالهم إلى خزانة الله ؟ ..

ان الدعوة ياولدى تحتاج الى أفق واسع ، نتعلم ذلك من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، اذ ليس عبثا أن يقول اللـــه سبحانه وتعالى

" لقدكان لكم فى رسول الله أسوة حسنة " (١) ، هل تذكر قصة ذلك الاعرابى الذى جاء وشد ثوب الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أثر فى عنقه يطالبه بأن يعطيه ، فماذا كان رد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أتذكر قصة ذلك الاعرابى الذى جاء الى مسجد الرسول فبال داخل المسجد ، وعندما قام صحابة الرسول صلى الله عليه سلم ليزجروه على ذلك الفعل الشنيع ، أمرهم ذلك الاستاذ العظيم والمربى الكبير محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام أن يدعوه حتى يكمل حاجته ، أتذكر قصة ذلك الاعرابي الذي جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يعطيه فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسأله ان كان ذلك كافيا ، فرد عليه الاعرابى برد مقذع ، وكاد الصحابة يبطشون به ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه .. وأعطاه .. حتى رضى الاعرابى ، ودعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو استاذ يريد أن يعلمنا جميعا كيف تكون المعاملة مع الآخرين ، وهذا مانحتاج اليه .

قبل أن نغادر قرية غربة الله جاء داعيتنا ليطلب منا بعض الطلبات ، وكان أهم طلب عنده أن نحول المدرسة الى مدرسة خصوصية ، سألناه لماذا ، قال حتى نعين من نريد من الاساتذه ، قلنا له ولكن فى الوقت الحالى نحن نعين المدير ، قال ولكن قد تفرض علينا وزارة التعليم استاذا لانرغب فيه ، قلت له .

---

(١) سورة الاحزاب ، آية (٢١) .

الآن نستطيع أن نطلب من وزارة التعليم أن تنقل أى استاذ لا نرغب فيه ، قال ولكن الافضل أن نجعلها مدرسة خصوصية ، ولم أجد سببا اطلاقا فى أن تتحمل اللجنة أو يتحمل المسلمون ميزانية ضخمة من أجل أمور صغيرة غير ذات أهمية .

مشاريع وهمية :

طلب هذا الداعية نموذج لطلبات كثيرة من أخوة يأتون من افريقيا وغير افريقيا ومعهم مشاريع قد لاتكون واقعية ، وقد لاتكون لها أهمية كبيرة ، ويتأثر بعض الناس فى البلاد التى لديها أمكانيات ويتبرعون لهم ، أذكر قصة ذلك الفقير بالملابس الممزقة الذى لايملك نعالا يلبسها ويريد أن يبنى مسجدا فى قريته ، ولما زرنا القرية وأبدينا استعدادنا لبناء المسجد ، أظهر لنا خريطة وأصر على أن ننفذها ، والا فانه لايريد أى مسجد آخر ، والخريطة تظهر مسجدا يحتاج على الأقل الى ثلاثة ملايين دولار ، بالتأكيد اذا كانت لدى لجنة مسلمى افريقيا هذا المبلغ فلن تنفقه على بناء مسجد ، اذ تبنى فيه عشرات المراكز الاسلامية وستغير من حال آلاف العائلات المسلمة ، ولكن قد يأتى هذا الى بلادنا العربية ومعه خرائط جميلة ، ومعه عشرات التزكيات من هنا وهناك ، ويتأثر المحسنون بما يرون من تزكيات لايعرفون كيف صدرت ، وقد يتحمس بعضهم لهذا المشروع مثلا ، لذا أشعر أنه يجب على كل محسن أن يتأكد أولا من وصول تبرعه الى الجهة التي قصدها بهذا التبرع وان يتأكد من أهمية المشروع واولويته في المنطقة فبعض المشاريع التي يتم جمع التبرعات

لها من منطقتنا ليس لها أهمية كبيرة .

تركنا غربة الله وعدنا الى نيروبي في رحلة بلغت حوالي ٨ ساعات مررنا بالعديد من المدن والقرى ، وكلما رأينا مسجدا أو حتى محلا تجاريا يملكه مسلم شعرنا بالفرحة فالاسلام انتشر في شرق افريقيا عن طريق التجار المسلمين الذين اختلطوا وتزاوجوا مع الاهالي يأكلون كما يأكل الاهالي وينامون مثلهم ويعايشونهم فاصبحوا بذلك جزءا من الاهالي واستطاعوا ان ينشروا الاسلام رغم قلة الامكانيات الدعوية المتوفرة لهم .

بناء المسجد علامة التطرف الإسلامي :

في طريق العودة مررنا بمدينة أسيولو ، حيث نقوم ببناء مسجد في ثانوية البنات الحكومية وهي مدرسة داخلية ، وأذكر أن القسيس الكاثوليكي غضب وإنفجر حينما علم ببناء المسجد في مدرسة ٨٠٪ من طالباتها مسلمات ، ولا تشكل المسيحيات إلا أقل من ٥٪ ، وكان القسيس عضو في مجلس إدارة المدرسة ، وطلب بطريقة عنجهية أن يتوقف بناء المسجد فرفض مجلس إدارة المدرسة ، فأجتمعت ٨ منظمات بروتستانتية وكاثوليكية تعمل في المدينة لأول مرة في تاريخها ، حيث يوجد عداء كبير بينها ، وأصدروا بيانا نشروه في الصحف اليومية الكينية ضد بناء المسجد بتهمة أن ذلك تطرف إسلامي ..! رغم حصولنا على طلب من إدارة المدرسة ومدير التعليم بل حتى وزير التعليم وهو مسيحي ..! يطالبوننا ببناء المسجد .. وقد أعلنّا للأهالي أن المعركة معركتهم واننا لن نتدخل إلا بعد أن يتم حل المشكلة واننا لن نواجه الآخرين

نيابة عنهم ثم هددناهم بأننا سنتوقف عن بناء المسجد وربما ننقله إلى مكان آخر - ولكن لم نكن جادين في تهديدنا هذا - فثار نواب البرلمان وزعماء القبائل ووجهاء المدينة لهذا التدخل السافر ضد الإسلام من قبل المؤسسات المسيحية ، وأخيرا أصدر وزير التعليم في كينيا بيانا في الصحافة أنه يؤيد بناء المسجد في الثانوية بناءا على طلب الأهالي ، وقال أن المسلمين لم يغضبوا ويمنعوا المسيحيين من بناء مئات الكنائس في المدارس ذات الأغلبية وأحيانا حتى ذات الأقلية المسيحية ..

ومن الطريف أن الكنيسة إتصلت بنا وعرضت علينا مبلغا كبيرا جدا من المال إذا ما أوقفنا بناء المسجد وإنسحبنا .. فذكرنا لهم أننا لسنا أصحاب القرار في ذلك .. وأن الأمر بيد الأهالي (الذين يشتعلون غضبا) .

والحقيقة أنني حتى هذه اللحظة لا أفهم الدافع لهذه التصرفات الحمقاء من الكنيسة .. ولكنهم تعودوا - على ما يبدو - أن لا يحدث امر بدون إذن منهم لسنين طويلة ولم يتعايشوا مع الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم وهم في بداية صحوة إسلامية ولا يطالبون إلا بأبسط حقوقهم .

وبعد بناء المسجد ، أعلن القسيس إستقالته من مجلس إدارة المدرسة ، كما أعلن أن جميع المساعدات المسيحية سوف تتوقف عن هذه المدرسة ، وياليت المسلمين يتقدمون لمساعدة بعض الطالبات الفقيرات في رسوم الدراسة في هذه المدرسة ، حتى يتم تعويض المدرسة عن نقص المساعدات ، كما أتمنى أن نستطيع بناء مكتبة ومختبر في المدرسة حتى نرفع معنويات المسلمين خاصة

مديرة المدرسة ومدير التعليم وباقي المدرسين والطلبة .

والمعروف أنه رغم أن عدد المسيحيين في مدينة أسيولو لا يزيدون عن ٥ - ١٠٪ ، إلا أن الإرسالية الكاثوليكية تقوم ببناء كنيسة ضخمة جدا أشبه بالقلعة ، إستعملت فيها كمية من الإسمنت أكثر مما استعمل في بناء المدينة كلها وذلك في مدخل المدينة ، وكلما زرت المدينة ونظرت إلى الكنيسة تذكرت قوله تعالى : " فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون " (١)

قبائل الماساي :

وصلنا الى كيجادو على بعد ٧٠ كيلا من نيروبي وهي مركز المحافظة ومن أهم مناطق الماساي ، وهي قبائل اشتهرت بشدة بأسها وفخرها بانتسابها لهذه القبيلة وهي وثنية بدائية تمتد من عاصمة كينيا نيروبي الى شمال تنزانيا وقد هاجروا منذ مئات السنين من الشمال ويعيش افراد القبيلة على تربية الابقار التي يعتزون بها اكثر من اولادهم وتتحدد مكانة الفرد عندهم بعدد الابقار التي يملكها ، ويعتقد افراد القبيلة ان جميع الابقار في العالم خلقها الله ووهبها لقبائل الماساي ، فاذا وجدت بقرة عند غيرهم في أي مكان فمعنى هذا انه سرقها وان من حقهم ان يقوموا بسرقتها منه .

ويتدرب ابناء الماساي منذ الصغر على اصابة الهدف بعصى خشبية ذات رأس مدبب يقذفونها من بعيد ، والهدف من هذا التدريب ان يستطيع الماساي من ضرب راعي البقر من القبائل الاخرى في رأسه ليخر صريعا دون ان يجرح أحد

---

(١) سورة الأنفال ، آية ٨

الابقار ، ثم يقوم بسرقة الابقار ، ومن العيب عند الماساي أن يبيع بقرته الا عند الحاجة الماسة ، ولكن حتى عندما نشتريها منهم في وقت الاضاحي فاننا نحاول أخذها بعيدا ، لأن ضمير الماساي سوف يؤنبه على بيعها ويأتي الليل ليسرقها من المشتري.

والماساي لهم نظام اجتماعي متشدد ، حيث يبقى الطفل مع والديه حتى سن الرابعة عشر ثم عليه ان يغادر البيت ويعيش في الغابة لمدة حوالي ٤ سنوات يعتمد على نفسه ، بعدها يتم ختانه في احتفال كبير ، يصبح بعدها مقاتلا اصغر ثم يتطور الى مقاتلٍ كاملٍ ، أو موران ، ويندر أن يأكل الماساي اللحم أو يزرع ، فهذا من العيب عندهم ، ويعيشون على حليب الابقار وعلى شرب دمائها ويدهن الموران أجسادهم بدهن الحيوانات وشحمها ويتزينون بنقوش من الطين يرسمونها على سيقانهم ، كما يضعون الطين الأحمر على رؤوسهم بينما تضيف النساء الدم كزينة لهن والماساي محاربون أشداء معروفون بفخرهم بقتل الأسود ، ومن المعروف في دوائر المختصين في الحياة الحيوانية ، أن الأسد في مناطقهم يخشاهم ، واذا شم رائحة المقاتلين من بعيد فانه يهرب من المكان ، ويذكر أحد هؤلاء الأخصائيين في الحيوانات البرية أن ذلك يعود الى أن الماساي يقتلون الأسود منذ زمن طويل جدا فتولدت حساسية لدى هذه الأسود ، ويدلك على صحة هذه المعلومة انه في حديقة حيوان نيروبي لايتأثر الأسد في القفص والناس تمر امامه ، ولكن بمجرد ان يشم رائحة المقاتلين الماساي فانه يتحفز ويتحرك بعصبية في قفصه .

ولقبائل الماساي كذلك الكثير من العادات الغريبة بالنسبة للانسان العربى فمثلا عادات الأرث عند الماساي تستدعى أن يرث الولد الأكبر كل ممتلكات الأب حتى زوجات أبيه ماعدا أمه ويقوم بتقسيم جزء من الميراث على أخوانه الآخرين فى بعض الاحيان .

أما الأبن الأصغر فيرث كل ممتلكات أمه بعد وفاتها ولا يقوم هذا الابن بتقسيم أى شيء على باقى اخوانه ، واذا لم يكن للأب المتوفى سوى بنات فانه عادة يجبر أحدى بناته على عدم الزواج ولكن يطلب منها أن تحمل من أى شخص تراه مناسبا (دون زواج) فاذا ولدت ذكرا فانه يرث عن جده كل ممتلكاته .

الطريقة الأخرى هى أن يموت أحد المحاربين قبل الزواج فتقرر العائلة أن اسمه يجب أن لا ينسى ، وعندئذ يتم اختيار عروس له (بعد موته) ويزوجونها له وتهتم هذه الزوجة بحيوانات الميت ويطلب منها أن تحمل من أى رجل تشاء ، وعندما يلد الطفل من (زواج الاشباح) هذا فأنه يرث ممتلكات (ابيه) ويحمل اسمه رغم انه لاعلاقة له بهذا الأب ... وسرقة المواشى لها تقاليد فعدد المحاربين الذين يقومون بالسرقة يجب أن يكون تسعه أو تسعة عشر أو تسعه وعشرين وهكذا . ويباركهم الساحر (المسمى ليبون) ويعطيهم تعويذه تساعدهم على الانتصار ... ! واذا نجحوا فى سرقة قطيع الأبقار يتم تقسيم ماسرقوه على المحاربين حسب شجاعتهم وكل بقرة تم سرقتها فى حرب أو غزوة على قبيلة أخرى تكون مدعاة للفخر وتطلق اسماء خاصة لكل بقرة

مثلا " اننى مخيف " آو " لقد عصرناهم " أو " دمرناهم " أو " لم ينم أحد " وهكذا ...

أما اذا هزمت المجموعة فأن المحاربين يجب أن يخلعوا نعالهم قبل وصولهم للمنزل وتجمع النعال فى كوم واحد ثم يحلق المحاربين كل الشعر فى جسدهم لأنه شعر الهزيمة ... وبهذا فهم يتشبهون بالنساء عند الماساي لأن المرأة عندهم تحلق شعرها .

هؤلاء الماساي رفضوا الاسلام كما رفضوا المسيحية وحاولنا عدة مرات ان نخترق القبيلة بالاسلام ولكنهم واجهونا بالرفض القاطع نتيجة اعتزازهم بعقائدهم ، فدخلنا اليهم من باب الحاجة ووجدنا ان المنطقة تشكو من قلة موارد المياه ، فتقدمنا بمحاولة لحفر بئر ماء ولكن الدراسات الجيولوجية اوضحت ان الارض صخرية صماء فطرقنا باب بعض المحسنين وجمعنا تبرعات لشراء سيارة لنقل المياه من مكان بعيد وبيعها عليهم لنغطي تكاليف التسيير .

وقد فرحوا بهذا كثيرا ورحبوا بنا وأهدونا قطعة أرض فقمنا ببناء دار للايتام من الماساي ومدرسة عصرية لتدريس المنهج الحكومي ومدرسة دينية وقد فرح الماساي فرحا شديدا وهم يرون بعض ابنائهم يقرأون القرآن ثم يترجموا معانيه بلغتهم والبعض الآخر يقرأ بعض الاحاديث النبوية وآخر يترجمها للانجليزية وثالث يترجمها للسواحيلية ورابع يترجمها للماساي وينشدون الاناشيد الاسلامية ... الخ .

وتبرع بعض المحسنين المحليين ببناء مسجد ونحمد الله أن الماساي بدأوا يدخلون في الاسلام ولقد رأيت شابا خليجيا من الكويت يدرس في الصف الثالث في كلية الهندسة بجامعة الامارات يقيم معهم عدة شهور لنشر الدعوة الاسلامية منطلقا من مركزنا هناك ، ولقد سرني أن أرى الاخ بدرجاسم الاخوند ذلك الشاب الخليجي الذي يعيش في مجتمع سهل ، أموره ميسرة يعمل وسط هؤلاء البدائيين وسط البعوض في أجواء غير مناسبة ، وتمنيت أن أرى المزيد من أمثاله ينذرون جزءا من أعمارهم للعمل في أوساط القبائل المتعطشة لسماع كلمة الخير والمحبة .

ويزداد المركز اتساعا يوما بعد يوم حيث أقمنا مناحل للعسل وحظائر للدواجن وننوي بناء مستوصف ومكتبه ودكاكين لتكون وقفا ....الخ ، وكم تكون فرحة الانسان وهو يصلي في مسجد المركز فاذا سلم عن يمينه وجد شخصا من الماساي يصلي بجنبه واذانه تتدلى الى نصف رقبته ، حيث انهم يعتبرون ذلك نوعا من الجمال اذ يثقبون آذانهم ويعلقون بها ثقلا حتى يكبر الثقب ، وكلما كبر كلما ازداد جمالا ولله في خلقه شئون .

ويذكرني في هذا المجال ان النساء عندهم يحلقن رؤوسهن تماما ، واذكر انه عندما احتفل الايتام بوصول وفد خليجي من محبي لجنة مسلمي افريقيا وكان من بينهم زائر خليجي كان طوال الرحلة يلبس لبسه العربي ، ولا ادري لماذا قرر ذلك اليوم بالذات ان يلبس البنطلون وان يترك رأسه بدون غطاء ، وكان أصلعا وشاء قدره ان يكون مقعده امام النساء الماساي فكانت النسوة

يستغربن من كونه اصلعا ، بينما هو يربي لحيته وشواربه ، والقبيلة لا تعرف أن الصلع يمكن أن يكون طبيعيا .. إذ يعتبرونه خاصا بالنساء وللذين ينهزمون في المعارك .

ونأمل أن يكون هذا المركز بابا لانتشار الاسلام وسط هذه القبائل ذات البأس الشديد إن شاء الله ، اذ أنهم ليسوا بعيدين بفطرتهم عن الاسلام ولكنهم بحاجة إلى من ينقل لهم كلمة الخير بصبر واناه ولاشك ان الكثير منهم سيلتحقون بركب الاسلام ان السبب الوحيد في عدم دخولهم الاسلام هو عدم وجود المسلمين الصادقين مع ربهم الذين ينقلون لهم مبادئ الاسلام ويشرحون لهم عقيدته السمحة .

قبل أيام سمعت بإسلام ٤٥٠ شخصا في مدينة نامنغا من الماساي على بعد ساعة من مركزنا هذا على أيدي بعض الدعاة هناك جزاهم الله كل خير ، كما أسلمت مجموعة أخرى من الماساي في قرية لوي توك توك على الحدود التنزانية مقابل جبل كليمنجارو الذي تغطيه الثلوج طوال العام ، وأذكر أنني إجتمعت مع بعض المثقفين الذين أسلموا من الماساي في زيارة سابقة لهذه القرية ، وسررت بمقدار فهمهم للإسلام وحماسهم للدعوة الإسلامية ، ورغم برودة الجو عندهم ، إلا أن حرارة اللقاء بهؤلاء الأخوة جعلتنا لا نحس بالبرودة الشديدة إلا بعد إنتهاء اللقاء في الليل .

من هناك عدنا الى نيروبي حيث استرحنا قليلا قبل أن ننطلق الى إحدى ضواحي نيروبي واسمها كريوبانجي وهي ضاحية فقيرة جدا لايصدق

الانسان ، إنها في مدينة نيروبي يسكنها أكثر من ربع مليون نسمة ، والطرق كلها أوحال عميقة تفوح منها روائح كريهه نتيجة الاوساخ يعيش الناس في أكواخ من الطين والصفيح ، وبينهم عدة آلاف من المسلمين ، وكانت الكنيسة قد أخذت حريتها في أن تصول وتجول دون منازع وقدمت مساعدات لبعض الطلبة المسلمين واشترطوا أن لا يدخلوا المسجد ولا يقوموا بأي نشاط اسلامي وربما تذكر ياولدي يوما أن صلينا العيد مع أهلك هناك قبل بضع سنوات ... وكانت هناك فتاة تبكي عند باب المسجد فذهبت أمك واخواتك لها يسألنها ، وأكتشفن أنها فتاة مسلمة يتيمة كانت تدرس في الثانوية وهي فقيرة جدا ، فدفعت الكنيسة عنها رسوم الدراسة وأشترطت أن لا تشترك هي أو أمها في أي نشاطات اسلامية ولا يذهبن للمسجد ... الخ ، واستمرت الكنيسة في دفع الرسوم حتى اكتشف أن الفتاة وأمها تواظبان على حضور دروس إسلامية في المسجد وأن الفتاة تحجبت وتصر على لبس الحجاب ، فقطعت الكنيسة معونتها لهذه الطالبة اليتيمة وصبرت المدرسة على الفتاة لتدبر امرها وتدفع رسوم الدراسة ولما عجزت طردتها المدرسة يوم العيد .

وفي نفس ذلك اليوم رأينا مؤذن المسجد يجلس على أثاثه المنزلي الذي تكوم في الشارع الطيني بعد طرده من منزله لأنه لم يدفع ايجار المنزل لتسعة شهور متواصلة بسبب فقره بينما الايجار الشهري كان دينارا واحدا كويتيا أو اثنا عشر ريالا سعوديا ..!

إن أموالا قليلة جدا قد تغير حياة عائلات كثيرة اذا ماتم صرفها في

الموضع الصحيح .. ، وخلال زيارتنا للمركز قامت امهات الايتام من المتدربات في دار المؤمنات باهدائنا بعض منتوجاتها من المفارش والمصنوعات التي قمن بصناعتها.

كما استمعنا لتلاوة القرآن الكريم من قبل بعض الاطفال و الايتام الذين ترعاهم اللجنة وكانت قراءة طيبة بصوت رخيم رغم ان اغلبهم لم يسمعوا شريطا من اشرطة القراءات للقراء المشهورين .

واستوقفنا رجل كبير العمر لحيته بيضاء من قبائل البوران وحدثنا بحماس شديد كيف كانت المنطقة قبل قدوم لجنة مسلمي افريقيا ، حيث كانت الكنيسة تأخذ الاطفال المسلمين وتدرسهم الديانة المسيحية رغما عن أنوف أهاليهم لأنه لايوجد بديل وقامت ببناء بعض البيوت الطينية لعائلات مسلمة بقرب موقع المسجد وإشترطت أن لا تدخل المسجد ...! ولكنهم الأن فخورون بانتمائهم لهذا الدين ويعتزون به لأن المدرسة الاسلامية ودار الايتام ودار المؤمنات بقربهم ، وذكر ان المسجد في أغلب الصلوات الخمس يمتلئ ويضطر الناس الى الصلاة أكثر من مرة أو الصلاة في الاماكن الموحلة وناشدنا الاستمرار في دعم المركز وتوسيع نشاطاته ثم دعا دعاءا مؤثرا لكل من ساهم بتبرعه لانقاذهم مما كانوا فيه .

وفي هذا المركز حدثت أمور قبل سنتين لابد من ذكرها حيث فوجئنا باستدعاء من المحكمة اننا مدعوون للدفاع عن انفسنا واستغربنا ذلك فليس لدينا مشكلة مع أحد واكتشفنا أن بعض المسلمين من سكان المنطقة احتجوا

على قيامنا ببناء دار للايتام رغم أن الأرض مسجلة باسمنا والمال مالنا والمركز مركزنا ، وبدلا من مناقشتنا بالموضوع اتجهوا الى المحكمة رأسا واتصلنا بحاكم المنطقة الذي حاول اقناعهم وقام بسحب الموضوع من المحكمة ولكنهم بدلا من التفاهم معنا دفعوا الى أحد المحامين ليرفع دعوى ضدنا واستغربت كل الاستغراب اذ ان بعضهم يستلم رواتب او مساعدات شهريا من مكتب اللجنة نظرا لفقرهم الشديد ، ومن بينهم أمام المسجد الذي حاولنا إرسال بعض الاشخاص لاقناعه بعدم سلوك هذا الطريق لأنه يحاول قطع اليد التي تساعده ولكنهم جميعا رفضوا بإصرار غريب ... والحقيقة أننا نستغرب من إين أتوا بالاموال للمحامي وإجراءات المحكمة ، هذه المحكمة التي طردتهم في النهاية ...

اكتشفنا الموضوع بعد ذلك .. إذ أن الكنيسة عرضت عليهم المساعدة في بناء مسجد لهم ..! وعندما سمعت ذلك إبتسمت وأنا اردد قوله تعالى " والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون "(١)

وأقول لاخواني من حولي هل من شك في مصير هذا المسجد لو قام، وفكرت في مواقف مثيله حينما يكون المسلم الفقير عدو نفسه ، فنحن لن نتضرر حتى باغلاق المركز - لاسمح الله - لو اغلقناه بل هم وحدهم

---

(١) سورة التوبة آية (١٠٧) .

سيدفعون الثمن كما انهم يعلمون تماما انهم لو استولوا على المركز فلن يستطيعوا دفع رواتب المعلمين والعاملين حتى ليوم واحد ولكنهم لم يفكروا لحظة واحدة بعقل وحكمة في مصلحتهم الشخصية ، ولهذا يتوجب أن لاتبدر منا ردود فعل عصبية في تعاملنا مع امثال هؤلاء ، ومأأكثرهم في حياتنا العملية في افريقيا ، إنهم ناس طيبون لكنهم قد لا يعرفون مصالحهم .

ولقد رأينا أكثر من جمعية اسلامية محلية تتعاون مع الشيطان ضدنا ، ونحن نقوم بخدمتهم ، فلقد تعاون بعضهم مع الاستخبارات التي يديرها عادة اشخاص معادون للاسلام ولفقوا ضدنا مختلف التهم ، احداها ذكرها لي رئيس جمهورية احدى الدول الافريقية حيث ذكر ان رئيس الجمعية الاسلامية المحلية كتب تقريرا ذكر فيه ان لجنة مسلمي افريقيا تحصل من احدي الحكومات على ٢٠ مليون دولار امريكي مقابل كل انقلاب ...! وغير ذلك من الامور المضحكة التي لا يقبلها عقل .

توجهنا إلى ثيكا على بعد ٤٥ دقيقة بالسيارة من نيروبي في طريق تملؤه أشجار القهوة والأناناس وهي سادس مدينة في الأهمية في كينيا ولاتزيد نسبة المسلمين عن ٥ ٪ من مجموع السكان في المدينة حيث قمنا بزيارة لعدد من الشلالات الجميلة في المدينة وحولها ثم إلى المركز الاسلامي الذي تقوم لجنة مسلمي افريقيا بالإنتهاء من بنائه و هو مركز جميل فيه مسجد رائع و مستشفى و بيوت للمدرسين و مركز تدريب مهني و ٣ بيوت للأيتام و قاعة للطعام و مدرستان و مبنى للادارة و مركز

لتدريب النساء المؤمنات و آبار مياه و مناحل و مزارع للأناناس و المانجو و غيرها ، وملاعب ، وهناك أسلم شاب درس اللاهوت المسيحي اثنى عشر سنة بسبب منظر المسجد الجميل في المركز الذى شجعه أن يتساءل عن هذا الدين الجديد وما أن عرف حقيقة هذه العقيدة حتى نطق بالشهادتين وهو أول من يسلم في قبيلته كما أسلمت ستون امرأة من الدارسات في مراكز تدريب المؤمنات وهن يحافظن على الصلاة في المسجد الذي أقيمت فيه صلاة الجماعة حتى قبل الانتهاء منه ، ويرسلن أولادهن لتعلم القرآن الكريم والعقيدة ومبادئ الاسلام في الحلقة القرآنية داخل المركز .

ويشكل هذا المركز حجر الزاوية في نشر الدعوة الاسلامية في المنطقة ومنذ بدأنا في البناء تحمست الكنائس القريبة و بدأنا نرى بعض الغربيين البيض يشرفون بأنفسهم على أعمال التشييد التي نراها في الكنائس رغم وجود أكثر من ٤٠ مؤسسة كنسية في المدينة إلا أنهم يبنون المزيد ولكن لانشك في النتيجة اطلاقا فلم نبني مسجدا في مكان إلا وكان منارة دعوة يأتيه النصارى وغيرهم للسؤال عن الاسلام ثم لقبول هذا الدين ... بينما لم يكسبوا مسلما واحدا إلا عن طريق الجوع والحاجة ودائما يكون هذا المسلم جاهلا بابسط مبادئ دينه .

عدنا إلى نيروبي و الحماس يملأ نفوسنا اذ أن عدد الذين أسلموا حديثا عشرة أضعاف المسلمين الأصليين في المركز فهنيئا لمن ساهم في بناء هذا المركز وغيره .

ولدي العزيز ..... في ختام هذه الرسالة انصحك بالالتزام بكل تعاليم الاسلام واحذر كل الحذر أن تنساق وراء عاطفة أو فورة غضب ضد أعداء الاسلام بسبب تصرفاتهم التي قد لايقرها دين ، فاحذر أن تنزل من سماء القيم الاسلامية إلى حضيضهم و تستخدم الكذب أو الخداع أو أي أسلوب يتعارض مع عقيدتك وقيمك فالغاية لاتبرر الوسيلة عندنا في الاسلام ... واذا كانت غايتنا مرضاة الله فهذه الغاية لايمكن ان تصل إليها بمعصية الله .

وفقك الله - يابنى - إلى كل خير وبارك الله في جهود كل مسلم يعمل لخير وخدمة الآخرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

والـــدك المحـــــب

*** تم بحمد الله ***

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هـذا الكتـاب

هذا الكتاب ليس مجرد مشاهدات رحالة في مجاهل أفريقيا ولا مذكرات داعية ولا أوراق مؤرخ ولا يوميات مسافر ، رغم أنه يشمل ذلك وأكثر ، إنه نفثات قلب يحترق على ما أصاب إخوانه في أفريقيا ، يورد في ثنايا سطوره معلومات تنشر لأول مرة عن بعض المناطق والقبائل في أسلوب قصصي ممتع ، بعيداً عن أسلوب المحاضرات العلمية .

والمؤلف قضى أكثر من ١٢ سنة متجولاً في أفريقيا من الأسكندرية شمالاً إلى مدينة الكيب جنوباً ، ومن جيبوتي شرقاً إلى غامبيا غرباً ، ولم يقتصر على العيش في المدن ولكنه تجول في الأدغال والصحاري والجبال والغابات ، همه مع إخوانه نشر الخير ومساعدة المحتاج وإعانة المنكوب.

وهنا يسطر بعض إحساساته وهو يكتبها في الميدان ، بينما يقابل بعض القبائل المنسية التي لم يكتب عنها أحد ، وهو يصف عاداتهم وتقاليدهم ، لا كما يكتب العلماء والمؤرخون المحايدون، ولكنه جزء لايتجزأ من هذه القبائل، يحبهم ويحبونه ويحس بالسعادة إذا يخدمهم ويعمل في أوساطهم.

وهذا الكتاب وصف لرحلة بلغت حوالي ٥ آلاف كيلومترا وسط القرى والمدن والغابات، فيه إنجاز لبعض المشاريع الخيرية وبدء في عمل أخرى وتحليل لمواقف الغربيين من العرب والمسلمين ودورهم في هذه القارة الخضراء وينتقد تقصير العرب والمسلمين.

والكاتب طبيب تخصص في الأمراض الباطنية في مستشفيات وجامعات كندا وبريطانيا، إلا أنه تفرغ منذ سنوات للعمل الخيري مع مجموعة من المتطوعين وتخصص في العمل داخل افريقيا.. القارة المنسية التي لم تعرف حضارة إلا بالإسلام.

السعر: دينار ونصف

مطابع مرآة الأمة
تليفون: ٤٨٤٩٨٩٨